

فهم به فلما كان قبيل الغروب آخر اليوم الثالث جاء له الشويمي وصالحه وقال رايت الحق يغضب لغضبك يا اخي ولم يفتح على بشيء من مواهب الحق منذ هجرتك فبلغ ذلك سيدى مدين عليه السلام فقال انا رايتهم يمشى بحلفائهم هذه فى الجنة عليه السلام توفى سيدى مدين عليه السلام سنة نيف وخمسين وثمانمائة رضى الله تعالى عنه .

٣٢٩- ومنهم سيدى الشيخ محمد بن أحمد الفرغل رضى الله تعالى عنه :

المدفون فى أبى تيج بالصعيد كان عليه السلام من الرجال المتمكنين اصحاب التصرف ومن كراماته عليه السلام أن امرأة اشتتت الجوز الهندي فلم يجدون فى مصر فقال للنقيب مخيمر يا مخيمر ادخل هذه الخلوة واقطع لها خمس جوزات من الشجرة التى تجدها فى داخل الخلوة فدخل فوجد شجرة جوز فقطع لها منها خمس جوزات ثم دخل بعد ذلك فلم يجد شجرة. ^(١)

ومر عليه شيخ الإسلام ابن حجر عليه السلام بمصر يوماً حين جاء فى شفاعة لأولاد عمر فقال فى سره ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذته لعلمه على وجه الإنكار عليه فقال له قف يا قاضى فوقف فمسكه وصار يضربه ويصفعه على وجهه ويقول: بل اتخذنى وعلمنى. ودخل عليه بعض الرهبان فاشتتهى عليه بطيخاً اصفر فى غير اوانه فاتاه به وقال وعزة ربى لم احده إلى خلف جبل قاف ^(٢). وخطف التمساح بنت مخيمر النقيب فجاء وهو يبكى إلى الشيخ فقال له اذهب إلى الموضع الذى خطفها منه وناد بأعلى صوتك يا تمساح تعال كلم الفرغل فخرج التمساح من البحر وطلع كالركب وهو ماش والخلق بين يديه جارية يميناً وشمالاً إلى ان وقف على باب الدار ^(٣) فأمر الشيخ عليه السلام الحداد بقلع جميع اسنانه وامره بلفظها من بطنه فلفظ البنت حية مدهوشة وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود يخطف أحداً من بلده ما دام يعيش ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر.

وسمعت سيدى محمد ابن عنان عليه السلام يقول: زرت الفرغل بن أحمد عليه السلام وانا شاب فأخبر جماعته بخروجه من بلاد الشرقية وقال هاهو محمد بن حسن الأعرج خرج بقصد زيارتنا وكانت له نصرانية تعتقده فى بلاد الإفرنج فنذرت إن عافى الله تعالى

(١) هذه امور وحكايات لا دليل عليها .

(٢) هذه امور وحكايات لا دليل عليها .

(٣) هذه امور وحكايات لا دليل عليها .

ولدها ان تصنع للفرغل بساطاً فكان قولها هم غزلوا صوف البساط هاهم دوروا
الغزل على المواسير هاهم شرعوا فى نسجه هاهم ارسلوه هاهم نزلوه المراكب هاهم
وصلوا إلى المحل القلانى ثم القلانى فقال يوماً واحداً يخرج ياخذ البساط فإنه قد وصل
على الباب فخرجوا فوجدوا البساط على الباب كما قال الشيخ رحمه الله، وأرسل مع
القاصد الذى جاء بالبساط بعضاً من الهدية وقال له غمض عينك فغمض عينه فوجد
نفسه فى بلده طينات وسطى، وجعلوه حارس الجرن وهو صغير فى بنى صميت
فاخذ فريكا اخضر وطلع فوق جرن يحرقه فتسامع الناس ان هذا المجنون احرق
الجرن فطلعوا له وضربوه فقال انا قلت للنار لا تحرقى إلا فريكى بس وانظروا انتم
فوجدوها لم تحرق إلا الفريك. وقال لرجل زوجته ابنتك فقال مهرها غال عليك
فقال كم تريد فقال اربعمائة دينار فقال اذهب إلى الساقية وقل لها قال لك الفرغل
املئى قادوس ذهب وقادوس فضة^(١) فملأت له قادوسين فلم يزل هو وذريته
مستورين ببركة الشيخ حتى ماتوا. وجاءه ابن الزرايرى فقبل رجله فقال له وليتك
من الخلفة للملصة فولاه السلطان كشف اربع اقاليم الصعيد وأرسل قاصده إلى امير
فى مصر يشفع عنده فى فلاح فقال قل لشيخك انت دوكارى فرجع القاصد إلى
الشيخ فاخبره فنقر بأصبعه فى الأرض كهينة الذى يحفر فجاء الخبر ان السلطان
غضب على ذلك الأمير وامر بهدم داره فهى خراب إلى الآن ناحية جامع طولون ثم
ضرب عنقه بعد ذلك فقالوا له ما سببه؟ قال لا اعرف له سبباً إلا ان الله تعالى
حركنى لذلك، وجلس عنده فقيه يقرأ القرآن فنط الفقيه فقال له نطيت فقال له
من اعلمك يا سيدى وانت لا تحفظ القرآن؟ فقال كنت ارى نوراً متصلاً صاعداً إلى
السما فانقطع النور ولم يتصل بما بعده فعلمت أنك نطيت .

وكان ﷺ يقول: أنا من المتصرفين فى قبورهم فمن كانت له حاجة فليات إلى
قبالة وجهى ويذكرها لى اقضيها له^(٢). ووقائع ﷺ لا تحصيها الدفاتر. توفى سنة
نيف وخمسين وثمانمائة رضى الله تعالى عنه آمين.

(١) هذه امور لا تصح .

(٢) لا يتصرف أحد فى قبره بعد موته لقوله صلى الله عليه وسلم ، "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

٢٣٠. ومنهم سيدى الشيخ أبو بكر الدقودسى رضى الله تعالى عنه :

شيخ سيدى عثمان الخطاب رضى الله عنهما، كان ﷺ من أصحاب التصريف النافذ وكنانت الأعيان تقلب له، حكى لى شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفى رحمه الله تعالى قال أخبرنى سيدى عثمان الخطاب رحمه الله تعالى أنه حج مع سيدى أبى بكر ﷺ سنة من السنين فكان الشيخ يقترض طول الطريق الألف دينار فما دونها على يدى فإذا طالبنى الناس اجئ عليه فأخبره بذلك فيقول: له عد لك من هذا الحضا بقدر الدين فكنت أعد الألف حصة والخمسمائة والمائة والأربعين والثلاثين واذهب بها إلى الرجل فيجدها دنانير.^(١)

قال فلما دخلنا مكة كان الشيخ ﷺ يضع كل يوم سماًطاً صباحاً ومساءً فى ساحة لا يمنع أحد يدخل ويأكل مدة مجاورته بمكة قال وهذا امر ما بلغنا فعله لأحد قبل سيدى أبى بكر وكان له صاحب يصنع الحشيش بباب اللوق فكان الشيخ ﷺ يرسل إليه أصحاب الحوائج فيقضيها لهم قال سيدى عثمان ﷺ فسألته يوماً عن ذلك وقلت المعصية تخالف طريق الولاية فقال يا ولدى ليس هذا من اهل للعاصى إنما هو جالس يتوب الناس فى صورة بيع الحشيش فكل من اشترى منه لا يعود يبلعها ابداً هكذا أخبرنى سيدى نور الدين الطرابلسى عن سيدى عثمان رحمه الله تعالى.^(٢)

٣٣١. ومنهم سيدى عثمان الخطاب رضى الله تعالى عنه :

أجل من أخذ عن سيدى أبى بكر الدوقدسى ﷺ من الزهاد المتقشفين، كان له فروه يلبسها شتاءً وصيفاً وهو مخزم بمنطقة من جلد وكان شجاعاً يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد ضرب الجميع فلا يصيبه واحدة هكذا أخبر عن نفسه فى ضباه، وكان ﷺ رحيماً بالأولاد الأيتام ويقول: أنا قاسيت مرارة اليتيم لموت أبى وأنا صغير وكان مطرقاً على الدوام لا يرفع رأسه إلى السماء إلا لحاجة أو مخاطبة أحد، وكان لم يزل فى عمل مصالح فقراء الزاوية وغيرهم غما فى غربلة القمح وإما فى تنقيته وإما فى طحنه

(١) لا دليل على أو نقل على مثل هذه الأمور ولو كانت حقيقية لظهرت على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) هذه أمور يروونها العامة عن بعض اصحاب الأضرحة، وهى تخالف حكم الشرع ولا يجعل الله ولاية فيمن يخالف شرعه.

وإما فى جمع آلات الطعام وغما فى خياطة ثياب الفقراء وغما فى تفتيلها وغما فى الوقود تحت الدست وغما فى جميع الحطب من البساتين، وبلغ الفقراء والأرامل عنده أكثر من مائة نفس وليس له رزقه ولا وقف إلا على ما يفتح الله به كل يوم .

وكان كل من بار عنده شىء من الخضر يقول: خلوه للشيخ عثمان، وكان إذا ضاق عليه الحال يطلع للسلطان فايتباى يطلب منه فيرسم له بالقمح والعدس والفل والارز ونحو ذلك فقال له السلطان يوماً يا شيخ عثمان ايش بلاك بهذه الناس كلهم اطلقهم لحال سبيلهم وارج نفسك فقال له وانت الآخر اطلق هذه المالك والعسكر واقعد وحدك فقال هؤلاء عسكر الإسلام فقال هؤلاء عسكر القرآن فتبسم السلطان، ولما شرع فى بناء الإيوان الكبير عارضه هناك ربع فيه بنات الخطا فطلع للسلطان فقال يا مولانا هذا الربع كان مسجداً وهدموه وجعلوه ربعاً فصدق قول الشيخ ورسم يهدم الربع وتمكين الشيخ من جعله الزاوية فارشوا بعض القضاة فطلع إلى السلطان وقال يا مولانا يبقى عليكم اللوم من الناس ترسمون يهدم ربع بقول فقير مجذوب فقال السلطان ثبت عندى قول الشيخ فهدمه، فظهر المحراب والعمودان فارسل الشيخ ﷺ وراء السلطان فنزل فرآه بعينه وطلب ان يصرف على العمارة فأبى الشيخ فقال اساعدك فى كعب التراب فقال لا نحن نمهدده فيها مهدياً فهذا كان سبب علوة إلى الآن وبقية الزاوية كانت زاوية شيخه الشيخ أبى بكر الدقوسى ﷺ .

واخبرنى شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفى والسيد الشريف الخطابى المالكى النحوى رحمهما الله تعالى قالا سمعنا سيدى عثمان ﷺ يقول: لما حججت مع سيدى أبى بكر سألته ان يجمعنى على القطب فقال اجلس ههنا ومضى فغاب عنى ساعة ثم حصل عندى ثقل فى راسى فلم اتمالك احملها حتى لصقت لحيتى بعانتى فجلستا يتحدثان عندى بين زمزم والقام وكان من جملة ما سمعت من القطب يقول: آنستنا يا عثمان حلت علينا البركة ثم قال لشيخى توص به فإنه يجى منه ثم قرا سورة الفاتحة وسورة قريش ودعوا وانصرفا ثم رجع سيدى ابو بكر ﷺ فقال ارفع راسك قلت لا استطيع فصار يمرجنى ورقبتى تلين شيئاً فشيئاً حتى رجعت لما كانت عليه فقال يا عثمان هذا حالك وانت ما رأيته فكيف لو رأيته فمن ثم كان سيدى عثمان ﷺ لا يريد الانصراف عن جلسه حتى يقرأ سورة الفاتحة والإيلاف قريش لا بد له من ذلك .

قال الشيخ شمس الدين الطنخي رحمه الله تعالى وما رأيت سيدى أبا العباس الزمى عليه السلام يقوم لأد من فقراء مصر غير الشيخ عثمان الخطاب كان يتلقاه من باب الجامع رضى الله عنهما وكذلك كان سيدى إبراهيم المتبولى عليه السلام يحبه ويعظمه وكان كل واحد منهما يجئ لزيارة الآخر وكان إذا قال له شخص يا سيدى عثمان المدد ^(١) يقول: عثمان خطبة من حطب جهنم فماذا ينفعكم خاطره عليه السلام.

واخبرنى سيدى الشيخ نور الدين الشونى عليه السلام أنه جاور عنده مدة فخرج يتوضأ ليلاً فوجد رجلاً ملفوفاً فى نخ فى طريق الميضاة فقال له قم ما هو محل نوم فكشف عن وجهه وقال يا أخى أنا عثمان اخرجتنى ام الأولاد وحلفت أنها ما تخلينى انام فى البيت هذه الليلة وكانت مسلطة عليه وكذلك كانت امرأة صاحبه الشيخ عثمان الديمى وكان عيال كل منهما تخرج على الآخر وكان كل منهما ينادى الآخر بيا عثمان فقط من غير لفظ لقب ولا كنية رضى الله عنهما.

خرج رضى الله تعالى عنه زائراً للقدس فتوفى هناك سنة نيف وثمانمائة هـ.

٣٣٢- ومنهم الشيخ محمد الحضرى رضى الله تعالى عنه :

المدفون بناحية نهيا بالغربية وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلداً، كان من اصحاب جدى رضى الله عنهما وكان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم والمعارف ما دام صاحياً فغداً قوى عليه الحال تكلم بالفاظ لا يطيق احد سماعها فى حق الأنبياء وغيرهم وكان يرى فى كذا كذا بلداً فى وقت واحد. ^(٢)

ثم جاء بعض اهل البلاد المجاورة فأخبر اهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى هم قال فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة هذا ونحن نراه جالساً عندنا فى بلدنا. ^(٣)

واخبرنى الشيخ احمد القلعى أن السلطان قايتباى كان إذا رآه قاصداً له تحول ودخل البيت خوفاً أن يبطش به بحضرة الناس وكان إذا أمسك أحداً يمسكه من لحيته ويصير يبصق على وجهه ويصفعه حتى يبدو له إطلاقه وكان لا يستطيع أكبر الناس يذهب حتى يفرغ من ضربه.

(١) المدد لا يطلب إلا من الله سبحانه وتعالى.

(٢) هذه أمور لا يصح الاعتقاد بصحتها إذ كيف يرى فى عدة بلاد فى وقت واحد ثم أن التباعه نسبوا إليه أنه كان يصعد المنبر وينطبق بكلمات الكفر ونرى أن ذلك كله مدسوس ولا يصح فيه شيء.

(٣) انظر الهامش السابق .

وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه وأجاد الخلائق كالقوارير أرى ما فى بواطنهم. توفى ﷺ سنة سبع وتسعين وثمانمائة ﷺ.

٣٣٣- ومنهم سيدى عيسى بن نجم خفير البرلس رضى الله تعالى عنه :

كان من العلماء العاملين وله المجاهدات العالية فى الطريق، وسمعت سيدى علياً المرصفى ﷺ يقول: مكث سيدى عيسى بن نجم ﷺ بوضوء واحد سبع عشرة سنة^(١) فقلت يا سيدى كيف ذلك ؟ فقال توضاً يوماً قبل اذان العصر واضطجع على سريره وقال للنقيب لا تمكن أحداً يوقظنى حتى استيقظ بنفسى فما تجرأ أحد أن يوقظه فانتظروه هذا المدة كلها فاستيقظ وعيناه كالدم الأحمر فصلى بذلك الوضوء الذى كان قبل اضطجاعه^(٢) ولم يجد وضوءاً وكان فى وسطه منطقة فلما قام وحلها تناثر من وسطه الدود ﷺ. قلت وهذه الحالة من أحوال الشهود فيمضى على صاحبها عمره كله كأنه لمحة بارق كما يعرفه من سلك أحوال القوم.

وأخبرنى الشيخ محمد البرلسى أن شخصاً نذر إن ولدت فرسى هذه حصاناً فهو لسيدى عيسى ابن نجم فولدت له حصاناً فلما كبر أراد أن يبيعه وقال أيش يعمل سيدى عيسى فبينما هو مار به ذات يوم وقد صار تجاه سيدى عيسى رمح من صاحبه حتى دخل الزاوية فرمى صاحبه وراءه فدخل الحصان قبر الشيخ لم يخرج ﷺ.

٣٣٤- ومنهم الشيخ شهاب الدين المرحوم رضى الله تعالى عنه :

أحد أصحاب العارف بالله تعالى سيدى مدين رضى الله عنه، كان طريقه المجاهدة والتقشف وكان يلبس الغرورة صيفاً وشتاء يلبسها على الوجهين وكان لم يزل مطرقاً إلى الأرض وكان يقرئ الأطفال بمصر العتيق بالقرب من سيدى محمد ساعى البحر ومكث عند شيخه سيدى مدين ﷺ إلى أن توفى لم يذق له طعاماً ف قيل له فى ذلك فقال أنا لم أكل لشيخى طعاماً خوفاً أن أشرك فى طلبى للشيخ شيء آخر ﷺ.

وكان ﷺ يقول: نهبت الطريق ونهب عشاقها وصار الكلام فيها معدوداً عند الناس من البدعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكان الغالب عليه رضى الله الخشوع والبكاء ولا تكاد تجده إلا باكياً قال سيدى وشيخي الشيخ نور الدين الشونى ﷺ زرتة مرة وقلت له يا سيدى مقصودى الطريق إلى الله عز وجل فقال يا أخى والله ما أعد نفسى سلمت

(١) هذه أمور لا يليق ذكرها ونرى أنها غير صحيحة.

(٢) هذه أمور لا تحل شرعاً.

من التفاق طرفه عين ولم تأخذ علي عهدًا قال فلما أردت الانصراف قلت يا سيدي ادع لي فخر بادكيًا بوجهه إلى الأرض وصار يفحص كالطير المذبوح وقال لنفسه عشتي يا شقية إلى زمان صار يطلب من مثلك الدعاء ويوبخ نفسه ﷺ.

ومن أجل أصحابه سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي وسيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي سليمان الخضيري رحمهما الله تعالى ورضي عنهما وكان سيدي محمد بن عنان ﷺ يقول: الشيخ سليمان الخضيري عندي أكمل من الشيخ أبي السعود ﷺ.

٣٣٥- ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رحمه الله:

أعاد الله تعالى علينا وعلى المسلمين من بركاته واشتهر بابن عبد الدائم المديني، كانت مجاهداته فوق الحد فظهر صدقه في تلامذته فخرج من تحت تربيته سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد أبو الحمائل السروري والشيخ العارف بالله تعالى سيدي نور الدين الحسن بن عين الغزال وسيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي نور الدين علي الرصفي وخلائق كثيرة من العجم والمغاربة ومدار طريق القوم اليوم في مصر على تلامذته ﷺ.

وكان ﷺ ذا سميت بهي ونظافة وترافة أقبلت عليه الخلائق فطردهم بالقلب فلم يصبر حوله فقير وصار يخرج إلى السوق فيشتري حاجته بنفسه ويتحمل الخبز إلى الفرن بنفسه إلى أن ما ودفن على باب تربة سيدي مدين رضي الله عنهما.

وكان ﷺ يقول: شبعنا كلامًا وقال وقيل في هذه الدار وما يقى إلا القدوم على الواحد الأحد وله رسالة عظيمة في علم السلوك يتداولها أهل طريقته في مصر وغيرها.

قلت: وسبب دفنه على باب التربة دون أن يدخلوه فيها مع جماعة سيدي مدين كما أخبرني به شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بمصر ﷺ أن سيدي أبا السعود ابن سيدي مدين وجماعته لم يمكنوه من الدخول للوقعة التي كانت بينهم وبينه حين جلس للمشايخ بعد سيدي مدين ﷺ دون ولده أبي السعود وقالوا له طريق جاءتك من أين؟ الولد أحق وهذا الداء لم يزل بين أولاد الأشياخ وبين جماعة والدهم إلى عصرنا هذا إلا من حماه الله عز وجل من حمية الجاهلية، ولما منعوه من زاوية سيدي مدين انتقل إلى مدرسة أم خوند بخط بين السورين فانقلب الفقراء معه فركب جماعة من زاوية مدين ومضوا إلى أم خوند صاحبة المدرسة وكانت ساذجة فقالوا لها أنت عمرت للمدرسة يحصل لك الأجر وإلا التعب من غير أجر فقالت الأجر فقالوا إن هذا الذي يسمى نفسه المديني أخذ الأجر كله له والدعاء وما بقى يحصل لك شيء فركبت بنفسها وجاءت

فأخرجته منها فانتقل إلى مدرسة ابن البقري بباب النصر وبها توفي رحمه الله.

وأخبرني الشيخ شمس الدين الصعيدي المؤذن بمدرسة أم خوند قال جاء مغربي إلى سيدي الشيخ محمد ابن أخت سيدي مدين فقال يا سيدي أنت رجل ذو عيال وفقراء كثيرة وليس لك رزقة ولا معلوم ومقصودي أعلمك صنعة الكيمياء تنفق منها على الفقراء فقال له جزاك الله عنا خيرًا فقال يا سيدي فلوس آخذ بها الحوائج فأعطاه فجاء بالحوائج فقال الشيخ كمل جميلك وادخل هذه الخلوة واعملها ثم اعرضها علينا فجاء بعدته ودخل الخلوة، فقال الشيخ رحمه الله للفقراء وهذا الرجل ما يعرف من أحوال الفقراء شيئًا إنما كيمياء الفقراء أن يعطيهم الله تعالى قلب الأعيان بلفظ كن ثم قال لهم هذا الوقت يخرج محروق الوجه واللحية فبعد لحظة دق الباب وقال افتحوا لي احترقت ففتحوا له فوجدوه محترق الوجه واللحية وقال انطلق في الكبريت، فقال الشيخ رحمه الله لا حاجة لنا بكيمياء فيها حرق الوجوه واللقى اذهب لحال سبيلك، قال الشيخ شمس الدين الصعيدي رحمه الله تعالى وإنما لم يردده الشيخ أولاً من غير تجربة صيانة للخرقة ليعلمه أن الفقراء في غنية عن ذلك وأن كنزهم القاعة في هذه الدار لا غير، والله أعلم.

٣٢٦- ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي المحلي رضي الله تعالى عنه ورحمه:

كان من رجال الله المعدودة، وكان رحمه الله يبيع السمك القديم مع البطيخ من التمر حنا والمرسين والياسمين والورد وكان إذا أتاه فقير يستعين به في شيء من الدنيا يقول: له هات له ما تقدر عليه من الرصاص فإذا جاء به يقول: له نوبه بالنار فإذا أذابه يأخذ الشيخ بإصبعه شيئًا يسيرًا من التراب ثم يقول: عليه اسم الله ويحركه فإذا هو ذهب لوقته، وانكر عليه مرة قاض في دمياط وقال له ما مذهبك فقال حنشي ثم نفخ على القاضي فإذا هو ميت^(١)، وكان رحمه الله يمشي في البلد ويقول: يا علماء البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد، وكراماته رحمه الله كثيرة وأرسل مرة سيدي حسين أبو علي رحمه الله السلام له فقال سيدي علي المحلي رحمه الله نعطيك هدية في نظير السلام ثم غرف له من البحر ملء القفة جواهر^(٢) فقال الفقير ليس لي ولا لشيخني حاجة بالجواهر فردها في البحر، مات سنة نيف وتسعمائة رحمه الله.

٣٢٧- ومنهم الشيخ الإمام العارف بالله تعالى سيدي علي بن شهاب جدي الأدنى رحمه الله:

كان رحمه الله من المدققين في الورق ويقول: الأصل في الطريق إلى الله تعالى طيب الطعام وكان إذا طحن في طاحون يقلب الحجر ويخرج ما تحته من دقيق الناس يعجنه للكلاب

(١) لا يصح شيء من ذلك.

(٢) لا يصح شيء من ذلك.

ثم يطحن ويخلي للناس بعده الدقيق من قمحه ولم يأكل فراخ الحمام الذي في أبراج الريف إلى أن مات.

وكان والدي رحمه الله تعالى يأتيه بفتاوى العلماء بحله فيقول: يا ولدي كل من الخلق يفتي بقدر ما علمه الله عز وجل ثم يقول: يا ولدي إنها تأكل الحب أيام البذار ويطيرونها بالمقلاع ولذلك يعملون لها أشياء تجفلها في الجرون ولو كان الفلاحون يسمحون بما يأكله الحمام ما فعلوا شيئاً مما ذكرناه.

ثم بالغ فتورع عن أكل العسل النحل وقال إني رايت أهل الفواكه ببلادنا يطرون النحل عن زهر الخوخ والشمش وغيرهم ولا يسمحون بأكل أزهارهم فقال له والدي رحمه الله تعالى أما قال الله تعالى للمالك الحقيقي ﴿كُلِّ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾^(١) فقال الثمرات المملوكة أم للباحة؟ فسكت والدي ثم قال له والدي إن كل تفيد العموم فنحن على العموم فقال الخاص مقدم على العام وقد حرم الله عليك أن ترعى بقرتك في زرع الناس بغير رضاهم ثم تشرب لبنها فكشف والدي رحمه الله رأسه واستغفر وقال مثلي لا يكون معلماً لك يا سيدي وكان يقرئ الأطفال ولا يدخل جوفه قط شيئاً من ناحيتهم ولا من ناحية آبائهم حتى في أيام الغلاء كان يجوع ويطعم ذلك لأرامل البلد وإيتامها وكان عنده موهبة معلقة في سقف الزاوية كل صغير فضل من خبزة شيء يضعه فيها قال عمي الشيخ عبد الرحمن فكانت تملأ كل يوم وكان الأطفال نحو مائة نفس فيرسل العرفاء بقفص صغار بعد العشاء تفرقة على مساكين البلد وأوقات هو بنفسه وإذا كان الزمان زمان رخاء يترصد للمراكب التي ترسي من قلة الريح بساحل بلده فيرسله لهم مع الجبن والبول الحار ومعهما مهما وجد وكان لا يأكل قط من طعام فلاح ولا شيخ بلد ولا مباشر ولا أحد من أعوان الظلمة من منذ وعى على نفسه وقد إليه مرة رجل قباني في بولاق طعاماً فلم يأكله فقال يا سيدي هذا حلال هذا من عرقي فقال لا آكل من طعام من يمسك لليزان لعدم تحريرها في الغالب على وجه الخلاص.

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله كان جدك من إخواني في الجامع الأزهر وكان يضرب بي وبه للثل في شدة الاجتهاد وصيام النهار وقيام الليل بنصف القرآن كل ليلة وكان يفوقني في الورع فإنه لم يأكل من طعام مصر قط، ويقول: سمعت أخي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول: طعام مصر سم في الأبدان وكذلك كان لا يشرب من ماء محمول على يد غيره من البحر أبداً بل كان يأخذ له جرة ويذهب إلى بحر النيل فيملؤها ويشرب منها حتى تفرغ وكنا نتعامل عليه ونحن شباب فنشربها جميعاً في الليل ونقول

حتى ننظر ايش يعمل إذا عطش فيجس الجرة بيده فيجدها فارغة فيبتسم ويضحك ويسكت.

وكان كتابه المنهاج والشاطبية والمنحة وحل الثلاث كتب وصار يقرأ بالسبع وغيره وعمره نحو العشرين سنة وكنت لا افارقه ولا يفارقني فجاءته والدته بالكعيكات التي كان يتقوت منها على عادته فأخذت قميصه تغسله فوجدت فيه اثر احتلام فقالت إنني اخاف عليك من اهل هذا البلد فإن كنت في طاعة فسافر معي أزوجك في بلدي وتبعد عندي فشاورني فقلت استخر ربك فقال لا استخير في طاعة والدتي، وكان رحمه الله تعالى بارًا بوالدته وكانت امرأة لها قوة، تحمل الإربب وحدها وتضعه على ظهر الحماره قال وإن جدك ﷺ إذا غرقت مركب فيها شيء يؤكل كالرمان والقلقاس والقصب لا يمكن احداً من اهل بلده أن يمسك من ذلك شيئاً ويقول: تشغلوا ذمتكم بشيء أنتم في غنية عنه وغرق على رغم أنفه صاحبه ودعا الله أن لا يصح في دور ذريته برج حمام فبنوه مراراً وكتبوا له الجلب ولم يفرخ شيئاً من أن جيرانهم عندهم الأبراج وهو فيها بكثرة.

وكان ﷺ يقول: مات أبي وأنا صغير فما رباني إلا أمي فكنت أرى للناس بهائمهم بالكراء واتقوت وحفظت القرآن وأنا أرى البهائم فكنت أكتب لوحى وأخذه أحفظه في الغيط فمر علي بعض الفقراء الساذجين فقال يا ولدي اسمع مني وشاور والدتك وسافر إلى مصر تعلم بها العلم فشاورت أمي فسمحت لي بذلك وزودتني زوادة آكلها في نحو أربعة شهور ثم صارت تتفقدني إلى أن رجعت إليها وأخبرني جماعة ممن قرءوا عليه أنهم لم يضبطوا عليه غيبة واحدة في أحد إلى أن مات وكذلك لم يضبطوا عليه قط مدة صحبتهم ساعة فراغ فكان إن لم يكن في عمل أخروي كان في عمل ينفع الناس.

قالوا وكانت طريقته أنه يقوم رحمه الله بعد رقدة من الليل فيتوضأ ويصلي ما شاء الله أن يصلي ثم يثني ذيله في وسطه ويتحزم عليه في وسطه سراويل ثم يأخذ جراباً كبيراً ويبتدئ بالقراءة فلا يزال يملأ إلى قريب الفجر وربما قرأ نصف القرآن إلى الفراغ فكان يملأ سبيل زاويته التي أنشأها بحري بلده ثم يملأ سبيل الجامع ثم يملأ سبيلاً على طريق منف خارج جرن البلد ولما زوى أولاده الثلاثة والدي ومحمد وعبد الرحمن أعمامي كان يملأ لهم سقايتهم حتى مسافة الكلاب ولا يمكن احداً منهم يملأ ولا احداً من عيالهم ثم يرجع إلى ميضأة زاويته فيملؤها ويملاً حيطان أخليتها وينظفها ثم يصعد إلى سطح الزاوية فيسبح الله وينزهه ثم يؤذن فينزل فيصلي الفجر ويقرأ السبع هو وعرفاء الأطفال ثم يصلي بالناس الصبح ثم يجلس يتلو القرآن إلى طلوع الشمس فتجتمع الأولاد في المكتب فلا يزال يعلم هذا الخط وهذا رسم الخط وهذا الإدغام وهذا الإقلاب.

وهكذا يؤدب هذا ويرشد هذا ويسمع لهذا إلى أذان العصر فيملاً لليضة أو يكملها ثم يفتح دكانته على باب زاويته فيها الزيت الطيب والزيت الحار والعسل والرب والأرز والفلفل والمصطكي وغير ذلك فلا يزال يبيع للناس إلى أن يقضي حوائجهم للطعام والأكل قبل المغرب فيؤذن ويصلي بالناس ويجلس للسبع إلى صلاة العشاء فإذا صلى العشاء بالناس يفرغ من وتره حتى لا يبقى أحد يمشي في الأزقة وينام الناس فيغفو لحظة ثم يقوم يتوضأ ويصلي ويأخذ الجرار ويملاً الأسبلة كما تقدم هذا كان عمله على الدوام شتاء وصيفاً، وكانت زوجته رحمهما الله تعالى تقول له يا سيدي أما تستريح لك ليلة واحدة فيقول: ما دخلنا هذه الدار لذلك، وكان ﷺ إذا قويت الشبهة في ثمن شيء يبيعه لا يأخذ من ذلك المشتري ثمناً بل يعطيه حاجته ويقول: سامحناك فكان يظن أن ذلك لمحبتة له وإنما ذلك لقوة الشبهة في ماله على حسب مقام الجد ﷺ.

قلت: وقد تحدثت بذلك للشيخ محمد النامولي أحد أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه فقال صحيح كان هذا دأبه مدة صحبتنا له ثم قال لي سمعت سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول: ما في أصحابنا قط أكثر نفعا من الشيخ علي الشعراوي ثم قال لي الشيخ محمد ﷺ فإن شككت في قول سيدي إبراهيم ﷺ فاعرض هذه الأحوال للتقدمة على مشايخ مصر الآن لا تجد أحداً منهم يستطيع المداومة على هذه الأعمال جمعة واحدة ثم نظر إلي وحولي الفقراء والعتقودون وقال إن كنت تعمل فقيراً فاتبع جدك وإلا فانت سكة وصورة شيء ما في القصور فقلت أستغفر الله العظيم.

وأخبرني أنه كان إذا نزل سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ من البركة للريف يقول: للفقراء الميعاد عند الشيخ علي الشعراوي هذه الليلة فتكون ليلة عظيمة، قال الشيخ محمد رحمه الله فنزلنا أيام التين فاعترضنا أهل الصالحية وأهل برشوم وقالوا يا سيدي انزل هنا نطعم الفقراء التين لا نأكل التين إلا عند الشيخ علي الشعراوي في ذلك البر فقال الفقراء نترك بلد التين ونطلب التين في غير بلده قال فأول الفقراء لسيدي إبراهيم ﷺ استغفر الله لنا وتابوا من اعتراضهم الباطل وأخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى أن سبب عمارة والدي بيوت الخلاء في زاويته من كونها كانت خارجة عن البلد والفلاحون في الغالب لا يعتنون بدخول الأخلية أنه ورد عليه الشيخ سراج الدين التلواني فخرج فرأى الأولاد يقولون تعالوا بنا نتفرج على هذا القاضي في الخلاء فحصل عند والدي خجل عظيم لأجل ضيفه فطلب البناء وبنى بيوت الأخلية ذلك اليوم، وكان ﷺ إذا زرع مارساً من القمح يجعل بينه وبين الناس خطأ من الفول وإذا زرع مع الناس الفول جعل بينه وبينهم خطأ من القمح وهكذا في سائر الحبوب فإذا حصد ترك للناس خط الفول أو أخذه

إذا شاء فإن فوله وكان إذا سرح للحصاد يأخذ الإبريق معه للوضوء فإذا جاء وقت الصبح ترك الحصاد وصلى فكان شريكه يتكدر لأجل ذلك فيقول: كل طعام اكتسب بطريق حرام فهو حرام.

وكان ﷺ يقول: بلغني أن الأرض لا تأكل قط جسمًا نبت من حلال فكان بعض فقهاء بلاده ينكر ذلك عليه ويقول: هذا خاص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء فلما مات والدي أدخلوه عليه فوجدوه طريًا كما وضعوه بين دفن والدي ودفنه إحدى وعشرون سنة فأرسل الملحد للجد وراء الفقهاء الذين كانوا ينكرون على جدي ذلك وقال انظروا فاستغفروا الله وتابوا وكان ﷺ يكره من يقول: له يا نور الدين ويقول: نادوني باسمي علي كما سماني بذلك والدي وبات سيدي الشيخ علي العياشي أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري ﷺ وهو من أرباب القلوب ليلة في زاوية جدي فسمع جدي يقرأ القرآن في قبره^(١) فابتدا من سورة مريم إلى سورة الرحمن فطلع الفجر فسكت الصوت فأخبر أهل البلد بذلك فقالوا هذا الشيخ علي رحمه الله تعالى.

وكان ﷺ يقول: لا تجعلوا على قبري شاهداً وافنوني خلف جدار هذه القبة التي في الزاوية ففعلوا فليس لقبره علامة إلى وقتنا هذا.

وأخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن ﷺ قال لما حضرت والدي الوفاة دعا بكتاب سيدي عبد العزيز الدريني ﷺ المسمى بطهارة القلوب فقال لوالدك اقرأ لي في أحوال القوم عند خروج أرواحهم فقرأ له فتنهد وقال سبقونا على خيول دهم ونحن في أثرهم على حمير دبيرة وطلع النفاطات في لسانه حتى تزلع لسانه فكانت جدتي رحمها الله تقول والله ما أعلم من مناقشة الحساب ما قالت ذلك وأخبرني والدي في التربية سيدي خضر رحمه الله، قال إن جدك كان لا يجيء إلى القاهرة إلا ويأتي معه بالجراب الخبز وإبريق يملؤه من النيل فيشرب ويأكل من ذلك إلى أن يرجع ولم يذق لي طعاماً قط وقال لي تعرف سبب معرفتي بجدك قلت لا، قال نزلنا سنة من السنين مع سيدي محمد بن عبد الرحمن نائب جده وبعض بني الجيعان نتفرج في بلدكم أيام الربيع فأقمنا مدة فطاب لسيدي محمد الوقت فشرع في زراعات وبنى حواصل وصرف مصروفًا واسعًا فطلب شخصًا أمينًا يكون وكيلاً عنه في ذلك فقال جميع الفلاحين ليس عندنا أحد أكثر أمانة من الشيخ علي ﷺ فأرسلوا وراءه فحضر فقال إني لا أصلح لذلك فقالوا لا بد فأخذ مفاتيح الحواصل فلما طلع البطيخ خزنه وصار كل بطيخة حصل فيها تلف بنادي عليها إلى أن تنتهي الرغبات فيها ثم يكتب ثمنها عليه ويعطيها لمساكين البلد وصار يكتب تفاوت علف البهائم في اليوم

(١) ليس هناك دليل على ذلك ولو صح لنقل عن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والصحابية مثل ما ذكر.

الفلاني والثور الفلاني مرض الليلة الفلانية فلم يأكل عشاء تلك الليلة ونقص من غذائه في الوقت الفلاني وهكذا فلما حضر ابن عبد الرحمن ثاني مرة إلى البلد أرسل خلف جدك يطلب منه قائمة الصروف فنظر فيها ثم خرج من الخيمة مكشوف الرأس خازاً على أقدام جدك يقبلها ويبكي ويقول: يا شيخ علي اجعلني في حل فإني والله ما علمت بمقامك ثم صار يقول: مثل هذا الرجل يكون وكيلاً عني.

واخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله قال أهدي لنا سيدي محمد بن عبد الرحمن ثلاثة أطباق على رءوس ثلاثة من العبيد في واحد أثواب صوف وشاشان وثياب بعلبكية وفي الآخر حلاوة ومكسرات وفي الآخر أنواع من الطيب فرد القماش وقبل الحلاوة والطيب وفرق الطيب على صبايا البلد والحلاوة على أيتام البلد ولم يذق هو ولا أهل بيته شيئاً من ذلك وأراد عمي عبد الرحمن أن يأخذ له إصبغاً من الحلاوة فمنعه وقال يا ولدي هذا سم في الجسد فإنه كان جده يقبض العشور انتهى.

قال سيدي خضر وقد عاشرت جدك وأنا مباشر البلد إلى أن مات فما رأيته وضع يده في طعام الفلاحين ولا أخذ على شهادته لهم في الخراج والإجارات وعقود الأنكحة ولا خطابته لهم ولا إماماته بهم درهماً واحداً قال وكان يفضل للفلاح على استاذة الدرهم الواحد فيكتبه للفلاح لثاني سنة ويقول: لو أمكنني تخليصه لك هذه السنة لخلصته لك من استاذك وكان إذا ضاق به الحال من حيث الكسب بالبيع يكتب للمصاحف ويصنع الطواقي المضربة دالة في قلب دالة وكل واحد يعطونه فيها الدينار الذهب ويقولون: إن كل طعنة فيها مرقية بكلمة من القرآن لأنه كان إذا خاط يقرأ مع ذلك القرآن فكان يحسب رأس ماله فيها واجرة مؤنته وخياطته ويتصدق ببقية الدينار على الأراامل والمساكين.

وبلغني عنه أنه كان يقرأ القرآن وهو ينسخ كتب العلم لا يشغله أحدهما عن الآخر وتخرج كتابته سالمة من الغلط مع ذلك، واخبرني جماعة ممن كانوا يقرءون عليه أنه كان يأكل اللبن والطعام المائع مع المجذومين ويقول: إن هؤلاء خاطرهم مكسور وكان الذين يقرءون عليه يقولون: ما رأيناه قط نائماً في النهار في أيام الصيف ولا غيره. وكان ﷺ يقول: إن النهار لم يجعل للنوم ولما حج وتلقاه الناس وافق طلوعه للبلد أذان العصر فصعد سطح الزاوية وأذن ونزل وصلى بالناس ثم نزل فنظف بيوت الخلاء وملا الميضاة قبل دخول الدار ثم شرع من تلك الليلة في ملء الأسبلة المتقدم ذكرها على يديه على عادته ولم يسترح كما يقع للحجاج.

وكان يقول: الوقت سيف ولما جاء من الحج كثر بكاؤه وحزنه زيادة على ما كان

عليه قبل الحج ولم ير ضاحكاً قط حتى مات.

وكان إذا لبس القميص أو العمامة لا ينزعها للغسل قط إلا إن نزعوها وكانوا ينسونه بعض الأوقات فتصير كالوحدل ومع ذلك على ثيابه الفخر والنور يخفق منها من نور الأعمال وكانت عمامته من الصوف الأبيض وكان أشبه الناس بجدي الشيخ نور الدين الشوني رحمته الله شيخ الصلاة على رسول الله ﷺ بالجامع الأزهر وغيره في وجهه ولحيته وهمته وجسمه حتى إن الجماعة الذين قرعوا على جدي كلهم مطبقون على ذلك وكانوا يذهبون إلى الجامع الأزهر لرؤية الشيخ نور الدين لشبهه بجدي لا غير، ولما دفن سيدي نور الدين الشوني رحمته الله رثيته ثاني يوم فقال لي جاءني جدك إلى هنا هذه الليلة وقال أنست مكانك وإذا كان لك حاجة فنادني أحضر إليك في الحال ورايت بينهما اتحاداً عظيماً ولذلك جعلنا اسميهما مسبوكين معاً في الدعاء لهما في قراءة الأسباغ والكرسي وغيرهما في الزاوية التي دفن فيها الشيخ نور الدين الشوني رحمه الله تعالى كل واحد يدعي له بقريضة تخصه فإن كلا منهما والذي رضي الله عنهما.

وكان رحمته الله يقول: لا يعجبني كثرة العبادات من العبد وإنما يعجبني كثرة خوفه من الله عز وجل ومناقشة لنفسه، ورافقه مرة في سفره من القاهرة إلى بلده رجل عليه آثار الفقراء فقال له جدي ما حرفتك قال له مؤذن في جزيرة الفيل فقال له هل أقمت مقامك نائباً فقال الأمر سهل فقال هذا فراق بيني وبينك وساق وتركه، وكان رحمته الله لا يمكن أحداً من الفقراء البرهامية يفعل شيئاً في بلده مما يفعلونه في غيرها من أكل النار ودخولها وجبر السيف على اللسان وعلى الكف ويقول: إن كنتم برهامية فأتوا لنا بالبرهان على ذلك من الكتاب والسنة أو من فعل سيدي إبراهيم الدسوقي رحمته الله فانتصر جماعة من البلد للفقراء على جدي وقالوا لابد أن يفعلوا هذه الليلة ذلك حتى نتفرج عليهم فاتاهم تلك الليلة سيدي إبراهيم الدسوقي رحمته الله ^(١) وقال لهم أطيعوا الشيخ علياً رحمته الله وأنا بريء من كل عمل يخالف هدي الخلفاء الراشدين والأئمة المجتهدين فأصبحوا واستغفروا وتابوا ورجعوا عن ذلك الفعل فقال لهم أنا رجل برهامي ولو كنت أعلم رضا سيدي إبراهيم بذلك لكنت أول فاعل له لأنه قدوتي وشيخي.

وكذلك وقع له مع فقراء الأحمدية وكان شيخهم الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ وهيب السطوحي الأحمدية تلك الليلة فقال له يا شيخ عبد الرحمن إن كنت تطلع بلدنا فاطلعتها على الكتاب والسنة وإلا فأنت مهجور فدارت فيه الكلمة ونادى بأعلى صوته يا فقراء تفرقوا عني فإنني رجعت إلى الله تعالى عن هذه الطريقة ثم عقد

التوبة على يد جدي من تلك الليلة ثم جعل له خصاً في الجزيرة التي هي الآن متعلقة بالفقرء تجاه فم بحر الفيض وصار يتعبد فيها البحر محيط به يزوره الناس في المراكب إلى أن مات.

وكان يقول: كل هذا ببركة الشيخ علي بن شهاب فإنه أنقذني من الضلالة.

وظهرت للشيخ عبد الرحمن رحمه الله كرامات عظيمة: منها أنهم قطعوا مرة حطبا بغير إذنه من جزيرته وسافروا به فانقلبت للركب بالقرب من بولاق وغرق من فيها ولم تزل منحدره إلى أن أرسى على جزيرته فقال هذه بضاعتنا ردت إلينا، فقال صاحب المركب يا سيدي تغرق المركب كلها في حزمتين حطب، فقال هذا من سيدي أحمد البدوي رحمه الله ما هو مني، وكان جدي رحمه الله إذا خرج من بيته للصلاة لا يستطيع تارك الصلاة يفارقه حتى يصلي هيبة منه رحمه الله وكان إذا رأى جماعة الفلاحين في مجلس لغوهم يقول: يا أولادي العمر يضيق عن مثل ذلك عن قريب تندمون.

وكان رحمه الله ينتهي نسبه إلى سلطان تلمسان أبي عبد الله في الجد الرابع وبعده إلى السيد محمد بن الحنفية رحمه الله، وكان لا يظهر ذلك ويقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التفاخر بالنسب ولا يقدر الإنسان حقيقة إلا عمله ولو كان من أولاد أكابر الصحابة. وكان يقول: انظروا إلى الموالى الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كسلمان وبلال كيف صار شأنهم بطاعة الله ورسوله، وأخبرني سيدي كمال الدين زوفا من أولاد عمنا بنواحي البهنسا أن جدنا الخامس سيدي موسى المكنى بأبي عمران رحمه الله قال له سيدي أبو مدين رحمه الله لمن تنتسب قال إلى مولاي أبي عبد الله سلطان تلمسان قال له فقر وشرف لا يجتمعان فقال يا سيدي تركت الشرف فقال الآن نربيك.

قلت: وتبعه على ذلك أعمامي ووالدي فلما خفت موت نسبنا بالكلية ذكرتها في مؤلفاتي وأخبرني الشيخ كمال الدين المتقدم أن نسبنا القديمة وجدوا عليها خطوط أولياء المغرب وعلمائها وقضاتها فوقع بين أولاد عمنا وبين الخليفة سيدي يعقوب العباسي فأرشى عليها من أخذها وغيبها وقال ليس لنا أولاد عم أبداً خوف انقراض بيتهم أو ضعفه فيعطي أولاد عمنا الخلافة ولعمري الشرفاء أحق بذلك وهم كثير في أرض مصر فالله يكثر منهم ويعرفنا بمقدارهم والقيام بخدمتهم آمين، مات جدي رحمه الله سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وله من العمر سبع وخمسون سنة رحمه الله.

وليكن ذلك آخر من ذكرناه من أهل القرن التاسع وتركنا جماعات كثيرة من أهل القرافتين وغيرهما استغناء بكتب الزوار الموضوعة لذلك، فإن كتابنا هذا إنما

وضعبناه بالأصالة لبيان أهل الطريق واحوالهم وانهم كانوا على الكتاب والسنة فربما
تكثر البدع من فقراء أهل هذا العصر زيادة على ما هي عليه الآن فيعتقد العامة أن السلف
الذين يزعم هؤلاء أنهم على قدمهم كانوا على هذه البدع فلذلك لم نذكر في الغالب في
هذا الكتاب من المشايخ إلا من له كلام في الطريق أو أفعال تنشط المريدين، هذه طريق
الناسي بالأشياء، وأما الكرامات ونتائج الأعمال فليست هذه الدار محللاً لها إنما محلها الدار
الآخرة فلذلك لم نذكر منها إلا بقدر تسكين القلب لذلك الولي ليؤخذ كلامه بالقبول
والاعتقاد والله حسبي ونعم الوكيل.

خاتمة

ولنشرع في ذكر الخاتمة الموعود بذكرها في الخطبة، فنقول وبالله التوفيق:

خاتمة في ذكر مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر هـ .

وقد سبقني إلى نحو ذلك سيدى الشيخ عبد العزيز الدريني رحمه الله في منظومة له ،

فقال في أولها وهو لسان حالي أيضاً:

واذكر الآن رجالا كانوا	كانهم يزهو بهم الزمان
مشايخا صحبتهم زمانا	أو زرتهم تيركا أحيانا
مشايخي الأئمة الأبرار	وإخوتي الأحبة الأخيار
أرجو بذكرهم بقاء الذكر	لهم وفوزي بجزيل الأجر
فإنهم عاشوا بأنس الرب	سرا وذاقوا من شراب الحب
فهم جلوس في نعيم الحضرة	وجوهم في نضرة من نظره
وكل شيخ نلت منه علما	أو أدبا فهو إمامي حتما
وكل شيخ زرتة للبركة	فقد وجدت ريح تلك الحركة

إلى أن قال:

لك يبقى في الستين والستمائة	في الناس من أشياخنا إلا فئة
وإنني لغفلتي أقلهم	وقد تقضى منهم أجلهم
وقد عدت منهم جماعة	اشتهروا بالفضل والبراعة
وما سكت عن سواهم صدا	ولم أطلق حصر الجميع عدا
وإنما ذكرت قوما درجوا	ومن مضيق سجنهم قد خرجوا
قد كان لي بأنسهم سلوان	وما نسيت ذكرهم إذ بانوا
وقد بقيت بعدهم فريدا	مخلفا عن رفقتي وحيدا
أقطع الأوقات بالرجاء	ليحضر الوفاء بالوفاء
وفي الزمان منهم بقية	قليلة صالحة مرضية
فقل لهم إذا أقاموا بعدنا	يدعو لنا فقد دعونا جهدنا

إذا علمت فأقول وبالله التوفيق:

١ - فمن مشايخي سيدي محمد المغربي رحمه الله من الراسخين في العلم:

أخذ الطريق عن سيدي الشيخ أبي العباس تلميذ محمد الحنفي وكان من أولاد الأتراك وإنما اشتهر بالمغربي لكون أمه تزوجت مغربيا وكان الغالب عليه الاستغراق وكان بخيلا بالكلام في الطريق عزيز النطق بما يتعلق بها وذلك من اعظم دليل على صدقة وعلو شأنه فإن أهل الطريق رضي الله تعالى عنهم هكذا كان شأنهم، وقد بلغني أنهم سألوه أن يصنف لهم رسالة في الطريق فقال اصنف الطريق لمن؟ هاتوا لي راغبا صادقا إذا قلت له أخرج عن مالك وعمالك خرج فسكتوا، وكان يقول الطريق كلها ترجع إلى لفظتين سكتة ولفظة وقد وصلت.

قلت معناه عدم الالتفات لغير الله تعالى والإقبال على أوامر الله وكان إذا جاءه أحد من الفقهاء يقول له خذ علينا العهد فيقول يا أولادي روحوا واستكفوا البلاء فإن هذه طريق كلها بلاء أنتم في طريق تاكلون ما تشتهون وتلبسون ما تشتهون والناس يخافونكم ويطلبون منكم السكوت عنهم وهذه طريق يقام عليكم لليزان فيها ويطلق الناس السننهم عليكم ولا يجوز لكم فيها أن تربوا عن أنفسكم وإن لبس أحدكم ثوبا مصقولا أو ظهرا من محررات الخام خرج الناس عليكم وقالوا هذا ما هو لباس الفقراء فيرجعون عن طلب أخذ العهد عليكم فيقول أعجبني صدقكم في دعوى الكذب.

ولما جاء سيدي إبراهيم المواهي يطلب التربية قال له تربية بيتية وإلا سوقية قال يا سيدي ما معنى ذلك؟ قال أما التربية السوقية فأعلمك بها كلمات هذيان ككلام الوسطين في الفناء والبقاء وأحوال القوم وأذن لك بالجلوس على سجادة وتصير تأخذ كلاما وتعطي كلاما، وأما التربية البيتية فتشارك جميع أهل البلاء في سائر أقطار الأرض في بلاتهم ويقال فيك ما قيل من البهتان والزور وتصير كما صير من سبقك من أولي العزم من الأولياء ولا كلام ولا سجدة وأما أججوا النار على سيدي إبراهيم رحمه الله في تقريره في قوله تعالى: ﴿وَمَرْمَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١) وعقدوا له مجلسا في الجامع الأزهر جاء سيدي محمد المغربي رحمه الله وهم في أثناء الكلام فسكتوا كلهم فقال تكلموا حتى أتكلم معكم فلم يتجزأ أحد أن ينطق فقال الشيخ نحن أحق بتنزيه الحق منكم

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

أيها الفقهاء ومن طلب إيضاح ذلك فليبرز إلى أنكلم معه فسكتوا فأخذ بيد إبراهيم عليه السلام فلم يتبعهما أحد وكان الذي تولى جمع الناس وشن الغارة عليه العلاني الحنفي وقال هذا يتكلم في الماهية وذلك لا يجوز ثم إن الفقهاء لحقوا سيدي محمداً يترضون خاطره فقال لهم الطريق ما هي كلام كطريقكم إنما هي طريق ذوق فمن أراد منكم الذوق فليأت أخليه واجوعه حتى أقطع قلبه وأرقبه حتى يذوق وإلا فليكيف عن هذه الطائفة فإن لحومهم سم قاتل وكان عليه السلام يقول السالكون ثلاثة: جلالى وهو إلى الشريعة أميل وحمالي وهو إلى الحقيقة أميل وكمالي جامع لهما على حد سواء وهو منهما أكمل وأفضل وكان عليه السلام يقول حد الصفات مشتمل على النفي والإثبات على حد كلمتي الشهادتين سواء فإن نظرت إليها من حيث عدم الذات بها وهو طرف النفي.

قلت ليست هي هو كلا إله وإن نظرت إليها من حيث تعلقها بالذات وهو طرف الإثبات قلت: ولا غيره كإلا الله فلا يجوز الوقف عند قوله ليست هي هو كما لا يجوز الوقف عند قوله لا إله حذرا في الأول من إثبات الغيرية المحضة لصفات الله تعالى وفي الثاني حذرا من النفي المحض لذات الله تعالى هذا حكم كل كلام متعدد اللفظ متحد المعنى وذلك أن الكلمات المنطبقة على معنى واحد مرتبط بعضها ببعض كقولهم ليست هي هو ولا غيره فلا يجوز التكلم على بعض منها دون بعض لأن ذلك مما يخل بالمعنى من حيث إنه يتكلف لجزء الكلام معنى آخر وهذا مما يفسد نظام الكلام ويحرفه عن سبيل الاستقامة.

وكان يقول إنما أوجد العالم أجساما وجواهر وأعراضا نقيض ما هو موصوف به ليعلمنا بالفرق بيننا وبينه وقد استوى على العرش بقدمه وبذاته وعلى جميع الكون بعلمه وصفاته قلت: وفي قوله وبذاته نظر فإن الذات لا يصح في حقها استواء كما أجمع عليه المحققون وإنما يقال استوى تعالى بصفة الرحمانية على العرش فرحم بذلك الاستواء جميع من تحت العرش إما مطلقا وإما رحمة مغياة بغاية كرحمة إمهال الكفار بالعقوبة في دار الدنيا والله أعلم، وكان عليه السلام يقول في معنى قول حجة الإسلام: ليس في الإمكان أبدع مما كان: أي ليس في الإمكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا بخلاف ما استأثر الله تعالى بعلمه وبإدراكه وأبداعه خاصة به فهو أكمل وأبداع حسنا من هذا العالم بالنسبة إليه تعالى وحده فلو كان هذا العالم

يدخله نقص لنقص كمال الوجود وهو كامل بإجماع لأنه لا يصدر عن الكامل إلا الكامل قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا يَدَيَّنَا وَإِنَّا لَمُرْسِعُونَ﴾ (١٧) وَالْأَرْضَ قَرَرْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَسْهُودُونَ (١٨)

ومعلوم أن الامتداح لا يكون إلا فيما هو غاية ونهاية وإلا فكيف يمتدح الحق تعالى بمفضول. وكان ﷺ يقول من واجب حسنات الأبرار شهود الأغيار لترتيب العبادة والأحكام في هذه الدار وإن كان ذلك من سيئات المقربين الذين استغفرتهم الأنوار واستهلك عندهم سوى كما استهلك الليل في النهار وكان يقول أطلب طرق ساداتك وإن قلوا وإياك وطريق غيرهم وإن جلوا وكفى شرفا بعلم القوم قول موسى عليه الصلاة والسلام للخضر عليه السلام ﴿مَلَأْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنَّ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا﴾ (١٩). قال وهذا اعم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة وكان يقول ابن الشريعة ناظر بعين الحكم الظاهر ونسبة فعل الخلق إليهم لتوجه الخطاب وترتب الأحكام عليهم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٠).

وابن الحقيقة ناظر بعين الحكمة الناطقة ونسبة الفعل إلى الحق لأنه الفاعل المختار حقيقة ﴿وَرَبُّكَ بِعَذَابِكُمْ خَبِيرٌ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَبِيرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

فإذا كان أدب الشريعة مبينا على شهود الخلق في شهود الحق وأدب الحقيقة مبينا الخلق في شهود الحق وتباين الأمران تعين إظهار الأمر الظاهر وتحت إبطان الأمر الباطن خشية المعارضة والتعطل هذا سبب عدم بناء الحكم في الظاهر على الحكمة الباطلة إذ لو ترتب عليها حكم لتعذر على غالب الناس الجمع بينهما وافضى لنا الحرج والتشديد إلى شقاق بعيد، وكان ﷺ يقول في قول سيدي عمر بن الفارض ﷺ.

والسنة الأكوان إن كنت واعيا شهود بتوحيد بحال فصيحة

يريد بقوله شهود بتوحيد توحيد كل العالم أي التوحيد القهري الحالي المدخل للطائع والكافر والفاجر في حكم العبادة بالحال، وقوله بحال فصيحة أخرج التوحيد

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٧ : ٤٨.

(٢) سورة الكهف : الآية ٦٦.

(٣) سورة الصفات : الآية ٩٦.

(٤) سورة القصص : الآية ٦٨.

بالإلزام يتعرض له ولا لأهله لأنه مخصوص بالمؤمنين دون الكافرين وليس هو المقصود الأعظم في الآية المقتبس منها البيت وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١) فشيء نكرة وهي في سياق النفي تعم كل شيء من موحد وجاحد وحيوان وجماد فكان الحق تعالى يقول كل شيء يوحدني ويعبدني بباطنة وإن اختلف أمر باطنة قال وقوله:

وإن عبد النار المجوس وما انطفت
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم
كما جاء في الأخبار في كل حجة
سواي وإن لم يضمروا عقد نيتي

فهذا هو التوحيد الحالي العام المشار إليه في الآية بقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٢) أي هذا التوحيد الباطن فتظنوا له إن كنتم فقهاء فإنه محتاج إلى الفهم وهو موضع العلم الباطن الرباني ولولا أن الله تعالى رحم الأمة ودفع عنهم الحرج لوجه عليهم العذاب والنقمة لعدم فهمهم هذا التوحيد ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٣) ومن شواهد توحيد الحال هذا الظلال في قوله ﴿وَوَلَّلْنَاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٤) فكل الوجود وجد دليلا على موحدته فلا يكون بعضه غير دليل حتى للمخالف بدلالة وجوده ومخالفته عابد راكم ساجد شاء أم أبى فالقول بأن كل جاحد في الظاهر موحد في الباطن جائز بين قوم يفهمون كلام الله ومواضع إشاراته لا الذين يكذبون بما لم يحيطوا به علما من أسرارهِ وبيانه.

ولكن هذا التوحيد لا ينفع الكفار بشاهد حديث القبضتين وحديث الفراغ وجفوف الأقدام فلو كان ينفعهم هذا التوحيد الحالي لما دخل أحد منهم النار فأفهم، وكان ﷺ يقول أيضاً في قول سيدي عمر بن الفارض ﷺ:

ولو خطرت لي في سواك إدارة
على خاطري سهوا قضيت بردتي

مراده الردة النسبية لا الدينية لأن الرجوع والنزول من مقام القربين إلى حسنات الأبرار التي هي سينات القربين ردة عند القوم وذلك أن من لازم حسنات الأبرار شهود الأغيار المعارض للفناء ويسمى الشرك الأصغر وكان ﷺ يقول في رؤية النبي ﷺ يقظة

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٤) سورة الرعد: الآية ١٥.

المراد برؤيته كذلك يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية لأن من بالغ في كمال الاستعداد والتقرب صار محبوباً للحق وإذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحال اليقظة التي لغيره وحينئذ لا يرى رسول الله ﷺ إلا بروحه المتشكلة بتشكيل الأشباح من غير انتقال بانتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ إلى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كلفة الجيء والرواح هذا هو الحق الصراح^(١) وكان ﷺ يقول إنما جعل قتل الكلب المعلم للصيد ذكاه لا لئتماره بأمر سيده وانتهائه بزجره فهو كالمدينة بيد مولاه ولو كان مع نفسه وهواه لحرم أكل صيده والله أعلم.

هذا ما رأيته في الرسالة المنسوبة إليه بين أصحابه وكان ﷺ يقول إذا أراد أن يسلب عبد عند الموت سلطه على ولي يؤذيه، وكان ﷺ ينفق نفقة للوك من كيس صغير في عمالته ويؤتي منه الديون عن أصحابه عن المحتاجين كان رحمة بين العباد. مات ﷺ سنة نيف وتسعمائة ودفن بالقرافة.

٢- ومنهم الشيخ سيدي محمد عنان رضي الله تعالى عنه :

كان ﷺ من الزهاد العباد وما كنت أمثلة وأحواله إلا بطاوس اليماني أو سفيان الثوري وما رأيت في عصرنا مثله وكان مشايخ العصر إذا حضروا عنده صاروا كالأطفال في حجر مربيهم وكان على قدم في العبادة والصيام وقيام الليل من حين البلوغ وكان يضرب به للثل في قيام الليل وفي العفة والصيانة، ولما بلغ خبره إلى سيدي الشيخ كمال الدين إمام الكاملية سافر إلى بلاد الشرقية بقصد رؤيته فقط فلما اجتمع به أعجبه عجباً شديداً فأخذ عليه العهد وسافر به إلى سيدي أبي العباس الغمري بالمحلة فأخى بينه وبينه.

وكان ﷺ له كرامات عظيمة: منها أنه أطعم نحو خمسمائة نفس من ستة أقداح دقيق حتى شبعوا، وذلك أن فقراء بلاده اجتمعوا هذا العدد وطلعوا بلده على غفلة وكان قد عجن طحينة على العادة أول ما خط عارضه فقال لوالدته خذي هذه الفوطة وغطي هذه القصعة وقرصي فقطعت منها الخبز حتى ملأت البيت وحجيرة البيت ونصف الدار فقال لها اكشفي القصعة يكفي فكشفتها فلم تجد فيها شيئاً من العجين فقال وعزة ربي لو شئت ملأت البلد كلها خبزاً من هذا العجين بعون الله تعالى

(١) هنا كلام لطيف وتخريج طيب وتفسير جميل لقول من يقول برؤية .

ومنها إن شخصا كان زمنا في جامع الإسكندرية وكان كل من تشوش منه يقول يا قمل اذهب إلى فلان فتمتلئ ثياب ذلك الشخص قملا حتى كاد يهلك فبلغ سيدي محمداً ﷺ ذلك وهو في زيارة كوم الأفراح فقال اجمعوني عليه فجمعوه عليه فقال له أنت ما عرفت من طريق الله إلا القمل ثم أخذه بيده ورماه في الهواء فغاب عن أعين الناس من ذلك اليوم فلم يعرف أحد أين رماه الشيخ.

وحكى لي الشيخ على الأتميدي فقيه الفقراء عنده أن سيدي محمداً ﷺ أرسل النقيب من برهمتوش إلى سيدي أبي العباس الغمري في المحلة بع العشاء وقال لا تخل الصبح يؤذن إلا وانت عندي فمضى أبو شبل ورجع فقال له أشيخ عديت من أي للعادي فقال يا سيدي ما درت بالي للبحر ولا علمت به فقال الشيخ سر لأصحابه طوى البحر بهمته وعزمه فلم يجده في طريقة.

ومنها ما أخبرني به سيدي الشيخ العالم العامل المحدث الشيخ أمين الدين إمام الغمري قال كنت في سفر مع سيدي أبي العباس الغمري وسيدي محمد بن عنان فاشتد الحر علينا ونزل الشيخان وجلسا بين حمارتين ونشرا عليهما بردة من الحر فعطش سيدي أبو العباس الغمري ﷺ فلم يجد ماء فأخذ سيدي محمد بن عنان طاسة وغرف بها ماء من الأرض وقدمه لسيدي أبي العباس الغمري ﷺ فلم يشربه وقال يا شيخ محمد الظهور يقطع الظهور فقال وعزة ربي لولا خوفاً الظهور لتركتها عينا يشرب الناس والدواب منها إلى يوم القيامة وكان ذلك ببلاد الشرقية بنواحي صنضبسط هذه حكاية الشيخ أمين الدين ﷺ بلفظه وكان من الصادقين.

وحكى لي الشيخ بدر الدين المشتولي رحمة الله قال سمعت سيدي عبد القادر الدشطوطي ﷺ عنه يقول إن الشيخ محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه يعرف السماء طاقة وأخبرني سيدي الشيخ شمس الدين الطنيزي رحمة الله تعالى صهر سيدي محمد بن عنان أن شخصا أكولا نزل مع الشيخ محمد ﷺ وهم في مركب مسافرين نحو دمياط فأخبروا سيدي محمداً ﷺ أنه أكل تلك الليلة في المركب فرد سمك فسيخ ونحو قفة تمر فدعاه سيدي ﷺ وقال له اجلس وقسم رغيفا نصفين وقال كل وقل بسم الله الرحمن الرحيم فشبع من نصف الرغيف ولم تزل تلك أكلته لم يزد على نصف الرغيف حتى مات فجاء أهله وقالوا للشيخ جزاك الله عنا خيرا خففت عنا.

واخبرني سيدي الشيخ امين الدين رحمة الله تعالى امام الغمري ايضاً ان شخصاً في مقبرة برهمتوش كان يصيح في القبر كل ليلة من المغرب إلى الصباح فاخبروا سيدي محمداً ﷺ بخبره فمشى إلى المقبرة وقرأ سورة تبارك ودعا الله تعالى ان يغفر له فمن تلك الليلة ما سمع له احد صياحاً فقال الناس شفع فيه الشيخ وكان ﷺ وقته مضبوطاً لا يتفرغ قط للكلام لغو ولا لشيء من اخبار الناس ويقول كل نفس مقوم على بسنة وكان يتهياً لتوجه الليل من العصر لا يستطيع احد ان يخاطبه إلى ان يصلي الوتر فإذا صلى قام للتهجد لا يستطيع احد ان يكلمه حتى يضحى النهار وكان هذا دابة ليلاً ونهاراً شتاء وصيفاً وكنا ونحن شباب في ليل إلى الشتاء نحفظ الواحنا ونكتب في الليل ونقرأ ماضينا وهو واقف يصلي على سطح جامع الغمري ثم ننام ونقوم فنجد قائماً يصلي وهو متلفع بحرامه فنقول هذا الشيخ لا يكل ولا يتعب هذا والناس من شدة البرد تحت اللحف لا يستطيعون خروج شيء من أعضائهم.

وسمعت سيدي محمداً السروي شيخ الشناوي يقول ما رأت عيني اعبد من ابن عنان، وكان ﷺ يحب الإقامة في الأسطحة وكل جامع أقام فيه عمل له فوق سطوحه خصاً وتارة خيمة، واخبرني أنه أقام في بدء أمره ثلاث سنين في سطح جامع عمرو بن العاص ﷺ وكان لا ينزل إلا وقت صلاة الجماعة او وقت حضور درس الشيخ العارف بالله تعالى سيدي يحيى المناوي فإنه كان من اهل علمي الظاهر والباطن وكذلك كان يحضره جماعة من الاولياء كسيدي محمد السروي ﷺ وسيدي محمد ابن اخت سيدي مدين ﷺ و اضرابهما، وسمعت ﷺ يقول سخر الله تعالى لي الدنيا مدة إقامتي في جامع عمرو فكانت تأتيني كل ليلة بإناء فيه طعام ورغيفين وما خاطبتها قط ولا خاطبتني ولكن كنت اعرف انها الدنيا، وسمعت يقول حفظت القرآن وأنا رجل فحفظت اول النصف الأول على الفقيه ناصر الدين الأخطابي ثم النصف الثاني على أخي الشيخ عبد القادر وكان ﷺ إذا نزل في مكان فكان الشمس حلت في ذلك المكان لا اكاد اشهد غير ذلك هذا وأنا صغير لا افصح عن مقامات الرجال والله إنه ليقع لي في الليلة الباردة انني اقوم وأنا كسلان عن الوضوء والصلاة فلا اجد احداً في ذهني حالة ينشطني غيره فإني اعرض هذا الحال واقول في نفسي لو قام الشيخ محمد ﷺ في مثل هذه الليلة هل كان يرجع إلى النوم بغير وضوء وصلاة فيزول عني الكسل بمجرد ذكر حاله ﷺ، ولقد سمعته ﷺ يقول من منذ وعيت على نفسي لا

اقدّر على جلوسي. بلا طهارة قط ولقد كانت تصيبني الجنابة في الليالي الباردة فلا اجد ماء للغسل إلا بركة كانت على باب دارنا في ليالي الشتاء فكنت انزل فيها وعلى وجهها الثلج فاغرقه يمينا وشمالا ثم اغطس فأجد الماء من اللهمة كأنه مسخن بالنار والله لقد رأيته بعيني يستنجي في الخلاء فيبطئ عليه الماء للوضوء فيضرب يده على الحائط يتيمم حتى يجد الماء ولا يجلس على غير طهارة لحظة.

وكان يقول مجالسة الأكابر تحتاج إلى دوام الطهارة وأردت ليلة من الليالي أمد رجلي للنوم فكل ناحية أردت أن أمد رجلي فيها أجد فيها وليا من أولياء الله تعالى فأردت أن أمدّه إلى ناحية سيدي محمد ﷺ بباب البحر فوجدتها تجاه قبره فنمت جالسا فجاءني ومسك رجلي ومدها ناحيته وقال مد رجلك ناحيتي البساط أحمدي فقممت ونعومة بده في رجلي ﷺ. وكان يتكدر ممن يضع بين يديه شيئا من الدنيا ليفرقه على الفقراء ويقول ما وجدت أحدا يفرق وسخك في البلد غمري واخبرني الشيخ عبد الدائم ولد أخيه قال بعث مركب قلقاس من زرع عمى وجنته من ثمنها بأربعين ديناراً ووضعها بين يديه بكرة النهار فصاح في وقال الله لا يصبحك بخير تصبحنا فرفعتنا من بين يديه وأنا خجلان.

وكان ﷺ إذا دعاه من في طعامه شبهة يجيبه ولكن يأخذ في كفه رغيفا يأكله على سفرة ذلك الرجل مسارقة من غير أن يلحظ أحد به هكذا رأيته وكان حاضرا الشيخ أبو بكر الحديدي والشيخ محمد العدل ﷺ فأراد أن يفعلا مثل فعله فقال كلا انتما لا حرج عليكما.

ولما طلب الغوري الشريف بركات سلطان الحجاز ورأى منه الغدر جاء إلى سيدي محمد ﷺ بعد صلاة العصر ونحن جلوس بين يديه فقام له الشيخ واعتنقه وقال له الشريف أريد أهرب هذا الوقت وخاطرك معي لا يلحق بي الغوري حتى اتخلص من هذه البلاد فإن النوق تنتظرني نواحي بركة الحاج فدخل سيدي محمد ﷺ الخلوة فانتظره الشريف فلم يخرج والوقت ضاق فقال لي وللشيخ حسن الحديدي خادمة استعجلا لي الشيخ ففتحننا باب الخلوة فلم نجد الشيخ فيها فرددنا الباب فبعد ساعة خرج وعيناه كالدم الأحمر فقال اركب يا شريف لا أحد يلحقك فما شعر الغوري به إلا بعد يومين فتخلص إلى بلاد الحجاز فأرسل في طلبه فلم يلحقوه.

وسمعت سيدي عليا الخواص عليه السلام يقول أنا ما عرفت الشيخ محمد بن عنان إلا من سيدي إبراهيم المتبولي عليه السلام كنت وأنا عنده أبيع الحمير في غيطه في بركة الحاج اسمعه يقول وعزة ربي لتتوزعن حملتي بعد موتي على سبعين رجلا ويعجزون فقال له الشيخ يوسف الكردي رحمه الله تعالى يا سيدي من يأخذ خدامة الحجرة النبوية بعدكم ؟ فقال شخص يقال له محمد بن عنان سيظهر في بلاد الشرقية، وكان عليه السلام يقول الفقير ما رأس ماله في هذه الدار إلا قلبه فليس له أن يدخل على قلبه من أمور الدنيا شيئا يكدره والله لقد رأيته وهو في جامع المقسم بباب البحر أوائل مجيئه من بلاد الريف جاءه شخص وقال له يا سيدي إن جماعة يقولون هذه الخلاوى التي فيها الفقراء لنا وكان ذلك يوم الوقت فخرج وأمر بنقل دسوت الطعام إلى الساحة التي بجوار سيدي محمد الجبروتي عليه السلام. وكمل طبخ الطعام هناك وقال الفقير رأس ماله قلبه وأخبرني الشيخ شمس الدين اللقائي المالكي رحمة الله تعالى قال دخلت على سيدي محمد بن عنان عليه السلام يوما وأنا في ألم شديد من حيث الوسواس في الضوء والصلاة فشكوت ذلك إليه عهدنا بالمالكية لا يتوسوسون في الطهارة ولا غيرها فلم يبق عندي بمجرد قوله ذلك شيء من الوسواس ببركته.

وكان عليه السلام لا يعبه أحد يصلح للطريق في زمانه ويقول هؤلاء يستهزئون بطريق الله ولم يلحق أحدا قط الذكر غير الشيخ أحمد الندي جاءه بالمصحف وقال أقسمت عليك بصاحب هذا الكلام إلا ما لقنتني الذكر فغشى على الشيخ عليه السلام من قسمه عليه بالله عز وجل ثم لقنه وقال يا ولدي الطريق ما هي بهذا إنما هي باتباع الكتاب والسنة. وجاءه مرة شخص لابس زي الفقراء فقال يا سيدي كم تنقسم الخواطر فقطب الشيخ وجهه ولم يلتفت إليه فلما قام الرجل قال الشيخ لا إله إلا الله ما كنت أظن أني أعيش إلى زمان تصير زمان الطريق إلى الله عز وجل فيه كلاما من غير عمل وكان مدة إقامته في مصر لا يكاد يصلي الجمعة مرتين في مكان واحد بل تارة في جامع عمرو وتارة في جامع محمود وتارة في جامع القراء بالقرافة، وحضرته صلاة الجمعة مرة بالقرب من الجامع الأزهر فقال هذا مجمع الناس وأنا استحي من دخول فيه وكان عليه السلام يزور الفقراء الصادقين أحياء وأمواتا لا يترك زيارتهم إلا من مرض وكانت أنظره لم يزل يدير السبحة وهو يقرأ القرآن.

وكان لا يركب قط إلى مكان في زيارة أو غيرها إلا ويحمل معه الخبز والدقة يقول نعم الرفيق إلى الرجل إذا جاع وليس معه خبز استشرفت نفسه للطعام فإذا وجده أكله بعد استشراف النفس وقد نهى الشارع ﷺ عن ذلك وسمعته ﷺ يقول كل فقير نام على طراحة فلا يجيء منه شيء في الطريق لأن من ينام على الطراحة ما قصده قيام الليل الذي هو مطية المؤمنين وبراقهم ثم يقول إن النبي ﷺ نام على عباءة مثنية طاقين فنام عن ورده تلك الليلة فقال لعائشة رديها إلى حالها الأول فإن لينها ووطأتها منعني قيام ليلتي، وأخبرني سيدي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري ﷺ قال كان شخص من أرباب الأحوال بناحية شان شلمون بالشرقية جالسا في البرية وقد حلق على نفسه بزرב شوک وعنده داخل هذه الحلقة الحيات والثعالب والثعابين والقطط والذئاب والخرفان والأوز والدجاج فزاره الشيخ محمد ﷺ مرة فقال أهلا بالجنيدي ثم زاره مرة أخرى فقال أهلا بالجنيدي ثم زاره مرة أخرى فقال مرحبا بالأمر ثم زاره مرة أخرى فقال أهلا بالسلطان ثم زاره مرة أخرى فقال مرحبا براعي الصهب فكانت تلك آخر تحيته.

قلت: ومناقب الشيخ عليه السلام لا تحصر والله اعلم. ولما حضرته الوفاة ومات نصفه الأسفل حضرت العصر فأحرم جالسا خلف الإمام لا يستطيع السجود ثم اضطجع والسبحة في يده يحركها فكانت آخر حركة يده آخر حركة لسانه فوجدناه ميتا فجردته من ثيابه أنا والشيخ حسن الحديدي وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة عن مائة وعشرين سنين ودفن بجامع المقسم بباب البحر وصلى عليه الأئمة والسلطان طومان باي وصار يكشف رجل الشيخ ويمرغ خدوده ليها وكان يوما في مصر مشهودا عليه السلام.

٣ - ومنهم سيدي الشيخ أبو العباس الغمري الواسطي عليه السلام:

كان جبلا راسيا وكنزا مطلما ذا هبة على الملوك فمن دونهم، وكان له كرامات كثيرة يحفظها جماعته منها أنه وقع من جماعته صرة فيها فضة أيام عباب البحر والركب منحدر نواحي سمانود فلم يشعروا بها إلا بعد أن انحدرت كذا وكذا بلدا فأوقف الشيخ عليه السلام المركب وقال روحوا إلى المكان الفلاني وارموا الشبكة تجدوها ففعلوا فوجدوها^(١). ومنها ما حكاه لي ولده سيدي أبو الحسن عليه السلام قال كنت مع والدي ومعنا عمود رخام على جملين فجئنا إلى قنطرة ضيقة لا تسع سوى جمل واحد فساق الشيخ عليه السلام الجمل الآخر فمشى على الهواء بالعمود^(٢). ومنها أنه أراد أن يعدي من ميت غمر إلى زفتى فلم يجد المعدي فركب على ظهر تمساح وعدي عليه^(٣).

ومنها ما أخبرني به الشيخ أمين الدين عليه السلام إمام جامعة بمصر أنهم أرادوا أن يقيموا عمد الجامع بيتوا على الناس يساعدونهم فقام الشيخ وحده فأقام صفين من العمد فأصبحوا فراوهم واقفين، وأخبرني الشيخ حسن القرشي رحمه الله قال نزل عندنا سيدي أبو العباس يقطع جميزة في ترعة أيام الملق ومعه مركب فقطعوا الجميزة وحملوها في المركب فغاصت في الوحل فقالوا يا سيدي نحتاج إلى مركب أخرى نخفف الخشب فيها وكانت المراكب امتنعت من دخول بحر المحلة من قلة مائة فمكث الشيخ عليه السلام إلى الفجر فبينما هو يصلي إذا دخلت لنا مركب وفيها شخص

(١) هذه أشياء كثيرة تروى عن هؤلاء الأولياء والله في خلقه حكم.

(٢) هذه أشياء كثيرة تروى عن هؤلاء الأولياء والله في خلقه حكم.

(٣) هذه أشياء كثيرة تروى عن هؤلاء الأولياء والله في خلقه حكم.

نائم فنبهه سيدي أبو العباس فقام من جاء بي إلى هنا فإني كنت في ساحل ساقية أبي شعرة في البحر الشرقي فقالوا له جاء بك هذا السبع يعنون الشيخ رحمه الله فحملوا الخشب في المركبين وساروا رحمه الله.

وكان سيدي الشيخ الصالح محمد العجمي رحمه الله كاتب الربعة العظيمة التي بجامعة بمصر يقول والله لو أدرك الجنيد رحمه الله سيدي أبا العباس رحمه الله لأخذ عنه الطرق وكان رحمه الله لا يمكن حدا صغيرا يمزح مع كبير. ورأى مرة صبيا يغمز رجلا كبيراً فأخرجهما من الجامع ورمى حوائجهما وكان لا يمكن امرداً يؤذن في جامعہ ابدأ حتى يلتحي وعمر رحمه الله عدة جوامع بمصر وقراها وكان السلطان قايتباي يتمنى لقاءه فلم يأذن له، وجاءه مرة ولده السلطان محمد الناصر على غفلة يزوره فلما ولى قال اخذنا على غفلة.

وأحواله كثيرة مشهورة في بلاد الريف وغيرها، وقد رأيت مرة واحدة حين نزل إلى بلدنا ساقية أبي شعرة في حاجة وعمره ثمان سنين. مات رحمه الله في صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بأخريات الجامع بمصر المحروسة رضي الله تعالى عنه.

٤ - ومنهم سيدي الشيخ نور الدين الحسن المديني رضي الله تعالى عنه:

أحد اصحاب سيدي محمد بن أخت سيدي مدين كان رحمه الله من العارفين بالله عز وجل ورأيت وأنا صغير وأخذ عنه الشيخ تاج الدين الذاكر بعد أن مات سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين وكلاهما كان أخذ عنه وسمع يوماً شخصاً يبيع خشب الشيوخ التي تسرح بها النساء الكتان وهو يقول قفة شيوخ بنصف فضة فأخذ منها معنى وقال قفة شيوخ بنصف فضة وقال قد رخصت الطريق فلم يلحق أحداً بعدها.

حتى مات رحمه الله، كان رحمه الله مرصداً لقضاء حوائج الناس عند الأمراء والحكام، وكان بينه وبين سيدي محمد بن عنان ود عظيم ومؤاخاة رضي الله عنهما.

٥ - ومنهم شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الخزرجي رحمة الله تعالى أمين:

أحد أركان الطريقين الفقه والتصوف وقد خدمته عشرين سنة فما رأيت قط في غفلة ولا اشتغال بما لا يعني لا ليلاً ولا نهاراً، وكان رحمه الله مع كبر سنه يصلي سنن الفرائض قائماً ويقول لا أعود نفسي الكسل وكان إذا جاءه شخص وطول في الكلام يقول بالعجل ضيعت علينا الزمن وكنت إذا اصلحت كلمة في الكتاب الذي

أقرؤه عليه أسمعه يقول بخفض صوته الله الله لا يفرح حتى افرغ وكنت أتغدى معه كل يوم فكان لا يأكل إلا من خبز الخانقاه وقف سعيد السعداء ويقول واقفها كان من الملوك الصالحين ووقف وقفها بإذن النبي ﷺ وصنف للصنفات الشائعة في اقطار الأرض.

ولازمت الناس قراءة كتبه لحسن نيته وإخلاصه ولما قرأت شرحه على رسالة القشيري في علم التصوف أشار على بحفظ الروض وكنت حفظت المنهاج قبل ذلك فعرضت عليه وقلت أنه كتاب كبير فقال اشرع وتوكل فإن لكل مجتهد نصيبا فحفظت منه إلى باب القضاء وحصل لي رمى الدم من الحصر في الحفظ فأشار على بالوقوف وقرأت شرحه على الروض إلى باب الجهاد وقرأت عليه تفسير القرآن العظيم للبيضاوي مع حاشيته عليه وحاشية الطيبي على الكشاف وحاشية السيد وحاشية الشيخ سعد الدين التفطاراني وحاشية الشيخ جلال الدين السيوطي إلى سورة الأنبياء وقرأت عليه شرح آداب البحث له وحاشيته على جمع الجوامع وطالعت عليه حال تأليفه لشرح البخاري فتح الباري للحفاظ ابن حجر وشرح البخاري للكرماني وشرحه للعيني الحنفي وشرحه للشيخ شهاب الدين العسقلاني على قدر كتابتي له في شرحه وخطي متميز فيه وأظنه يقارب النصف وكنت إذا جلست معه كأني جالست ملوك الأرض الصالحين العارفين.

وكان أكبر المفتين بمصر يصير بين يديه كالطفل وكذلك الأمراء والأكابر وكان كثير الكشف لا يخطر عندي خاطر إلا ويقول قل ما عندك ويبطل التأليف حتى افرغ وكنت إذا حصل عندي صداع الحال المطالبة له يقول أنو الشفاء بالعلم فأنوية فيذهب الصداع لوقته. وقال لي مرة من صغري وأنا أحب طريق القوم وكان أكثر اشتغالي بمطالعة كتبهم والنظر في أحوالهم حتى كان الناس يقولون هذا لا يجيء منه شيء في علم الشرع فلما ألفت كتاب شرح البهجة وفرغت منه استبعد ذلك جماعة من الأقران وكتبوا على نسخة منه كتاب الأعمى والبصير تنكيثا على لكون رفيقي في الاشتغال كان ضريرا وكان تأليفي له إلى أن كان فروغه في يوم الاثنين ويوم الخميس فقط فوق سطح الجامع الأزهر وكان وقتي رائقا وظاهري بحمد الله تعالى محفوظا وكنت مجاب الدعوة لا أدعو على أحد إلا ويستجاب

فيه الدعاء فأشار على بعض الأولياء بالتستر بالفقه وقال استر الطريق فإن هذا ما هو زمانها فلم أكد اتظاهر بشيء من أحوال القوم إلى وقتي هذا.

وحكى لي يوما أمره من حين جاء إلى مصر إلى وقت تلك الحكاية وقال احكي لك أمري من ابتدائه إلى انتهائه إلى وقتنا هذا حتى تحيط به علما كأنك عاشرتني من أول عمري فقلت له نعم فقال جئت من البلاد وأنا شاب فلم أعكف على أحد من الخلق ولم أعلق قلبي به وكنت أجوع في الجامع كثيرا فأخرج بالليل إلى قشر البطيخ الذي كان بجانب الميضاة وغيرها فأغسله وأكله إلى أن قبض الله لي شخصا كان يشتغل في الطواحين فصار يتفقطني ويشتري لي ما احتاج إليه من الكتب والكسوة ويقول يا زكرياء لا تسأل أحدا في شيء ومهما تطلب جئت بك به فلم يزل كذلك سنين عديدة فلما كان ليلة من الليالي والناس نيام جاءني وقال لي قم فقممت معه فوقف لي على سلم الوقاد الطويل وقال لي اصعد هذا فصعدت فقال لي اصعد فصعدت إلى آخره فقال لي تعيش حتى يموت جميع أقرانك وترتفع على كل من في مصر من العلماء وتصبح طلبتك شيوخ الإسلام في حياتك حين يكف بصرك فقلت ولا بد لي من العمي قال ولا بد لك ثم انقطع عني فلم أره من ذلك الوقت ثم تزايد على الحال إلى أن عزم على السلطان بالقضاء فأبيت وقال أن أردت نزلت ماشيا بين يديك أقود بخلتك إلى أن أوصلك إلى بيتك فتوليت وأعانني الله على القيام به ولكن أحسست من نفسي أن تأخرت عن مقام الرجال فشكوت إلى بعض الرجال ما ثم إلا تقديم إن شاء الله تعالى فإن العبد إذا رأى نفسه متقدما فهو متأخر وإن رأى نفسه متأخرا فهو متقدم فسكن روعي وقال ﷺ ما كان أحد يحملني كما يحملني السلطان قايباي كنت أخط عليه في الخطبة حتى أظن ما عاد قط يكلمني فأول ما أخرج من الصلاة يتلقاني ويقبل يدي ويقول جزاك الله خيرا فلم تزل الحسدة بنا حتى أوقعوا بيننا الوقعة وكان مالمسكا لي الأدب ما كلمني كلمة تسوءني قط ولقد طلعت له مرة فأغلظت عليه القول فاصفر لونه فتقدمت إليه قلت له والله يا مولانا إنما أفعل ذلك معك شفقة عليك وسوف تشكرني عند ربك وإني والله لا أحب أن يكون جسمك هذا فحمة من فحم النار فصار ينتفض كالطير.

وكننت أقول له أيها الملك تنبه لنفسك فقد كنت عدما فصرت وجودا وكننت رفيقا فصرت حراً وكننت مأمورا فصرت أميرا وكننت أميرا فصرت ملكا فلما

صرت ملكا تجبرت ونسيت مبدأك ومنتهاك إلى آخره. وقال لي كان أخي الشيخ علي النبتيتي يجتمع بالخضر عليه السلام^(١) فباسطه يوما في الكلام فقال للخضر عليه السلام ما تقول في الشيخ يحيى المناوي فقال لا بأس به فقال ما تقول في فلان ما تقول في فلان ما تقول في الشيخ زكريا فقال لا بأس به إلا أن عنده نفسية فلما أرسل لي أخي الشيخ علي الضرير بذلك ضاقت علي نفسي وما عرفت الذي أشار إليه بالنفسية فأرسلت إلى سيدي علي النبتيتي الضرير فقلت له إن اجتمعت بالخضر فاسأله من فضلك على ما أشار إليه بالنفسية فلم يجتمع به مدة تسع شهور فلما اجتمع به سأله فقال له إذا أرسل تلميذه إلى أحد من الأمراء يقول له قال الشيخ زكريا كبت وكبت فيلقب بالشيخ فلما أرسل لي الشيخ بذلك فكانه حط عن ظهري جبلا وصرت أقول للقاصد إذا أرسلته إلى أحد من الأمراء والوزراء قل للأمير أو الوزير يقول لك زكريا يا خادم الفقراء كذا وكذا.

وقال لي مرة كنت معتكفا في العشر الأخير من رمضان فوق سطح الجامع الأزهر فجاءني رجل تاجر من الشام وقال لي إن بصري قد كف ودلني الناس عليك تدعو الله أن يرد على بصري وكان لي علاقة في إجابة دعائي فسألت الله أن يرد عليه بصره فأجابني لكن بعد عشرة أيام فقلت له الحاجة قضيت ولكن تسافر من هذا البلد فقال ما هي أيام نقول فقلت له إن أردت أن يرد الله عليك بصرك تسافر وذلك خوفا أن يرد عليه بصره في مصر فيهتكني بين الناس فسافر مع جمال فرد الله عليه بصره في غزة وأرسل لي كتابا بخطه فأرسلت أقول له متى رجعت إلى مصر كف بصرك فلم يزل بالقدس إلى أن مات بصيرا وقد البسني الخرقه ولقنني الذكر من طريق سيدي محمد الغمري، وذكر لي أنه سافر إلى المحلة الكبرى فأخذ عنه لبس الخرقه وتلقين الذكر وقرا عليه كتابه المسمى بقواعد الصوفية كاملا قال وكان أصحابه يفرحون بحضوره عنده لأجل سؤالي له المعاني الكلام فإنهم كانوا لا يتجهمون عليه بالسؤال من هيئته لأنه كان جليل القدر وكان كثير الصدقة ماضيا أحدا كان في مصر أكثر صدقة منه كما شاهدته منه ولكن كان يسرها بحيث لا يعلم أحدا من الجالسين.

(١) يجوز ذلك مناما أو يقظة فليس هناك دليل على ذلك والخضر كان أيام سيدنا موسى عليه السلام كما حكى القرآن .

وجاءه مرة رجل أسمر وكان شريفاً من تربة قايتباي فقال له يا سيدي خطبت عمامتي هذه الليلة وكان حاضراً الشيخ جمال الدين الصاني والشيخ أبو بكر الظاهري -جابي الحرمين فأعطاه الشيخ جديداً فرماه في وجه الشيخ وخرج غضبان منه فأعلمت الشيخ بذلك فقال هو أعمى القلب الذي جاء بحضرة هؤلاء الجماعة.

وكنت يوماً أطلع له في شرح البخاري فقال لي قف اذكر لي ما رأيته في هذه الليلة وقد كنت رأيت أنني معه في مركب قلعتها حرير وحبالها حرير وفرشها سندس أخضر وفيها أرائك ومتكات من حرير والإمام الشافعي رحمه الله جالس فيها والشيخ زكريا عن يساره فقبلت يد الإمام الشافعي رحمه الله ولم تزل تلك المركب سائرة بنا حتى أرسيت على جزيرة من كبد البحر الحلو وإذا فواكهها مدلاة في البحر فطلعت من المركب فوجدت بستاناً من الزعفران كل نورة منه كالإبساط العظيمة وفيه نساء حسان يجنين منه.

فلما حكيت له ذلك قال إن صح منامك يا فلان فإن أدفن بالقرب من الإمام الشافعي رحمه الله فلما مات أرسلوا هينوا له قبراً في باب النصر فصار الشيخ جمال الدين والشيخ أبو بكر الظاهري يقولان ما صح منامك يا فلان فبينما نحن في ذلك وإذا بقاصد الأمير خير بك نائب السلطة بمصر يقول إن ملك الأمراء ضعيف لا يستطيع الركوب إلى ههنا وأمر أن تركبوا الشيخ على تابوت وتحملوه للأمير ليصلي عليه في سبيل المؤمنين بالرميلة فحملوه وصلوا عليه فقال أدفنوه بالقرافة فدفنوه عند الشيخ نجم الدين الخبوشاتي تجاه وجه الإمام الشافعي رحمه الله وذلك في شهر الحجة سنة ست وعشرين وتسعمائة.

٦ - منهم الشيخ علي النبتيتي الضرير رحمه الله تعالى وﷺ:

كان من أكابر العلماء العاملين والمشايع المكلفين وكانت مشكلات المسائل ومعضلاتها ترسل إليه من الشام والحجاز واليمن وغيرها فيحل مشكلاتها بعبارة سهلة وكانت العلماء كلهم تدعن له وكان مقيماً ببلده نبتيت بنواحي الخانقاه السرياقوسية والخلق تقصده من سائر الأقطار وكان إذا جاء إلى مصر تندلق عليه الناس يتبركون به وقد اجتمعت به مرات عند شيخنا شيخ الإسلام الشيخ زكريا في المدرسة الكاملية مرات وحصل لي منه لحظ وجدت بركته في نفسي إلى وقتي هذا

واسمعتني حديث عائشة رضي الله عنها فيمن ارضى الله بسخط الناس إلى آخره وقال لي احفظ هذا الحديث فإنك سوف تبتلي بالناس.

وكان يجتمع بالخضر عليه السلام^(١) وذلك ادل دليل على ولايته فإن الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية وسمعته يقول وهو بالمدرسة الكاملية لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن جمعت فيه ثلاث خصال فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط ولو كان على عبادة لللائكة الخصلة الأولى أن يكون العبد على سنته في سائر احواله، والثانية ألا يكون له حرص على الدنيا، والثالثة أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام لا غل ولا غش ولا حسد. وحكى له عن الشيخ أبي عبد الله التستري أحد رجال رسالة القسيري أنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام ويقول إن الخضر لا يجتمع بأحد إلا على وجه التعليم له فإنه غنى عن علم العلماء لما معه من العلم اللدني.

وقد بلغني أن الشيخ عبد الرازق الترابي أحد تلامذته جمع مناقبه نظماً ونثراً فمن أراد الزيادة على ما ذكرناه فعليه بذلك الكتاب توفي في يوم عرفة سنة سبع عشرة وتسعمائة ودفن ببلده وضريحاً بها ظاهر يزار، وهذا من نظمه.

وما لي لا أنوح على خطائي	وقد بارزت جبار السماء
قرأت كتابه وعصيت سرا	لعظم بليتي ولشؤم رائي
بلائي لا يقاس به بلاء	وأفاتي تدل على شقائي
فيا ذلي إذا ما قال ربي	إلى النيران سوقوا ذا المرائي
فهذا كان يعصيني مرارا	ويزعم أنه من أوليائي
تصنع للعباد ولم يزدني	وكان يزيد بالمعنى سوائي

إلى أن قال في آخرها:

فيا ربي عبيد مستجير	يروم العفو من رب السماء
حقير ثم مسكين فقير	بنيتيت أقام على الرياء
على باسمه في الناس يعرف	وما يدري اسمه حال ابتداء

(١) سبق التعليق على موضوع الخضر عليه السلام.

فأذبحه إذا أمسى حياً رهن الرمس في لحد البلاء

٧ - ومنهم الشيخ على بن الجمال النبتيتي رحمه الله تعالى:

أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري، كان من الرجال للعدودة في الشدائد، وكان صاحب همّة يكاد يقتل نفسه في قضاء حاجة الفقراء وحج هو وسيدي أبو العباس الغمري وسيدي محمد بن عنان وسيدي محمد للنير وسيدي أبو بكر الحديدي وسيدي محمد العدل في سنة واحدة فجلسوا يأكلون تمرا في الحرم النبوي فقتل سيدي أبو بكر الحديدي لا أحد يأكل أكثر من رفيقه وكانت ليلة لا قمر فيها فلما فرغوا عدوا النوى فلم يزد واحد على آخر ثمرة واحدة.

واخبرني الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري أن الشيخ أبو العباس الغمري عليه السلام أودع عنده قفص دجاج وهو في الريف ليرسله له في القاهرة فتحزم وشمر وشاله على رأسه من نبتيت إلى القاهرة وكان يسافر كل سنة إلى مكة بالحبوب يبيعها على المحتاجين وكان مشهوراً في مكة بالحواف في البيع لأنه كان يخبر في الثمن بزيادة على الناس ويقول لا أبيع إلا بذلك الثمن بنفسه فكل من رضى بذلك الثمن يعلم أنه محتاج فيعطيه ولا يأخذ له ثمناً وكل من قال هذا غال لا يبيعه ويعرف أنه غير محتاج.

وكان يفرق كل سنة الثياب على أهل مكة ويضرب عليهم السكر وكذلك على أهل المدينة فكل من أخبر الناس بذلك يسترد منه ما أعطاه له ويقول يا أخي غلظت فيك هذا ما هو لك وكان يخلط ماله على الذي يجنيه من الناس باسم الفقراء ويفرقه ويقول هذا من مال فلان وفلان . توفي سنة نيف وتسعمائة ودفن في نبتيت في زاويته ولم اجتمع عليه غير مرة واحدة فدعا لي بأن الله يسترني بين يديه في القيامة فنسأل الله أن يقبل ذلك رضي الله تعالى عنه .

٨ - ومنهم الشيخ عبد القادر بن عنان أخو الشيخ محمد رحمه الله تعالى أمين:

صحبه نحو سبع سنين على وجه الخدمة وكان يتلو القرآن أثناء الليل وأطراف النهار إن كان يحصد أو يحرق أو يمشي لأن ورده كان قراءة القرآن فقط وكان سيدي محمد بن عنان يقول الشيخ عبد القادر عمارة الدار والبلاد وكان يغلب عليه الصفاء والاستغراق تكون تتحدث أنت وإياه فلا تجده معك . ووقائع كثيرة مع

الحكام ومشايخ العرب لأنه كثير العطب لهم وكان يقول كل فقير لا يقتل من هؤلاء الظلمة عدد شعر رأسه فما هو فقير مات سنة العشرين والتسعمائة ودفن ببر همتوش ببلاد الشرقية وقبره بها ظاهر يزار ﷺ.

٩ - ومنهم الشيخ محمد العدل رحمه الله تعالى أمين:

صحبتة نحو خمس سنين فكان ذا سمت حسن وقبول تام بين الخاص والعام وكان أصله من جماعة سيدي على الدويب وكان أخلاه سنة كاملة لا يحضر جمعة ولا جماعة فأرسل له الشيخ محمد بن عنان كتابا يقول له فيه إن لم تخرج للجمعة والجماعة وإلا فأنت مهجور حتى تموت .

فخرج من الخلوة واجتمع بسيدي محمد بن داود وسيدي أبي العباس الغمري وهجر شيخه الدويب وذلك أن شيخه كان من أرباب الأحوال الذين لا يقتدي بأحوالهم وكان مقصد الجماعة لسيدي محمد العدل أن يكون من المقتدى بهم، وأصل تسميته العدل أن شخصا رأس رسول الله ﷺ في المنام فقال له قل لمحمد العدل الطناحي يتبع سنتي وينفع الناس فاشتهر بالعدل من ذلك اليوم ومات ودفن بطناح وقبره يزار ﷺ .

١٠ - ومنهم الشيخ بن داود المنزلاوي رحمه الله تعالى:

اجتمعت به مرات ودعا لي بالبركة في العمر وذلك أن سيدي خضرا الذي كان كلفني وأنا يتيم اخذني بيده وجاء بي إلى سيدي محمد بن عنان وكان عنده الشيخ محمد العدل والشيخ محمد بن داود والشيخ أبوبكر الحديدي وقال كل منكم يدعو لهذا الولد دعوة فدعا كل واحد منهم لي دعوة فوجدت بركة دعائهم إلى وقتي هذا، وكان سيدي محمد بن داود يضرب به المثل في اتباع الكتاب والسنة وخدمة الفقراء والمنقطعين وعدم تخصيص نفسه عنهم بشيء من المأكول والمشرب والملبس وربما كانت زوجته تطبخ له الدجاجة فلا تظهره عليها حتى تنام الفقراء ليأكلها وحده فياخذها ويخرج إلى الزاوية وينبه الفقراء ويفرقها عليهم وأحواله مشهورة في المنزلة وولده الشيخ شهاب الدين كان يضرب به المثل في اتباع الكتاب والسنة وما رايت في عصري هذا اضبط منه للسنّة ولا من الشيخ يوسف الحريثي . مات بالسمية قرية في بلاد المنزلة ودفن بزاويته وقبره ظاهر يزار ﷺ .

١١. ومنهم الشيخ محمد السروي رحمة الله تعالى أمين:

الأشهر بابي الحمانل أحد الرجال المشهورة في الهمة والعبادة وكان يغلب عليه الحال فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء وكان إذا قال قولا ينفذه الله له . وشكا له أهل بلده من الفار وكثرته في مقناة البطيخ فقال لصاحب المقناة رح وناد في الغيط حسب ما رسم محمد أبو الحمانل إنكم ترحلون أجمعون فنأدى الرجل لهم كما قال الشيخ فلم ير بعد ذلك اليوم منهم ولا فآرا واحدا فسمعت البلاد بذلك فجاءوا إليه فقال لهم يا أولادي الأصل الإذن من الله ولم يرد عنهم الفار .

وكان مبتلي بزوجته يخاف منها أشد الخوف حتى كان يخلو الفقير في الخلوة فتخرجه من الخلوة بلا إذن من الشيخ فلا يقدر يتكلم وأخبرتني قبل موتها أنه كان كثيراً يكون جالسا عندها فتمر عليه الفقراء في الهواء فينادونه فيجيبهم ويطير معهم^(١) فلا تنظره إلى الصباح وكان لا يقرب أحدا قط إلا بعد تكرار امتحانه بما يناسبه، جاءه الشيخ على الحديدي يطلب منه الطريق فرآه ملتفتا لنظافة ثيابه فقال إن كنت تطلب الطريق فاجعل ثيابك مسحه لأيدي الفقراء فكان كل من أكل سمكا أو زفرا يمسح في ثوبه يده مدة سنة وسبعة شهور حتى صارت ثيابه كثياب الزياتين أو السماكين وكان فقيها موسوسا فلما رأى ثيابه لقنه الذكر وجاء منه في الطريق وأخذ عنه تلاميذه كثيرة .

وسمعتة يحكي قال بينما أنا ذات يوم في منارة جامع فارسكور ليلة من الليالي إذ مر عل جماعة طيارة فدعوني إلى مكة فطرت معهم فحصل عندي عجب بحالي فسقطت في بحر دمياط^(٢) فلولا كنت قريبا من البر وإلا كنت غرقت وصاروا وتركوني وكان إذا اشتد عليه الحال في مجلس الذكر ينهض قائما ويأخذ الرجلين ويضرب بهما الحائط، وأخبرني الشيخ يوسف الحريثي قال رأيت الشيخ محمد السروي وقد حصل له حال في جامع فارسكور فحمل تامور الماء وفيه نحو الثلاثة قناطير من الماء على يد واحدة وصار يجري بعه في الجامع، وأخبرني الشيخ علي بن ياقوت أنه سمعه يقول لقنت نحو ثلاثين ألف رجل ما عرفني منهم أحد غير محمد الشناوي وقد

(١) سبق بيان إن هذه أمور ليس عليها دليل ولم يصلنا خبرها عن أي طريق .

(٢) سبق بيان إن هذه أمور ليس عليها دليل ولم يصلنا خبرها عن أي طريق .

اجتمعت به مراراً عديدة وهو في الزاوية الحمراء خارج القاهرة ولقنني الذكر ولما دخل مصر سكن بنواحي جامع الغمري فكنت اقبل يده فيدعو لي فاجد بركة دعوته في نفسي وكان يكره للمريد قراءة حزب الشاذلية واحزاب غيرهم ويقل ما راينا قط احدا وصل إلى الله بمجرد قراءة الأحزاب والأوراد.

وكان يقول نحن ما نعرف إلا لا إله إلا الله بعزم وهمة وكان يقول مثال ارباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلاً ونهاراً ان الله تعالى يزوجه بنت السلطان وكان يقول لجماعة الشيخ أبي الواهب على وجه التوبيخ بلسان حالهم اجعل لي واعمل اي واصطفني ولا تخلي احدا فوقني واحدكم نائم اقرا على الشيخ يحيى المناوي في جامع عمرو بن العاص في خلوة الكتب وقت القيلولة فدخل علينا رجل في وسطه خيشة محزم عليها بحبل وهو اسود كبير البطن فقال السلام عليكم فقلنا وعليكم السلام فقال للشيخ ايش تعمل بهذه الكتب كلها فقال اكتشف عن المسائل فقال اما تحفظها فقال له الشيخ لا فقال انا احفظ جميع ما فيها فقلنا له كيف فقال كل حرف فيها يقول لك كن رجلاً جيداً ثم خرج فلحقنا منه بهت فخرجنا خلفه فلم نجد احداً.

وكان ﷺ يغير على أصحابه ان يجتمعوا باحد من اهل عصره ويقول الذي ابنه تهدونه عند غيري ، ولما حج ﷺ اجتمع عليه الناس في مكة من تجار وغيرهم وقال لخدمه نحن جنبنا نتجر وإلا نتجر للعبادة في هذا البلد ولا نشتغل بالناس فإذا كان وقت المغرب امض إلى بيوت هؤلاء الجماعة الذين يأتون إلينا وقل لهم الشيخ يمسى عليكم ومحتاج إلى ألف دينار وقل لكل واحد منهم بمفرده وكل من لقينه قل له هكذا فلم يأت أحد منهم من تلك الليلة وانقطعوا كلهم من ذلك اليوم فقال الحمد لله رب العالمين ووقائع مشهورة بين أصحابه ﷺ ومات رحمة الله عليه بمصر وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن بزاويته بخط بين السورين في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ﷺ .

١٢- ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي رحمة الله تعالى ورضي عنه آمين :

كان من الأئمة الراسخين في العلم وله المؤلفات النافعة في الطريق واختصر رسالة القشيري ﷺ وتكلم على مشكلاتها وقرائها عليه بعد قراءتها على الشيخ زكريا رحمة الله تعالى فكنت اعرض عليه ما سمعته من شرح الشيخ لها فيقره ويمدحه

وبه ول كان الشيخ زكريا من العارفين ولكنه تستر بالفقه وتلفتت عليه الذكر ثلاث مرّات متفرقات أول مرة وأنا شاب أمرد دخلت عليه بعد العصر فقلت له يا سيدي لقني الذكر بحال قوي بسم الله الرحمن الرحيم يا ولدي وأطرق ساعة وقال قل لا إله إلا الله فما استتمها الشيخ إلا وقد غبت عن إحساسي فما استفتت إلا المغرب فلم أجد عندي أحدا فمكثت خمسة عشر يوما مطرودا لا أستطيع الاجتماع به لسوء انبي معه في قلبي لقني بحال قوي الثانية لقني فسمعت منه لا إله إلا الله ثلاث مرّات فغبت كذلك فرايت في تلك الليلة كان الشيخ بيده ثلاث مآبر فغرزها في جلدي إلى آخرها فلما أفقت ذكرت له ذلك فقال الحمد لله الذي أظهر أثرها الثالثة لقني حين لقن الشيخ أبا العباس الحريثي ؑ لكونه أصفى قلبا مني وأكبر سنا وأعرف بمقام الرجال ثم لا زلت أتردد بصحبته مدة حياة الشيخ ؑ.

وذكر لي سيدي أبو العباس رحمة الله أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات فقال الشيخ الفقير ووقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمه كل درجة ألف ختمه وكان ؑ يقول إذا وقع من المريد شيء مذموم عند شيخه وهو محمود عند غيره فالواجب عليه عند أهل الطريق رجوعه إلى كلام شيخه دون كلام غيره وإن قال للمريد إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه بالرجوع إلى كلام شيخه وأولي إذا كان من الراسخين في العلم وكان ؑ يقول إذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه لأنه في حالة تهمة لارتداده عن طريق شيخه وهذا المر قل أن يسلم منه مريد طرده شيخه لأنه لضعفه يخاف من تجريحه فيه وتنقيصه عند الناس حين يرون أن شيخه طرده وتضييق عليه الدنيا فلا يجد منفسا إلا الحط في شيخه والرد عن نفسه بنحو قوله لو رأينا فيه يعني الشيخ خيرا ما فارقناه فيزكي نفسه ويخرج في شيخه وبذلك يستحكم للقت فيه لاسيما إن اجتمع بعد شيخه على من ينقص شيخه ويزدرية ويظهر فيه للعائب فإنه يهلك مع الهالكين ولكن أراد الله بمزيد خيرا جمعه عن غضب شيخه على من يحب شيخه ويعظمه فإن المريد يندم على شيخه ضرورة ويرجه إليه وكان ؑ يقول إذا خرج المريد عن حكم شيخه وانقطع عن مجلسه فإن كان سبب ذلك الحياء من الشيخ أو من الجماعة لزلة وقع فيها أو فترة حصلت منه فهو كالطلاق الرجعي فالشيخ أن يقبله إذا رجع لأن حرمة الشيخ في نفس هذا المريد لم تزل لا سيما والمريد أحوج ما

يكون إلى الشيخ حال أعوجاجه فينبغي للشيخ التلطف بهذا اللريد وعدم الغلظة عليه والهجر له إلا أن يكون وثق به لقوة العهد الذي بينه وبينه . وكان ﷺ يقول ليس للمريد أن يسأل شيخه عن سبب غيظة وهجره له بل ذلك من سوء الأدب .

وكان ﷺ يقول لا يجوز للمريد عند أهل الطريق أن يجيب عنه نفسه أبداً إذا لطخه شيخه بذنب لأنه يرى ما لا يرى اللريد فإنه طبيب وكان يقول ليس للشيخ أن يبين للمريد صورة الفتح الذي علم من طريق الكشف انه يثول إليه أمر اللريد بعد مجاهداته وكمال سلوكه لأن اللريد إذا حصل معنى صورة ذلك في نفسه وتكرر شهوده له ربما ادعى الفتح وباطنه معرى عن ذلك إذ النفس معرضة للخيانة وعدم الصدق وكثرة الدعوى وربما فارق هذا شيخه وادعى الكمال لعلمه بصورة الفتح علماً لا حذقاً ولا نوقاً كما يظهر المنافق صورة المؤمن في العمل الظاهر وباطنه معرى عن الموجب لذلك العمل وكلامه ﷺ غالبه سطرته في كتابة رسالة الأنوار القدسية وغيرها من مؤلفاتي .

وكان ﷺ في بداية أمره ذامياً واجتمع بسيدي مدين ﷺ وهو ابن ثمان سنين ولم يأخذ عنه كما سمعته منه فلما كبر اجتمع بابن اخته سيدي محمد ﷺ وأخذ عنه الطريق واجتمعت عليه الفقراء في مصر وصار هو المثار إليه فيها لانقراض جميع اقرانه وكان ﷺ من شأنه إذا كان يتكلم في دقائق الطريق وحضر أحد من القضاة بنقل الكلام إلى مسائل الفقه إلى أن يقوم من كان حاضره ويقول ذكر الكلام بين غير أهله عورة . ومن وصيته لي إياك أن تسكن في جامع أو زاوية لها وقف ومستحقون ولا تسكن إلا في المواضع المهجورة التي لا وقف لها لأن الفقراء لا ينبغي لهم أن يعاشروا إلا من كان من حرفتهم وعشرة الضد تكدر نفوسهم .

ملت ﷺ ورحمه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن بزوايته بقنطرة الأمير حسين بمصر وقبره بها ظاهر يزار ﷺ .

١٢ - ومنهم الشيخ تاج الدين الذاكر رضي الله تعالى عنه :

كان ﷺ وجهه يضي من نور ذا سمت حسن وتجل بالخلق الجميلة تكاد كل شعرة منه تنطق وتقول هذا ولي الله وكان ﷺ يفرش زوايته باللباد الأسود لنلا يسمع وقع اقدامهم إذا مشوا ويقول حضرة الفقراء من حضرة الحق لا ينبغي أن يكون

فيها علو صوت ولا حس قوي وكان أصحابه في غاية الجمال والكمال وكان ﷺ له التلاميذ الكثيرة والاعتقاد التام في قلوب الخاص والعام ومكان ﷺ كثير الشفاعات عند السلطان والأمراء وكان ﷺ يمكث السبعة أيام بوضوء واحد^(١) كما أخبرني بذلك خادمة الشيخ عبد الباسط الطحاوي.

قال وانتهى أمره انه كان في آخر عمره يتوضأ كل أحد عشر يوما وضوءا واحد قال وعزم عليه جماعة في جامع طولون ليمتحنوه في ذلك فدعوه إلى ناحية الجيزة في الربيع وصاروا يعملون له الخراف والدجاج والدين بالرز وغير ذلك وهو يأكل معهم من ذلك كله ثم لا يروونه يتوضأ لا ليلا ولا نهارا مدة تسعة أيام^(٢) فقيل للشيخ في ذلك يا سيدي إنك في امتحان مع هؤلاء فتشوش منه وجاء إلى البحر يعدي فعدي في مركب والجماعة للمتحنون في مركب فغرق بهم فأخبروا الشيخ فقال لله الحمد ثم تدارك ذلك وقال ما وقعت مني قبل ذلك قط قال الشيخ عبد الباسط خادمه رحمة الله تعالى فمرض الشيخ بسبب هذه الكلمة نحو سبعة وأربعين يوما .

وأخبرني أخي الشيخ الصالح شمس الدين المرصفي ﷺ أنه قال لي أربعون سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء وقد طويت سجادتي بعدي ومكث ﷺ خمسا وعشرين سنة لم يضع جنبه على الأرض وكان ﷺ يقول ليس القناعة أن يأكل الفقير كل ما وجد من يسير الخبز والأدم إنما القناعة أن يأكل إلا بعد ثلاثة أيام لقيمات يقمن صلبه وأكثرها خمس ، ولما حضرته الوفاة قالوا له يا سيدي من هو الخليفة بعدكم لنعرفه ونلزم الأدب معه فقال قد أذننا لفلان وعد عشرة من أصحابه أن كل من حضر منهم يفتتح الذكر بالجماعة والطريق تعرف أهلها ولو هربوا منها تبعتهم .

وكان من العشرة سيدي شهاب الدين الوفائي وسيدي الشيخ إبراهيم وسيدي الشيخ عبد الباسط وهم أجل من أخذ عنه ، فنسأل الله أن يفسح في أجلهم للمسلمين وكان ﷺ يقول لا تصح الصحبة لشخص مع شيخه إلا إن شرب من مشروبه واتحد به اتحاد الدم في العروق مات رحمة الله تعالى سنة نيف وعشرين وتسعمائة ودفن بزاويته بجوار حمام الدود خارج باب زويله وكانت جنازته مشهورة ﷺ آمين .

(١) هذه أمور فوق طاقة البشر فالإنسان لا يستطيع أن يعيش هذه المدة دون نوم أو إخراج.

(٢) هذه أمور فوق طاقة البشر فالإنسان لا يستطيع أن يعيش هذه المدة دون نوم أو إخراج.

١٤- ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أبو السعود الجارحي تعالى عنه :

هو من أجل من أخذ عن الشيخ شهاب الدين الرحومي رحمه الله وكانت له في مصر الكرامات الخارقة والتلامذة الكثيرة والقبول التام عند الخاص والعام والملوك والوزراء وكانوا يحضرون بين يديه خاضعين وعملوا بأيديهم في عمارة زوايته في حمل الطوب والطين وكان كثير المجاهدات لم يبلغنا عن غيره ما بلغنا عن غيره ما بلغنا عنه في عصره من مجاهداته .

وكان ينزل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام وذلك بوضوء واحد ^(١) من غير أكل وأما الماء فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية وكان رحمه الله يقول إني أبلغ إلى الآن مقام مريد ولكن الله تعالى يستر من يشاء وكان رحمه الله إذا سمع كلاماً يسمعه بالسمع الباطن ، وسمع قائل يقول يا سيدي فسدت المعاملة ونودي على الفلوس بأنها بكالة فصاح وسقط على وجهه وبتف لحيته ومكث يصيح يوماً كاملاً . وجاءه مريد من بلبيس يريد أن يجتمع به فلم يأذن له فقال جئتك من مكان بعيد فقال له تمن على بمجيئك من موضوع بعيداً اذهب لا تأتني لثلاث سنين فلم يجتمع به إلا بعد ثلاث سنين ثم قال الشيخ كان المريد يسافر ثلاث شهور في طلب مسألة في الطريق ويرى تلك السفارة قليلة .

وكان رحمه الله يعامل أصحابه بالامتحان فلا يكاد يقرب منهم أحداً إلا بعد امتحانه سنة كاملة ، وكان يلقي حاله على الفقير فيتمزق وأخبرني الشيخ شمس الدين الأبوصيري رحمه الله أجل أصحابه قال لم يزل الشيخ يمتحنني إلى أن مات وأراني ضرب المقارع على أجنابه من الدعاوى التي كان يدعيها على عند الحكام قال وكنت اعترف عن الحكام إثارةً لأجناب الشيخ أن يرد قوله فإذا قال هذا زنى بجاريتي أقول نعم أو يقول هذا أراد الليلة أن يقتلني أقول نعم أو يقول هذا سرق مالي أقول نعم ^(٢) وكان رحمه الله يتنكر علينا أو قاتا فلا نكاد نعرفه وهرب منا إلى مكة ونحن في الحبس فلم نشعر به إلى أن وصل إلى مكة فخرجت أنا وأبو الفضل المالكي في غير أوان الحج فوصلنا مكة في خمسة عشر يوماً فلما وصلنا إلى مكة استخفى منا وأشاع أنه سافر إلى اليمن فسافر

(١) ليس هناك من يطيق ذلك .

(٢) لا يجوز للمسلم أن يتهم الناس بالباطل أو يشهد عليهم زوراً .

إليه خمسة شهور من مكة فخرج إلينا شخص خارج زبيد وقال إن شيخكم في مكة في هذا اليوم فرجعنا فلما بقى بيننا وبين مكة يوم وليلة خرج إلينا وقال إن شيخكم باليمن فرجعنا إليه وقال لنا إن الذي قال لكم إن شيخكم بمكة شيطان فرجعنا إلى اليمن فخرج إلينا وقال إن شيخكم بمكة فلم نزل كذلك ثلاث سنين حتى ظهر لنا أنه بمكة فأقمنا معه فادعى علينا دعاوى وضربونا وحبسونا ولم نر منه يوما واحدا كلمة طيبة .

وكان ﷺ عنه يقول ليس لي أصحاب ، قلت وقال لي يوما من حين عملت شيخا في مصر لي سبع وثلاثون سنة ما جاء لي قط أحد يطلب الطريق إلى الله ولا يسأل عن حسرة ولا عن فترة ولا عن شيء يقربه إلى الله وإنما يقول أستاذي ظلمني وامراتي تناكدني جاريتي هربت جاري يؤذيني شريكي خائني وكلت نفسي من ذلك وحننت إلى الوحدة وما كان لي خيرة إلا فيها فياليتني لم أعرف أحدا ولم يعرفني أحد وجاء مرة أمير بقفص موز وorman فردده عليه فقال هذا الله تعالى فقال الشيخ إن كان لله فأطعمه للفقراء فأخذه الأمير ورجع به إلى بيته فأرسل الشيخ فقيرين بصيرا وقال الحقاه وقولا له يا أمير اعطنا شيئا لله من هذا الموز والorman فتوها مثل ما قال لهما الشيخ ولحقاه وقال له يا أمير اعطنا شيئا لله فنهرهما ولم يعطهما شيئا فرجعا واخبرا الشيخ بما وقع لهما فأرسل له الشيخ يقول له تقول هذا لله وتكذب على الفقراء وتتهر من يقول لك اعطنا يا أمير شيئا فلا عدت تأتيننا بعد ذلك اليوم أبدا فحصل له العزل ولحقته العاهات في بدنه ومات على أسوأ حال . ولما حضرت الشيخ الوفاة أرسل خلف شيخ الإسلام الحنفي وجماعة وقال اشهدكم على بأني ما أذنت لأحد من أصحابي في السلوك فما منهم أحد شم رائحة الطريق ثم قال اللهم اشهد اللهم اشهد .

وكان ﷺ له شطحات عظيمة وكان كثير العطب فكان عطبه للناس بحمية . مات رحمه الله سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاويته بالكوم الخارج بالقرب من جامع عمرو في السرداب الذي كان يعتكف فيه وما رأيت أسرع كشفا منه وحصل لي منه دعوات وجلت بركتها ، وكان ﷺ يقول لا تجعل لك قط مريدا ولا مؤلفا ولا زاوية وفر من الناس فإن هذا زمان الفرار ، وسمعتة مرة يقول لفقيه من الجامع الأزهر متى تصير هاء الفقيه راء والحمد لله رب العالمين .

١٥ - ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المنير رضي الله تعالى عنه :

أحد أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي ؑ وهو الذي أمره بحفر البئر والسقي منها على الطريق في المحل الذي هو فيه الآن قبل عمارة البلد فأقام مدة يسقى عليها وبني لزوجته خصا ثم عمرت الناس حول الخص إلى أن صارت بلدا وكان يحج كل سنة ويقدس بعد أن يصل إلى مصر ويقيم شهرا ، وأخبرني ؑ قبل موته أنه حج سبعا وستين حجة هذا لفضة لي بالجامع الأزهر وهو معتكف أواخر رمضان وكان ؑ يكره الكلام في الطريق من غير سلوك ولا عمل ويقول هذا بطالة ومكث نحو ثلاثين سنة يقرأ في الليل ختمه وفي النهار ختمه وكانت عمامته صوفيا أبيض وكان يلبس البشت المخطط بالأحمر ويقول أنا رجل أحمدي تبعا لسيدي إبراهيم المتبولي ؑ وترددت إليه في حياته نحو العشرين سنة وحججت معه الحجة الأولى سنة خمس عشرة وتسعمائة .

وكان ؑ أكثر أوقاته يحج على التجريد ماشيا وعلى كتفه ركوة يسقي الناس منها وكان رحمة الله يطوي الأكل والشرب في الطريق وفي مدة لإقامته بمكة والمدينة خوف التغوط في تلك الأماكن وكان عليه القبول وكان له شعرة طويلة بيضاء وكان يحلقها في كل سنة في الحج وكان رحمة الله يحمل لأهل مكة والمدينة ما يحتاجون إليه من الزاد والسكر والصابون والخيط والإبر والكحل لكل واحد عنده نصيب فكانوا يخرجون يتلقونه من مرحلة وكان سيدي محمد بن عراق ؑ ينكر عليه ويقول هذه الأشياء يحملها من الأمراء وتجار مصر من الحرام والشبهات فبلغه ذلك فمضى إليه حافيا مكشوف الرأس فلما وصل إلى خلوته بالحرم النبوي قبل العتبة ووقف خاضعا غاضبا طرفه وقال يا سيدي يدخل محمد المنير فلم يرد عليه سيدي محمد بن عراق شيئا فكرر عليه القول فلم يرد عليه شيئا فرجع منكسرا فلما حكيت هذه الحكاية لسيدي علي الخواص حين قدم مع الحاج المصري قال وعزة ربي قتله وعزة ربي قتله فإنه ما ذهب قط لفقر على هذه الحالة إلا وقتله فجاء الخبر بأنه مات بعد خروج الحاج مكن للمدينة بعد عشرين يوما .

قلت : ولما بلغني أنه حضرته الوفاة أخبر أخى العباس الحريثي وأخى أبا العباس الغمري فقالوا نساfer إليه نعوده فتوافقنا أن كل من سبق رفيقة بعد الفجر

ينتظره في ابا النصر فذهب فقال لي البواب إن جماعة وقفوا وانتظروا هنا ساعة ثم ساروا نحو طريق الخانكة فظننت أنه الشيخ أبو العباس الغمري فرحلت خلفه فرافقني فقير هيئة أهل اليمن وقال أين قاصد قلت المنير فقال وأنا كذلك .

وكان تحتي حمار اعرج وكان ذلك في أيام الشتاء وكان اقصر الأيام فما ارتفعت الشمس إلا ونحن داخلون المنير فدخلت فوجدت الشيخ محتضرا له ثلاثة أيام لم ينطق فقال من أنت ؟ قلت عبد الوهاب فقال يا اخي كلفت خاطرك من مصر فقلت ما حصل إلا الخير فدعا لي دعوات منها أسأل الله تعالى أن يسترك بستره الجميل في الدنيا والآخرة ثم ودعته بعد الظهر واقمت بالخانكة إلى بعد العصر ثم دخل سيدي أبو العباس فاعتقد إنني ما رحت إلى الشيخ إلى الآن فقال اركب له إنني رحت إلى الشيخ وسلمت عليه وبالأمانة تحت رأسه مخدة حمراء مصبوغة فهذه كرامة للشيخ فإن المدة بعيدة من مصر لا يصل المسافر في العادة إليها إلا أواخر النهار . مات ﷺ سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ﷺ .

١٦- ومنهم الشيخ أبو بكر الحديدي رضي الله تعالى عنه :

رفيق المنير في الحج كل سنة، وكان من أكرم الناس وكان إذا دعا شخصا إلى طعامه ولم يرض يكشف رأسه ويصير يمشي خلفه حتى يجيبه وكان من أصحاب الشيخ أحمد بن مصلح المنزلاوي أبي الشيخ عبد الحليم وكانت طريقته سؤال الناس للفقراء سفرا وحضرا في طريق الحاج وغيره وكان ﷺ يحمل لأهل مكة الدراهم والخام وما يحتاجون إليه وهو الذي أشار على بلبس الصوف الجبب الأحمر والأسود من حين كنت صغيرا بحضرة سيدي محمد بن عنان والشيخ محمد العدل رضي الله تعالى عنه وعن الجميع وكان رحمه الله بمرض سعر البول فكان يصيح كلما يبول .

وقال لي مرة يا عبد الوهاب قم معي فخرجت معه إلى سوق أمير الجيوش فصار يأخذ من هذا نصفاً ومن هذا عثمانياً ومن هذا درهما فما خرج من السوق إلا ومعه نحو أربعين نصفاً فلقى شخصا معه طبق خبز فأعطاه ثمنه وصار يفرق على الفقراء والمساكين وهو ذاهب إلى نحو بين القصرين وقال نفعا الفقراء من هؤلاء التجار على رغم انهم ثم صار يعطي هذا نصفاً وهذا درهما إلى أن فرغت وكان معه

مقص به كل شارب رآه فإن لم يرض صاحبه يصيح ويقول واديناه وإسلاماه وامحمداه إلى ان يقصه غضبا وكان ﷺ الغالب عليه البسط والانشراح .

وكان ﷺ إذا حصل للشيخ محمد بن عنان قبض لا يستطيع أحد أن يكلمه إلا إذا حضر الشيخ أبو بكر الحديدي ﷺ فبمجرد ما يراه يبتسم، ولما حج هو والشيخ أبو العباس الغمري والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد النير والشيخ علي بن الجمال نزلوا بباب العلقة . توفي بالمدينة النبوية سنة خمس وعشرين وتسعمائة ودفن بالبقيع، رحمه الله تعالى ويرحمنا إذا عدنا إليه آمين .

١٧- ومنهم شيخي وقدوتي إلى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي رحمة الله تعالى:

كان ﷺ من الأولياء الراسخين في العلم اهل الإنصاف والأدب في أولاد الفقراء وفقد ذلك كله بعد الشناوي وكان ﷺ يقول ما دخلت على فقير إلا وانظر لنفسي دونه وما امتحنت قط فقيرا وكان ﷺ أقامه الله في قضاء حوائج الناس ليلا ونهارا وربما يمكث نحو الشهر وهو ينظر بلده ولا يتمكن من الطلوع لها وهو في حاجة الشخص وكان اهل الغربية وغيرها لا أحد يزوج ولده ولا يطاهره إلا بحضوره وكان ﷺ يلقي الرجال والنساء والأطفال ويرتب لهم المجالس في البلاد ويقول يا فلانة اذكري بأهل حارتك ويا فلانة اذكري ياخوانك فجميع مجالس الذكر التي في الغربية ترتبه وكان ﷺ يقول اشعلنا نار التوحيد في هذه الأقطار فلا تنطفئ إلى يوم القيامة.

ومن مناقبه ﷺ انه ابطل الشعر الذي كان في بلاد ابن يوسف لأنه كن يموت فيه خلق كثير لأن ابن يوسف كان رجلا عنيدا ظلما وكان ملتزما بتلك البلاد وكان يلتزم بطبق السلطنة وجميع العساكر من هذا الشعر وكان لا يقدر أحد يتجاهى عليه وكان يأخذ الناس غضبا من جميع البلاد حتى يموتوا من العطش فتعرض له سيدي الشيخ محمد الشناوي شفقة على الفقراء وللساكين فكان يجمع تلامذته وأصحابه ويقعد يملح في الشعر ويقول اعتق الفقراء لنلا يموتوا فتحمل منه ابن يوسف في الباطن وظن انه يبطل عادته من البلاد فأتى إليه بطعام فيه سم فقدمه للشيخ وجماعته فلما جلسوا يأكلون صار دودا ببركة الشيخ فتغيظ

منه الشيخ وقال لابد أن أبطل هذا الشعر ببركة الله تعالى لنلا تهلك الخلق فكان محبوب الشيخ يتفقدونة الماء والطعم وهو يقطع في الشعر فكان حماده الذي بمحلة ديبة لم يقطع الطعام عن الشيخ وهو ملازم للإرسال له في كل يوم فدعا له الشيخ بالبركة في المال والولد فهو إلى الآن في بركة دعاء الشيخ هو أولاده .

وعزم الشيخ على السفر لبلد السلطان ابن عثمان بسبب ذلك فرآه السلطان سليمان في داره ليلاً وهو راكب حمارته السوداء وقال له أبطل الشعر الذي ببلاد مصر في درك ابن يوسف فقال للوزراء ذلك عند الصباح فكاتبوا نائب مصر قاسم كزك فأرسل لهم إن الخبر صحيح والذي رآه السلطان هو الشيخ محمد الشناوي فأرسل السلطان بإبطال الشعر فهو إلى الآن بطل ببركة الشيخ رحمة الله وكانت بهائمه وحبوبه على اسم المحاويج لا يختص منها بشيء وكان لا يقبل هدايا العمال ولا المباشرين ولا أرباب الدولة وأهدى له نائب مصر قاسم كزك أصوافاً وشاشات وبعض مال فردده عليه وقال للقاصد الفقراء غير محتاجين إلى هذا وقال للقاصد لا تعد تاتينا بشيء، وكان رضي الله عنه لم يزل في مقاعده جباثر القطن ملفوفة من كثرة الركوب في حوائج الناس وما رايت في الفقراء أوسع خلقاً منه، وكان يقول الطريق كلها أخلاق، وكان إذا جلس إليه أبعد الناس عنه لا يقوم من مجلسه حتى يعتقد أنه أعز أصحابه وأقاربه من حسن إقباله عليه .

وطلع مرة لابنة الخليفة قصرها فلقنها الذكر ولقن جواربها ووقعت عصائبهن من كثرة الاضطراب في الذكر فلما نزل قال الحمد لله الذي ما كان هناك أحد من المنكرين على هذه الطائفة وكان أكثر تربيته بالنظر ينظر إلى قاطع الطريق وهو مار عليه فيتبعه في الحال لا يستطيع رد نفسه عن الشيخ، ورايت منهم جماعة صاروا من أعيان جماعته وكان ﷺ إذا افتتح المجلس بعد العشاء لا يختمه في الغالب إلا الفجر فإذا صلى الفجر افتتح إلى ضحوة النهار .

وأخبرني الشيخ محمد السنجيدي قال كنا إذا زرنا الشيخ محمداً في ابتداء مره في ناحية الحصه لا نرجع إلا ضعافاً من كثرة السهر لأننا كنا نمكث عنده اليومين والثلاثة والأربعة لا يمكننا النوم بحضرته لا ليلاً ولا نهاراً فإن قراء القرآن عنده دائماً فإذا فرغ من القرآن افتتح الذكر فإذا فرغ من الذكر افتتح القرآن وهذا كان دأبه إلى أن مات رحمة الله وكان عنده جماعة سيدي أحمد البدوي ﷺ بمكان سمعته

كرة يحدثه في القبر وسيدي أحمد يجيبه^(١) وهو الذي ابطل البدع التي كانت الناس تطلع بها في مولد سيدي أحمد البدوي رحمه الله من يهب له امتعة الناس واكل أموالهم بغير طيبة وتعلموا انه حرام وكانوا قبله يرون ان جميع ما يأخذونه من بلاد الغربية حلال ويقولون هذه بلاد سيدي أحمد ونحن من فقرائه وكانوا يطلعون بالدفع الزمار فابطل ذلك وجعل عوضه مجلس الذكر فيفتح الذكر من نواحي قحافة ويجتمع معه خلائق كثيرة يذكرون إلى ان يدخلوا مقام سيدي أحمد ويحصل للناس بسط عظيم برؤيته وخشوع وبكاء ورقة، ومناقبه كثيرة مشهورة بين الناس واذن بتلقين الذكر لجماعة قبل وفاته رحمه الله وانشد:

اهيم بليلي ما حييت وإن امت وكل بليلي من يهيم بها بعدي

فمن الجماعة الشيخ شهاب الدين السبكي رحمه الله ومنهم الشيخ عبد الرحمن المناوي ومنهم الشيخ أبو العباس الحريثي رحمه الله ثم الفقير رحمه الله وقال قد صار معكم الإذن إذا فتح الله عليكم وأما الآن فتلقوا كلمة لا إله إلا الله تشبها وتبركا بطريق القوم وكان ذلك في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاويته بمحلة روح وقبرة ظاهر يزار معمور بالفقراء والمجاورين بواسطة ولده الشيخ عبد القدوس فسح الله في مدته للمسلمين .

ولما ودعته بزاوية سيدي محمد بن أبي الحمانل رحمه الله قال ليس هذا آخر الاجتماع لأبد من اجتماعنا مرة أخرى، ولا حضرته الوفاة ما علمت بذلك إلا من ورد على قال اذهب إلى محلة روح فلم استطع ارد نفسي عن ذلك الخاطر حتى سافرت إليه تصديقا لقوله لأبد من الاجتماع مرة أخرى فدخلت عليه فوجدته محتضرا ففتح عينيه وقال أسأل الله ان لا يخليك من نظرة ولا من رعايته طرفة عين وأن يترك بين يديه ثم توفي تلك الليلة ودفن في غفلة من الناس اقتتل الناس على النعش ونهلت عقولهم من عظم المصيبة بهم فإنه كان معدا لتفريج كربهم ساعيا في إرشادهم لخير دنياهم وخير آخراهم رحمه الله ورحمه .

١٨ - ومنهم الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي رحمه الله :

كان من الأخلاق النبوية على جانب عظيم وكان كثير التواضع والازدراء لنفسه وجاءه مرة شخص يطلب الطريق فقال يا أخي النجاسة لا تطهر غيره وجاءه

(١) هذه أمور لا تصح .

د ﷺ شخص مرة بحبة صوف وقال يا سيدي اقبل مني هذه الحبة لأنني رايت رسول الله ﷺ فيها الليلة وقبلني على صدري وأنا لابسها فأبى الشيخ وقال شيء مسه النبي ﷺ لا أقدر على لبسه خوف أن يقع مني معصية وأنا لابسها ولكن نترك بها فمسح بها على وجهه وردها على صاحبها وكان ﷺ يربي من كان عنده دعوى بالمسارقة فيقرأ عليه شيئاً من أحوال القوم ثم يصير يورد عليه الأسئلة ويعطف عليه بالجواب بحيث يظن أن ذلك الفقير هو الشيخ والشيخ هو المريد .

وجاءه شخص من اليمن فقال أنا مازون لي في تربية الفقراء من شيخي فقال الشيخ عبد الحليم الحمد الله الناس يسافرون في طلب الشيخ ونحن الشيخ جاء عندنا فتلقن على اليماني ولم يكن بذاك وكان الشيخ يعلمه في صورة المتعلم إلى أن كمله وزاد حاله ثم كساه عند السفر وزوده وصار يقبل رجل اليماني ويقول صرنا محسوبين عليكم . ولقبه رجل من أرباب الأحوال وكان مشهوراً بالكرامات فقال يا عبد الحليم أنت مسكين ما كنت اظن مع هذه الشهرة أنك عاجز هكذا ثم قبض هو دراهم من الهواء وأعطى الشيخ عبد الحليم فأثر ذلك في سيدي الشيخ عبد الحليم ثم قال له يا عبد الحليم اشتغل بالله تعالى حتى تصير الدنيا في طوعك هكذا فانقطع الشيخ عبد الحليم في الخلوة تسعة شهور يقرأ في الليل ختما وفي النهار ختما ثم خرج ينفق من الغيب إلى أن مات وأقامت عنده في زويته نحو سبعة وخمسين يوماً فما رايت الفقراء احتاجوا إلى شيء إلا ويخرج لهم من كيس صغير كعقدة الإبهام جميع ما يطلبونه ورايته بعيني قبض منه ثمن خشب من دمياط نحو خمسين ديناراً .

وكان ﷺ لا يسأله فقير شيئاً إلا أعطاه حتى يخرج بعمامته وجبته فيرجع بالقوطة في وسطه . وعمر ﷺ عدة جوامع في البحر الصغير وله جامع بالمنزلة فيه فقراء ومجاورون وفيه سماط على الدوام ومارستان للضعفاء من الفقراء والغرباء والمستضعفين، وكراماته كثيرة مشهورة في بلاده ﷺ . مت رحمه الله سنة نيف وثلاثين وتسعمائة وكان ﷺ لا يخصص نفسه بشيء من الهدايا الواصلة إليه بل أسوته بأسوة الفقراء في ذلك واجتمع عنده في زاويته نحو المائة نفس وهو يقوم بأكلهم وكسوتهم من غير وقف إنما هم على ما يفتح الله عز وجل ولما وقف الناس عليه الأوقاف أخبرني أن الحال ضاق على الفقراء وقال تعرف سببه ؟ قلت لا فقال

لركون الفقراء إلى العلوم من طريق معينة وكانوا قبل ذلك متوجهين بقلوبهم إلى الله تعالى فكان يرزقهم من حيث لا يحتسبون .

ومن مناقبة أنه نصب عليه شخص مرة واخذ منه أربعمائة دينار يبني بها بئر ساقية ويجعل عليه سبيلا في طريق غزة وقال إن الناس محتاجون إلى ذلك فاخذ الفلوس تزوج بها وفتح له دكانا بها فلما استبطاه الشيخ أرسل خلفه جماعة فأخرج لهم إبريق ماء حلو وقال لهم هذا من ماء البئر والناس يدعون للشيخ كثيرا فلما ورد على الشيخ جماعة مسافرون سألهم عن البئر فقالوا ليس هناك شيء فأرسل يطلبه فجاء فقال له الشيخ ما فعلت بالفلوس فقال للشيخ الماء الذي أرسلته لك في الإبريق وقلت إنه من البئر فإن هذا الكلام لا حقيقة له وإني تزوجت بالفلوس فأراد الفقراء حبسه فمنعهم الشيخ وقال الدنيا كلها لا تساوي إرغاب مسلم وخلي سبيله، وكان رضى عنه شديد المحبة لي حتى قال لي مرة لا احب احدا في مصر مثلك أبدا، ﷺ وارضاه ورحمنا به آمين .

١٩ - ومنهم الشيخ علي أبو خودة رضي الله تعالى عنه :

كان ﷺ من ارباب الأحوال ومن الملامتية وكان ﷺ يتعاطى اسباب الإنكار عليه قصدا فإذا أنكر عليه أحد عطبه وكانت خودة سيدي علي من الحديد وكزنتها قنطاراً وثلاثاً لم يزل حاملها ليلاً ونهاراً وكان شيخاً اسمر قصيراً وكان معه عصا لها شعبتان كل من زاحمه ضربة بها وكان ﷺ لديه العبيد السود والحبش لم يزل عنده نحو العشرة يلبسون الخود لكل واحد منهم حمار يركبه فكانوا هم جماعته كل موضع ركب يركبون معه وما رآه أحد يصلي مع الناس إلا وحده وكان إذا حضر السماع يحمل النشد ويجري به كالحصان .

واخبرني الشيخ يوسف الحريثي ﷺ أنه نزل معه في مركب فمرس عليها الريح فضربها بعكازه فلم تتزحزح فنزل هو وعبيده يمشون على الماء^(١) إلى أن وصلوا إلى شربين والناس ينظرون ذلك وكان ﷺ يخرج خلفه على قرقماش أمير كبير كان أيام الغوري فيضربه بحضرة جنده فإذا ألّه الضرب يهرب منه فيتبعه فإذا قفل

(١) لا دليل عقلي أو نقلي على نقل هذه الأمور وكيف بمن ينسب إليه أمور غير أخلاقية أن يسير على الماء أو يطير في الهواء .

علاه الباب -خلعه فلا يستطيع احدا ان يرده حتى يرجع ه بنفسه، واجتمعت به مرات عديدة وقال لي مرة احذر ان يدخل حب الدنيا في قلبك مات سنة نيف وعشرين وتسعمائة ودفن بزاويته بالحسينية بالقرب من جامع الأمير شرف الدين الكردي رحمه الله ورحمنا به والمسلمين .

٢٠ - ومنهم الشيخ محمد الشربيني رحمة الله تعالى شيخ طائفة الفقراء بالشرقية :

كان من ارباب الأحوال والمكاشفات وكان رحمه الله يتكلم على سائر اقطار الأرض كأنه تربي فيها ورايته مرة وهو لابس بشتا من ليف وعمامته ليف ولما ضعف ولده احمد واشرف على الموت ثم شفاه الله من تلك الضعفة وعاش بعدها ثلاثين عام، وكان رحمه الله يقول للعصا التي كانت معه كوني إنسانا فتكون إنسانا ويرسلها تقضى الحوائج ثم تعود كما كانت وكراماته كثيرة . وكان رحمه الله يخرج من بلده شربين كل ليلة من الغرب لا يرجع إلى الفجر لا يعلمون إلى أين يذهب وكان الأمير قرقماش وغيره من الأمراء يعتقدونه اعتقاداً زائداً وعمر له زاوية عظيمة ولم تكمل وكان من طريقته أنه يأمر مريديه بالشحاتة على الأبواب دائما في بلده ويتعممون بشراميط البرد السود والحر والحبال وكان الشيخ محمد بن عنان وغيره ينكرون عليه لعدم صلاته مع جماعة ويقول نحن ما نعرف طريقا تقرب إلى الله تعالى إلا ما درج عليه الصحابة والتابعون .

وكان يقبض من الهواء كل شيء يحتاجون إليه للبيت وغيره ويعطيه لهم واخبر بدخول ابن عثمان السلطان سليم قبل دخوله بسنتين وكان يقول اتوكم محلقيں اللحاء فكان الناس يضحكون عليه لقوة التمكين الذي كانت الجراكسة عليه فما كن أحد يظن انقراضهم في مدة يسيرة مات رحمة الله تعالى قبل العشرين والتسعمائة ودفن بزاويته بشربين وقبره بها ظاهر يزار رحمه الله .

٢١ - ومنهم الشيخ علي الدويب رحمة الله تعالى آمين :

بنواحي البحر الصغير: كان رحمه الله من اللامتية الأكابر وارسل لي السلام مرات ولم اجتمع به إلا في النوم وذلك اني سمعت قائلا يقول لا إله إلا الله على الدويب قطب الشرقية وكما كنت سمعت باسمه فسالت جماعة الشيخ محمد بن عثمان فخبروني

به وقالوا له موجود وهو شيخ الشيخ محمد العدل الطناحي وكان يلبس عمامة الجمالين ونعلهم عمر أكثر من مائة سنة ﷺ .

وكان مقيماً في البرية لا يدخل بلده إلا ليلاً ويخرج قبل الفجر وكان ﷺ يمشي على الماء في البحر وما رآه أحد قط نزل في مركب وجاء إلى مصر أقام بها عشرين سنة وكان لم يزل واقفاً تجاه المارستان بين القصرين من الفجر إلى صلاة العشاء وهو متلثم وببده عصا من شوم ثم تحول إلى الريف وظهرت له كرامات خارقة للعادة .

وكان ﷺ يقول فلان مات في الهند أو في الشام أو في الحجاز فبعد مدة يأتي الخبر كما قال الشيخ ولما مات راوا في دره نحو للمائة الف دينار وما عملوا أصل ذلك فإنه كان متجرداً من الدنيا فأخذها السلطان . مات رحمه الله بالقباب بالشرقية ودفن في داره رحمه الله سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ﷺ .

٢٢- ومنهم الشيخ أحمد السطيحة رحمة الله تعالى:

كان من الرجال الراسخين صحبتهم عشرين سنة وأقام عندي أياماً وليالي وكان ﷺ يقول ما أحببت أحداً في عمري قدرك وكان ﷺ على قدم الشيخ أحمد الفرغل ﷺ في لبسه كل جمعة مركوباً جديداً يقطعه مع أنه سطيحة لا يتحرك وكان ﷺ يتكلم في الخواطر ويقضى حوائج الناس عند الأمراء وولاة الأمور وطريقة مخلاة بلا معرض . ووقعت له كرامات كثيرة وكان ﷺ لم يزل في عصمته أربع نساء كانت كفه ألين من العجين خفى الصوت لا يتكلم إلا همساً كثير المباسطة خفيف الذات ولما وردت عليه من بلد سيدي أحمد البدوي قال كم نفر معك فقلت سبعة قال قل بيت الوالي ثم ضيفنا ضيافة كثيرة تلك الليلة وكان على زاويته الوارد كثيراً يعشى ويعلق على البهائم وله زرع كثير والناس تقصده بالهدايا من سائر البلاد وكان يحضنه خادمه على الفرس كالطفل وله طرطور جلد طويل وله زناق من تحت ذقنه ويلبس الجيب الحمر وكانت آثار الولاية لائحة عليه إذا رآه الإنسان لا يكاد يفارقه وحاكى إنسان به وعمل له طرطور وركب على فرس في حجر خادم فانكسرت ركبته فصاح اذهبوا بي إلى الشيخ أحمد السطيحة فأتوه به فضحك الشيخ عليه وقال تزاحمني على الكساح تب إلى الله ورقبتك تطيب فتاب واستغفر فأخذ

الشيخ زيتا وبصق فيه وقال ادهنوا به رقبتة فدهنونها فطابت وكانت وارمه مثل الخلاية فصارت تنقص إلى أن زال الورم وقلع الطرطور وصار يخدم الشيخ إلى أن مات وكان من بلد تسمى بطا وكان ببولاق فنزل في مركب ليسافر وكان الرئيس لا يعرفه فضلعه ه وجماعته فلما أن طلع الشيخ انخرقت المركب وغرقت بجانب البر فأخذوا بخاطر الشيخ فقال الشيخ للرئيس سد خرق مركبك فإننا لم نعد ننزل معك.

ومن مناقبه ﷺ ان بعض الفلاحين سخر بطرطوره واكل شوك اللحلاح فوقفت شوكة في حلقة فمات في الحال . وخطب مرة بنتا بكرا فابت وقالت أنا ضاقت على الدنيا حتى اتزوج بسطيحة فلحقها الفالج فلم ينتفع بها احد إلى ان ماتت^(١) وطلبته بنت بنفسها فقال لها البنات يا امرأة المكسح وعايروها فدخل بها الشيخ وأزال بكارتها وساح الدم حتى ملأ ثيابها ووضعوا ثوبها بالدم على رمح في الدار لينظره الناس ومن كراماته انه شفع عند أمير من الأمراء كان نازلا بمنف فقبل شفاعته فلما خرج من عنده رجع وحبس الرجل ثانيا فطلعت في رقبتة غدة فخنقته فمات في يومه، ومن كراماته أن امرأة تكسحت وعجز الأطباء عن دوائها مدة أربع سنين فدخل الشيخ لها وبصق في شيء من الزيت وقال ادهنوا بدنها فدهنونها في حضرة الشيخ فبرأت وحضر مجلس سماع في ناحية دسوق فطعنه فقير عجمي تحت بزه فقال طعنني العجمي ثم قال يا رب خذ لي حقي فاصبح العجمي مشنوقا على حائط لا يدرون من شنقه، ومن كراماته انه وقف على باب زاويتي مرة وهو في شفاعته عند الباشا فقال يكون خاطركم معنا في هذه الشفاعه فأخذتني حالة فرايت نفسي واقفا على باب الكعبة فقال يا هو أبعدت عنا وكان ﷺ يعرف سريان القلوب وكان ﷺ صائم الدهر، توفي سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ودفن بزاويته بشبرا قابالة الغربية وقبره ظاهر يزار وكان يدعو عليها بالخراب وعلى أهلها الذين كانوا ينكرون عليه فوقع بينهم القتل وخربوا وهي خراب إلى وقتنا هذا فقلت له الفقير يعمر بلده ولا يخربها فقال هؤلاء منافقون وفي حصادهم مصلحة للدين فنسأل الله أن يحفظنا من الشيطان والحمد لله وحده .

(١) كل هذه الأقوال وما بعدها ليس لها دليل عقلي أو نقلي ويأبأها الشرع الحكيم .

٢٣ - ومنهم الشيخ بهاء الدين المجذوب :

المدفون بالقرب من باب الشعرية بزاويته، كان ﷺ من أكابر العارفين وكان كشفه لا يخطئ وكان ﷺ أولا خطيبا في جامع الميداني وكان أحد شهود القاضي فحضر يوما عقد زواج فسمع قائلا يقول هاتوا لنا رجال الشهود فخرج هائما على وجهه فمكث ثلاثة أيام في الجبل المقطم لا يأكل ولا يشرب ثم ثقل عليه الحال فخرج بالكلية وكان ﷺ يحفظ البهجة فكان لا تزال تسمعه يقرأ فيها وذلك أن كل حالة اخذ العبد عليها يستمر فيها ولو خرج عنها يرجع إليها سريعا حتى إن من المجاذيب من تراه مقبوضا على الدوام لكونه جذب على حاله قبض ومنهم من تراه مبسوطا وهكذا .

وكن الشيخ فرج المجذوب ﷺ لم يزل يقول عندك رزقه فيها خراج ودجاج وفلاحون لكونه جذب وقت اشتغاله بذلك وزمن المجذوب من حين يجذب إلى أن يموت زمن فرد لا يدري بمرور زمان عليه، ورأيت ابن البجائي ﷺ لم يزل يقول الفاعل مرفوع والخفوض مجرور وهكذا لأنه جذب وهو يقرأ في النحو، ورأيت القاضي ابن عبد الكافي ﷺ لما جذب لم يزل يقول وهو في بيت الخلاء وغيره ولا حق ولا استحقاق ولا دعوى ولا طالب ولا غير ذلك ومن وقائعته ﷺ أننا حضرنا يوم معه وليمة فنظر للفقهاء في الليل وزعق فيهم وقال لهم كفرتم بكلام الله ثم حذفهم بقلة من لاء كانت بجانبه فصعلت إلى نحو السقف ثم نزلت فقال فقيه منهم كسر القلة له كذبت فوقعت على الأرض صحيحة كما كانت فبعد خمس عشرة سنة رأى الفقيه فقال له اهلا بشاهد الزور الذي يشهد أن القلة انكسرت، ومكاشفاته بين الأكابر بمصر من المباشرين وعامة الناس مات رحمة الله نيف وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه وأرضاه آمين .

٢٤ - ومنهم الشيخ عبد القادر الدشوطي رحمه :

كان من أكابر الأولياء ﷺ صحبته نحو عشرين سنة وحصل لي منه نفحات وجدت بركتها وكان صاحباً وهيئته هيئة المجاذيب رضي الله تعالى عنه وكان مكشوف الرأس حافياً ولما صار يتعمم بجبة حمراء وعليه جبة أخرى فإذا اتسخت نعم بالأخرى واجتمعت به في أول يوم من رمضان سنة اثنى عشرة وتسعمائة

وذكرت دون البلوغ فقال اسمع مني هذه الكلمات واحفظها تجد بركتها بقلبك إذا كبرت فقلت له نعم فقال يقول الله عز وجل يا عبدي لو سقت إليك ذخائر الكونين فمات إليها طرفة عين فانت مشغول عنا لا بنا فحفظتها فهذه بركتها .

وقال لي امورا اخر لم ياذن لي في إفشائها وكان يسمى بين الأولياء صاحب مصر وقالوا إنه ما رؤى قط في معدية إنما كانوا يرونه في مصر والجيزة ، وحج ﷺ ماشيا حافيا واخبرني الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري ، رحمة الله أنه لما وصل إلى المدينة المشرفة وضع خده على عتبة باب السلام ونام مدة الإقامة حتى رجع الحج ولم يدخل الحرم ، وعمر عدة جوامع في مصر وقراها وكان ﷺ له القبول التام عند الخاص والعام وكان السلطان قايتباي يمرغ وجهه على اقدامه .

ومن مناقبه أنهم زوروا عليه برجل كان يشبهه فاجلسوه في نربة مهجورة في القرافة ليلا وراحوا إلى السلطان وقالوا له إن سيدي عبد القادر الدشطوطي يطلبك بالقرافة ليلا فنزل إليه وصار يقبل اقدامه فقال الرجل للزور عليه الفقراء محتاجون لعشرة آلاف دينار فقال السلطان بسم الله فمضى ثم أرسلها له فبلغ السلطان أنهم زوروا عليه فأرسل خلف المزور فضربه إلى أن مات وكان من شأنه التطور وحلف اثنان أن الشيخ نام عند كل منهما إلى الصباح في ليلة واحدة في مكانين فأفتى شيخ الإسلام الشيخ جلال الدين السيوطي بعدم وقوع الطلاق ، واخبرني الأمير يوسف بن أبي انغ قال لما أراد السلطان قايتباي أن يسافر إلى بحر الفرات استأذن الشيخ عبد القادر الدشطوطي في السفر فأذن له قال الأمير يوسف فكنا طول الطريق ننظره يمشي امامنا فإذا أراد السلطان ينزل إليه يختفي فلما دخلنا حلب وجدنا الشيخ ﷺ ضعيفا بالبطن في زاوية بحلب مدة خمس شهور فتحيرنا في أمره ﷺ ودخلت وأنا شاب اعزب فقال لي تزوج واتكل على الله خذ بنت الشيخ محمد بن عنان فإنها صبية هائلة فقلت ما معي شيء من الدنيا فقال بلى قل معي أشرفي قل اثنان قل ثلاثة معي قل أربعة قل خمسة وكان لي عند شخص بنواحي المنزلة ذلك القدر فحسبه الشيخ وكنت أنا ناسيه ثم أذن الظهر فتغطى الشيخ بالملايه وغاب ساعة ثم تحرك ثم قال الناس معنورون يقولون عبد القادر ما يصلي والله ما اظن اني تركت الصلاة منذ جذبت ولكن لنا اماكن نصلي فيها .

فقلت للشيخ محمد بن عنان ؓ فقال صدق له اماكن إنه يصلي في الجامع الأبيض برملة لد ، وسمعتة مرة يقول كل من قال السعادة بيد أحد غير الله كذب وإني كنت جهدان في الدنيا يضرب بي المثل فحصل لي جانب إلهي وصرت أغيب اليومين والثلاثة ثم أفيق أجد الناس حولي وهم متعجبون من أمري ثم صرت أغيب العشرة أيام والشهر لا أكل ولا أشرب فقلت اللهم إن كان هذا وارد منك فاقطع علائقي من الدنيا فمات الأولاد ووالدتهم والبهائم ولم يبق أحد دون أهل البلد فخرجت سائحا إلى وقتي هذا فهل كان ذلك في قدرة العبد؟ قلت له ولا سمعتة يقول للشيخ جلال الدين البكري يا جلال الدين وقفنا هذا كله للفقراء والمساكين والمتكشفين الركب وكأني بك وقد جاءوا إليك بسياق فلان وفلان اجعل لهذا وظيفة فتخرب المكان .

وكان ؓ عالما بأحوال الزمان وما الناس عليه ، وكان ؓ أكثر ما ينام عند شخص نصراني في باب البحر فيلومه الناس فيقول هذا مسلم ومن بركته أسلم النصراني على يديه وحسن إسلامه وسمعتة يقول وقد سأله الشيخ شمس الدين البهنسي عن جماعة في مصر من الفقراء الذين في عصره فقال يا ولدي هؤلاء بعيدون عن الطريق والله ما يذقون قشر الطريق فضلا عن لبها ، ولما دنت وفاته أكثر من البكاء والتضرع وكان يقول للبناء الذي يبني في القبة عجل في البناء فإن الوقت قد قرب فمات وبقى منها يوم فكلمت بعده ودفن في قبره أوصى أن لا يدفن عليه أحد ، وأوصى أن يعمل فوقه وجانبه مجاديل حجر حتى لا تسع أحداً يدفن معه . مات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة وصلى عليه ملك الأمراء خير بك وجميع الأمراء وأكابر مصر ، وكراماته مشهورة في مصر والبلاد التي كان يمر فيها ؓ .

٢٥ - ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي حسن العراقي رحمه الله تعالى :

المدفون بالكوم خارج باب الشعرية ؓ بالقرب من بركة الرطلى ، وجامع البشري ترددت إليه مع سيدي أبي العباس الحريثي وقال أريد أن احكي لك حكايتي من مبتدا أمري إلى وقتي هذا كأنك كنت رفيقي من الصغر فقلت له نعم فقال كنت شابا من دمشق وكنت صانعا وكنا نجتمع يوما في الجمعة على اللهو واللعب والخمر فجاءني التنبيه من الله تعالى يوما لهذا خلقت ؟ فتركت ما هم فيه وهربت منهم فتبعوا ورائي فلم يدركوني فدخلت جامع بني أمية فوجدت شخصا يتكلم على

الكرسي في شأن المهدي عليه السلام فاشتقت إلى لقائه فصرت لا أسجد سجدة إلا وسألت الله تعالى أن يجمعني عليه .

فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب أصلي صلاة السنة وإذا بشخص جلس خلفي وحسس على كتفي وقال لي قد استجاب الله تعالى دعائك يا ولدي ما لك أنا للمهدي فقلت تذهب معي إلى الدار فقال نعم فذهب معي فقال أدخل لي مكانا انفراد فيه فأخليت له مكانا فأقام عندي سبعة أيام بليلاتها ولقنتني الذكر وقال أعلمك وردي تدوم عليه إن شاء الله تعالى تصوم يوما وتفطر يوما وتصلى كل ليلة خمسمائة ركعة فقلت نعم فكنت أصلي خلفه كل ليلة خمسمائة ركعة وكنت شابا امرد حسن الصورة فكان يقول لا تجلس قط إلا ورائي فكنت أفعل وكانت عمامته كعمامة العجم وعليه حبة من وبر الجمال فلما انقضت السبعة أيام خرج فودعته وقال لي يا حسن ما وقع لي قط مع أحد ما وقع معك قدم على وردك حتى تعجز فإنك ستعمر عمرا طويلا انتهى كلام المهدي قال فعمرى الآن مائة وسبعة وعشرون سنة قال فلما فارقني المهدي عليه السلام خرجت سائحا فرحت إلى الأرض الهند والسند والصين ورجعت إلى بلاد العجم والروم والمغرب ثم رجعت إلى مصر بعد خمسين سنة سياحة فلما أردت الدخول إلى مصر منعوني من ذلك وكان للشار عليه فيها سيدي مدين المتبولي ﷺ فارسل يقول لي اقم في القرفة .

فاقمت في قبة مهجورة عشر سنين تخدمني الدنيا في صورة عجوز تاتيني كل يوم برغيفين وإناء فيه طعام فلا كلمتها ولا كلمتي قط ثم سألت في الدخول فأنشأوا لي أن أسكن في بركة القرع فاقمت فيها سنين عديدة في حارة ثم جاء الشيخ عبد القادر الدشوطي ﷺ يريد أن يبني له جامعا هناك فصار يقاتلني ويقول أخرج من هذه الحارة فقلت له يوما ما لك ولي أنا ما لي أحد يعتقني من الأمراء ولا غيرهم فما لك ولي لقم يزل بي حتى خرجت إلى هذا الكوم فسكنت فيه سبع سنين فبينما أنا ذات يوم جالس هنا إذ طلع على الدشوطي فقال انزل من هذا الكوم فقلت رانزل فخرجت النفس مني ومنه فدعا على بالكساح فتحكسحت ودعوت عليه بالعمى فعمى فهو كالطوبة الآن هناك وأنا رمة في هذا الموضع .

وأنا أوصيك يا عبد الوهاب إنك لا تصادم أحدا قط بنفس وإن صدمك فلا تصادمه وإن قال لك أخرج من زاويتك أو دارك فأخرج وأجرك على الله ، وكان ﷺ إذا

جاءه شخص بجوخة أو ثوب صوف يأخذ السكين ويشرحها سيوراً سيوراً ثم يخطها بخيط دارج ومسلة ويقول إن نفسي تميل إلى الأشياء الجديدة فإذا قطعها لم يبق عندها ميل توفي ﷺ سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن في القبة التي في الكوم المتقدم ذكره ﷺ.

٢٦- ومنهم سيدي إبراهيم بن عصفير رضي الله تعالى عنه آمين :

كان خطه الذي يمشي فيه من باب الشعرية إلى قنطرة الموسكي إلى جامع الغمري وكان كثير الكشف وله وقائع مشهورة وكان أصله من البحر الصغير وظهرت له الكرامات وهو صغير : منها أنه كان ينام في الغيظ ويأتي البلد وهو راكب الذئب أو الضبع . ومنها أنه كان يمشي على الماء لا يحتاج إلى مركب وكان بوله كاللبن الحليب أبيض وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه^(١) وما ضبطت عليه قط كشفاً بين السورين أخذ من إنسان نصفين وأعطاهما للسقاء وقال كب هذه الرواية على هذا الحريق فصبه على الأرض تجاه المدرسة فقال الناس للسقاء اللهم إن هذا مجذوب ما عليه حرج تصب الماء على الأرض خسارة فطلع الوقاد تلك الليلة فأوقد المنارة ورشق الجنيب في حائطها وكانت خشبا ونزل ونسيه فاحترقت تلك الليلة ووقعت الثلاثة أدوار كان إنسانا نزعها وحملها ووضعها على الأرض ممدودة في الشارع لم تصب أحدا من الجيران .

وكان ﷺ يقول جاكم ابن عثمان جاكم ابن عثمان فكان غز الغوري يسخرون به وكان ﷺ كثير الشطح ، ولما سافر الأمير جانم إلى الروم شاوره فقال تروح وتجنئ سالما ففارقه وراح للشيخ محيسن فقال له إن رحيت شنقوك وإن قعدت قطعوا رقبتك فرجع إلى الشيخ ابن عيصفر فقال تروح وتجنئ سالما وكان الأمر كذلك فراح تلك السفرة وجاء سالما ثم ضرب عنقه بعد ذلك فصدق الشيخان وأحواله غريبة وكان يحبني وكنت في بركته وتحت نظره إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ودفن بزاويته بخط بين السورين تجاه زاوية الشيخ أبي الحمائل ﷺ.

(١) هذه أمور لا يصح منها شيء وما تركناه من قوله لا يعقل ولا يقره الشرع الحنيف .

٢٧ - ومنهم سيدي الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلي رضي الله تعالى عنه :

كان من اولاد سيدي خليل احد اصحاب سيدي ابي العباس المرسى ؑ ورايته وهو في اوائل الجذب والحروز معلقة على راسه وكان اهله يعتقدون انه الجان ولم ازل اوده ويودني إلى ان مات واول ما لقيته وانا شاب امرد وقال لي اهلا يا بن الشوني ايش حال ابوك وكنت لا اعرف قط الشوني فبعد عشر سنين حصل لي الاجتماع بالشوني فأخبرته بقول الشيخ شهاب الدين فقال صدق أنت ولدي وإن شاء الله تعالى يحصل لك على يدينا خير وكان ؑ يأتيني وانا في مدرسة أم خوند ساكن فيقول اقل لي بيضا قريصات فافعل له ذلك فيأكل البيض أولا ثم الخبز ثانيا وحده .

وكان ؑ عنه إذا راق يتكلم بكلام حلو محشو ادبا، ومكث مولى من اصحاب النوبة بمصر سبع سنين ثم عزل وكان يحب دخول الحمام لم يزل يدخلها حتى مات فيها. ولقيه مرة إنسان طالع من جامع الغمرى وهو جنب فلطمه على وجهه وقال ارجع اغتسل وجاءه شخص فعل فاحشة فى عبده يطلب منه الدعاء فأخذ خشبة وضربه بها نحو مائة ضربة وقال يا كلب تفعل فى العبد الفاحشة فانفضح ذلك الشخص، مات ؑ ودفن بزاويته بمصر العتيقة سنة نيف وأربعين وتسعمائة ؑ.

٢٨ - ومنهم سيدي عبد الرحمن المجذوب ؑ :

كان ؑ من الأولياء الأكابر وكان سيدي على الخواص ؑ يقول ما رايت قط احدا من ارباب الأحوال دخل مصر إلا ونقص حاله إلا الشيخ عبد الرحمن المجذوب وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه اوائل جذبه وكان جالسا على الرمل صيفا وشتاء وإذا جاع او عطش يقول اطعموه اسقوه وكان ثلاثة اشهر يتكلم وثلاثة اشهر يسكت وكان يتكلم بالسريانى واخبرنى سيدي على الخواص ؑ قال ما مثلت نفسى إذا دخلت عند الشيخ عبد الرحمن ؑ إلا كالقط تجاه السبع.

وكان يرسل لى السلام ويخبر خادمه بوقائعى بالليل واحدة واحدة فيخبرنى بها فاتعجب من قوة اطلاع، وكان مقعدا نحو نيف وعشرين سنة أقعده الفقراء وكان يخبر عن سائر اقطار الأرض، وعن أقواتهم واحوالهم ؑ مات ؑ سنة اربع وأربعين وتسعمائة ودفن بالقرب من جامع الملك الظاهر بالحسينية وقبره ظاهر بالحسينية يزار فى زاويته ؑ.

٢٩ - ومنهم سيدى محمد الرويجل العريان :

كان ﷺ من ارباب الكشف التام رايه مرة من بعيد نحو مائة قصبة فقال لى رفيقى هل يحس بأحد إذا ضربه فلما وصلنا إليه قال لرفيقي تضربنى على إيش وكان يدخل ينام فى كنون الطباخ واخبرنى سيدى الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى ﷺ قال أصل ما حصل لى من العلم والفتوى ببركة دعاء الشيخ محمد الرويجل مات ﷺ سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة مقتولا قتله عسكر ابن عثمان حين دخل مصر واخبرنى عن قطع رقبتة يوم موته وصار يقول إيش عمل الرويجل يقطعون رقبتة ووقف على شبك سيدى محمد بن عنان وصار يقول يا سيدى إيش عمل الرويجل يقطعون رقبتة ﷺ.

٣٠ - ومنهم سيدى حبيب المجذوب :

كان سيدى على الخواص رضى الله عنه يقول حبيب حية رقطاع خلقه الله تعالى أذى صرفا. وكان إذا رآه يقول اللهم اكفنا سوءه وكان مبتلى بالإنكار عليه يمزح معه الصغار وغيرهم ويعطيهم وليس له كرامة إلا فى أذى الناس فلا تحكى عنه شيئا وكان كلما نظر إلى إذا مررت عليه يحصل عندى قبض عظيم ولم ازل ذلك النهار فى تكدير^(١) فلما مات قال سيدى على الخواص ﷺ الحمد لله على ذلك ودفن رحمه الله تعالى بالكوم بالقرب من بركة القرع خارج باب الشعرية ﷺ.

٣١ - ومنهم سيدى فرج المجذوب :

كان له الكرامات الظاهرة ووقع لى معه كرامات وكان يطلب الفلوس من الناس فإذا اجتمعت اعطاها للمحاييج والأرامل وكثيرا ما يدفنها فى جوار حائط ويذهب وخليها فياخذها الناس واخبرنا سيدى جمال الدين ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ﷺ قال خرجت إلى الحمام فرأنى الشيخ فرج ﷺ فقال هات نصفا فأعطيته فقال هات آخر فأعطيته فلم يزل كذلك إلى تسعة وثلاثين نصفا فقال هات آخر

(١) إذا كانت أعماله كما ذكر فى الإضرار بالناس وكان الإمام الشحرانى نفسه ينقبض ويتكدر منه عندما يراه، فلم يكن هناك وجه لإدراجه ضمن هذه الترجمات إلا إذا كانت هذه الأقوال مدسوسة على الشحرانى نفسه. والله أعلم.

فقلت له بقى نصف للحمام، ووقائعه كثيرة وانقطع آخر عمره فى المارستان حتى مات ودفن عند الشيخ شهاب الدين المجدوب بباب الشعرية ؑ.

٣٢ - ومنهم سيدى إبراهيم المجدوب ؑ:

قال سيدى على الخواص ؑ عنه إنه كان من أصحاب النوبة وكان سيدى على الخواص ؑ إذا حصل له ضرورة يرسل يعلمه بها فتقضى وكان كل قميص يخطه ويحرقه على رقبته فإن ضيقه جدا حتى ينخنق حصل للناس شدة عظيمة وإن وسعه حصل الناس الفرج، صحبتته نحو سبع سنين وكان كلما رآنى تبسم وكان شهرته الشيخ إبراهيم النوبة ؑ.

٣٣ - ومنهم الشيخ أحمد المجدوب المشهور بحب رمانتى رحمه الله تعالى:

كان ؑ لا يلبس إلا الحرير على بدنه وكان قعمه طول ذراع ونصف وكان ؑ يقف على الدكان ويصيح يا مالى ومال السلطان عند صاحب هذا الدكان فلا يزال كذلك إلى أن يأخذ ما يطلبه منه ثم يدفنه تحت جدار ويذهب، وكانت له كرامات كثيرة، مات ؑ سنة نيف وعشرين وتسعمائة ودفن بباب اللوق ؑ.

٣٤ - ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ؑ ورحمه:

كان ؑ إذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم وكان ؑ يطلب النير ويخطب الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم وكان ؑ إذا صحا يتكلم بكلام حلو حتى يكاد الإنسان لا يفارقه. طلع لنا مرارا عديدة فى الزاوية وسلم على باسمى واسم أبى وامى ثم قال للذى بجنبه إيش اسم هذا. مات ؑ سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ؑ.

٣٥ - ومنهم الشيخ محيسن البرلسى ؑ:

كان ؑ من أصحاب الكشف التام وكان يربط عنده عنزا وديكا بجبل والنار موقدة عنده فى أغلب أوقاته صيفا وشتاء وكان سيدى على الخواص ؑ إذا شك فى نزول بلاء على أهل مصر يقول انهبوا للشيخ محيسن فانظروا النار التى عنده هل هى موقودة أو مطفية فإن كانت مطفية حصل فى مصر رخاء ونعمة وكان الناس فى غاية الراحة فاوقد الشيخ محيسن ؑ النار فقال الشيخ الله لا يبشره بخير فأصبح الناس

فى شدة عظيمة وحصل لهم غاية الضيق، وكنت عنده مرة فجاء إنسان ومزح معه وكان فى رجله أكلة من أصحاب النوبة لم تزل تدود إلى أن مات فقال له ذلك الإنسان الذى جعل فى هذه الرجل الأكلة قادر أن يجعلها فى الرجل الأخرى فقال ما يستحق ذلك إلا الذى زنى بامرأة جاره فخلج ذلك الإنسان فقلت له مالك؟ فقال هذا وقع لى وأنا شاب فى نواحى دمياط من منذ خمسين سنة فقلت الذى يطلع على هذا تمرع معه؟ فقال والله ما علم بهذه الواقعة أحد إلا الله عز وجل.

وكان ﷺ يحبنى ويرسل يخبرنى بالوقائع التى تحصل لى فى البيت واحدة واحدة وكان ﷺ إذا رأى صغيراً من الريف فى بولاق يريد أبوه أن يعلمه القرآن يقول له اذهب إلى زاوية بعد الوهاب فارسى لى كذا وكذا ولدا وحصل لهم الخير.

ووقع منى مرة سوء أئب فارسى أعلمنى به وهو فى الرملة وذلك أن الأمير جانم كان مطلوباً إلى استنبول فكتبت له كتاباً إلى أصحاب النوبة بنواحى العجم والروم بالوصية به وطواه ووضعها فى رأسه وخرج فارسى لى فى الحال يقول الناس فى عينيك كالقش مابقى أحد فى البلد له شوارب إلا أنت تكاتب أصحاب النوبة بغير إذن من أصحاب البلد فاستغفرت فى نفسى فارسى يقول لى إذا سألك أحد فى شيء يتعلق بالولاية بمصر شاور بقلبك أصحاب النوبة بها إعطاء لحقهم من الأدب معهم ثم افعل بعد ذلك ما تريد لا حرج لأنهم لا يحبون من يقل أدبه معهم، مات ﷺ ودفن بالقرب من الإمام الشافعى ﷺ فى تربة البارزى فى سنة نيف وأربعين وتسعمائة ﷺ.

٣٦ - ومنهم الشيخ أبو الخير الكليباتى ﷺ:

كان ﷺ من الأولياء المعتقدين وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره وكانت الكلاب التى تسير معه من الجن وكانوا يقضون حوائج الناس ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم إذا ذهب معه لقضاء حاجته رطل لحم وكان أغلب أوقاته واضعاً وجهه فى حلق الخلاء فى مiazza جامع الحاكم.

ولم يزل ممقوتاً إلى أن مات وكن رجالاً قصيراً فى يده عصا فيه حلق وشخاشيخ وكان يعرج دعا له مرة بأن الله يصبرنى على البلوى وحصل لى ببركته بعض ذلك، مات ﷺ سنة عشرة وتسعمائة ودفن بالقرب من جامع الحاكم فى المكان الذى كان يجلس فيه أوقاتاً ﷺ.

٣٧ - ومنهم سيدى عمر البجائى المغربى :

دخل مصر فى أيام السلطان الغورى وكان له القبول التام عند الأكابر وغيرهم وكان ﷺ يخبر بالوقائع الآتية فى مستقبل الزمان للولادة فيقع كما أخبر لا يخطئ وسكن فى جامع آل ملك بالحسينية ثم انتقل إلى جامع محمود فنازعه أهل القرافة فرجع إلى قبة المارستان بخط بين القصرين فلم يزل بها إلى أن مات وكان وجهه كأنه قنديل ينور وهو رجل طويل ليس على رأسه عمامة إنما يتطرح بملاية على عرقية وكان الشيخ محمد بن عنان ﷺ يحبه محبة شديدة ﷺ مات ﷺ فى سنة عشرين وتسعمائة ودفن بالقرافة فى حوش عبد الله بن وهب بالقرب من القاضى بكار وصلى عليه الملا من الناس وحصل لى منه دعوات مباركات وجدت أثرها ﷺ.

٣٨ - ومنهم سيدى سعود المجذوب :

بسويقه العزمى بالقرب من مدرسة السلطان حسن، كان ﷺ من أهل الكشف التام وكان له كلب قدر الحمار لم يزل واضعا بوزه على كتفه وكان يرسل لى السلام مرات وترددت إليه كثيرا فكانت كلما أزور القرافة أطلع له وله وقائع مشهورة فى أهل حارته، مات ﷺ سنة إحدى وأربعين وتسعمائة ودفن بزاويته وله قبة خضراء بناها له الباشا سليمان رحمه الله.

٣٩ - ومنهم سيدى سويدان المدفون بالخانكة :

أقام فى مدرسة ابن الزين فى رصيف بولاق سنين عديدة فلأزمناه ملازمة طويلة، وكان مكشوف الرأس له شعر طويل ملبد وكان له كل سنة جوخة حمراء بندقى على خوند امرأة السلطان يلبسونها له ويأخذ النقباء العتيقة ووقع له وقائع وكرامات وكان فمه لم يزل فيه نحو الخمسين حبة من الحمص ليلا ونهارا يقال إنها حملات الناس وكان لا يفهم عنه إلا الفقراء الصادقون فإن كلامه كله إشارات مات ﷺ سنة تسع عشرة وتسعمائة ﷺ.

٤٠ - ومنهم سيدى بركات الخياط :

كان ﷺ من اللامية وهو شيخ أخى أفضل الدين وشيخ الشيخ رمضان الصانع الذى بنى له الزاوية وكان ﷺ يلبس الشاش المخطط كعمامة النصرى فيقول له الناس حشاك يا نصرانى وكان يخطط المضربات الثمينة وكان ﷺ يقول لمن يخطط له

هات معك فوطة وإلا يتسخ قماشك من ثيابي، يجلس عنده وكان سيدي الشيخ نور الدين المرصفي ؑ وغيره يرسلون له الحملات فيضعون له الحجر على حانوته فيعمل بالحاجة فيقضيها ويقول الاسم لطوبى والفعائل لأمشي نحن نتعب وهؤلاء يأخذون الهدايا منهم.

وكان ؑ إذا قدموا له لحم الضاني واشتهى لحم حمام ينقلب في الحال حماما وله وقائع مشهورة مات ؑ سنة دخول ابن عثمان مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفن بالقرب من حوض الصارم بالحسنية ؑ.

٤١ - ومنهم سيدي علي الشونوزي ؑ ورحمه :

اجل أصحاب الشيخ شعبان البقمطري بدمهور البحيرة، كان ؑ ظريفا نظيفا لطيفا والغالب عليه الاستغراق وكان أكثر أوقاته ماشيا في مصر وبولاق والقرافة وغيرها وعليه ثياب حسنة كلبس القاضي. وكانت له الموشحات النفيسة في التوحيد صحبتته نحو عشر سنين وقل لي أنا كيلاني زمانى وكان يرى ذلك من باب التحدث بالنعم، مات ؑ ودفن بالقرافة عند الشيخ محمد الغربى الشاذلى ؑ سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ؑ.

٤٢ - ومنهم سيدي أحمد الزواوي أخو الشونوزي في الطريق ؑ :

كان ؑ على قدم عظيم وكان ورده في اليوم واللييلة عشرين ألف تسبيحة واربعين ألف صلاة على النبي ؑ ولما سافر الغورى لقتال ابن عثمان جاء إلى القاهرة وقال جئت لأرد ابن عثمان عن دخول مصر فعارضه الأولياء فلحقته البطن فاشرف على الموت فحملوه إلى بلده فمات في الطريق وكانت له كرامات كثيرة اجتمعت به مرات عديدة ودعا لي بدعوات وارشدني إلى ورد الصلاة على النبي ؑ ومات ؑ سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ؑ.

٤٣ - ومنهم سيدي أحمد البهلول ؑ ورحمه :

ثالث من قبله في الطريق على الشيخ شعبان وكان سيدي محمد بن عنان ؑ كلما مر عليه يقف يقرأ الفاتحة وكان يعظمه كثيرا وهو الذى أشار على بالزواج في أول امرى فقال زوجتك زينب بنت الشيخ خليل القصبى وأقبضت عنك المهر ثلاثين دينار واعطيتك البيت واخدمتك إخوتها الثلاثة ففارقته فجاءني والد الصببية

وخطبني بنفسه ووجدت اسمها زينب ولها ثلاث أخوة ووجدت البيت مقفلاً على اسمها كما قال ﷺ.

وكان ﷺ يقول لا تدفعوني إلا خارج باب القرافة في الشارع ولا تجعلوا لقبري شاهداً ودعوا البهائم والبغال تمشي على واحذروا أن تجعلوا على قبري تابوتا أو سترًا يبقى كل من مر على يدق تابوتي يمنعني أن أستريح في القبر فقال له قد عملنا لك قبراً في جامع بطيخة فقال إن قدرتم أن تحملوني ففعلوا فعجزوا أن يحركوا النعش إلى ناحية جامع بطيخة فلما حملوه لنانحية القرافة خف عليهم ﷺ مات ﷺ سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ﷺ.

٤٤ - ومنهم سيدى الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري ﷺ:

كان ﷺ من الراسخين في العلم وانتهت إليه الرياسة في علو السند بالكتب الستة وغيرها وكان يقرأ السبع وله صوت بالحرايب لم يسمع السامعون في عصره مثله، ولما دخل السلطان ابن عثمان فريد أيام الخوري مصر طلبوا له إماماً يخطب به فأجمع رأى أهل مصر كاملاً على الشيخ أمين الدين ﷺ فصار يؤم به إلى أن سافر إلى الروم وكان ﷺ ينزل من بيته يتوضأ ويصلى ما شاء الله تعالى أن يصلى ثم يصعد الكرسي فيقرأ في المصحف قبل الفجر نحو سبعة عشر حزباً سراً فإذا أذن للصبح قرأ جهراً قراءة تكاد تأخذ القلوب من أمانتها فمر نصراني من مباشرى الديوان يوماً في السحر فرق قلبه فطلع وأسلم على يد الشيخ ﷺ وهو يقرأ على الكرسي وصار يبكي وحسن إسلامه ورأيت يصلى خلفه إلى أن مات وكان الناس يأتون إلى الصلاة خلفه من بولاق ومن نواحي الجامع الأزهر في صلاة الصبح لحسن صوته وخشوعه وكثرة مكانه حتى يبكي غالب الناس خلفه.

وكان سيدى أبو العباس الغمري ﷺ يقول الجامع جثة والشيخ أمين الدين ﷺ روحها ومصدق ذلك أن الناس كانوا يخرجون من الجامع في مثل خروج الحج فلم يبق في الجامع إلا هو فكان الجامع لم يخرج منه أحد وكان ﷺ إذا سافر صار الجامع كأنه ما فيه أحد ومما وقع لي معه أنني كنت أقابل معه في شرح البخارى في جزاء الصيد.

ورأيته بعد موته بسنتين^(١) فروى لى حديثا سنده بالسريانى ومثنه بالعربى ان رسول الله ﷺ قال "من أدام النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب" وفى رواية "ابتلاه الله فى جنبه بالبعج" ومكث ﷺ سبعا وخمسين سنة إماما لم يدخل وقت واحد عليه وهو على غير وضوء وليلة مات كان مريضا فزحف إلى ميضأة الجامع فوقع بثيابه فطلع والناس يحاذونه فصلى بالناس المغرب وثيابه تخر ماء وبقي معه العزم إلى أن مات وكان يلبس الثياب الزرق الجيب السود يتعمم بالقطن غير المقصور. وكان ﷺ يتفقد الأرامل والمساكين والعميان ويتعب لهم فى حوائجهم ويجمع لهم الزكوات ويفرقها عليهم ولا يأخذ لنفسه شيئا وكان يعطى ذلك سرا وما علم الناس بذلك إلا بعد موته، مات ﷺ فى سنة تسع وعشرين وتسعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر بالقرب من سيدى إبراهيم الجعبرى ﷺ.

٤٥ - ومنهم سيدى أبو الحسن الغمرى رحمه الله تعالى ابن سيدى أبى العباس الغمرى ﷺ:

كان ﷺ من الصفاء والصلاح على جانب عظيم، وكان سيدى محمد بن عنان ﷺ يقول فرعان فأقا أصلهما فى الكرم والحياء أبو الحسن وعبد الحليم بن مصلح وكان من أخلاقه ﷺ أنه يخدم فى البيت مع الخادم ويغسل الأوانى ويوقد تحت الدست ويقرص العجين ويكنس البيت وكان ﷺ لا يجالس احدا إلا وقت الصلاة أو الذكر أو تلاوة القرآن أو لما لا بد منه من المصالح وكان يستحى أن يركب فى مصر حمالا أو غيره، وكان إذا ركب إلى بولاق أو مصر يركب فى الغلس ويقصد المواضع الخالية ذهابا وإيابا ويقول لا استطيع أن أركب فوق رؤوس الناس أبدا.

وكان ﷺ إذا دعى إلى وليمة وحضر يصير يعرق ويمسح العرق حياء من الناس وكنا إذا سافرنا معه إلى ميت غمر أو المحلة لا يأكل فى للركب ولا يشرب حياء من الناس ويقول لا يخرج لى بول واحد ينظر إلى ولز على بعد وكان لا ينام مع احد فى فراش ولا بحضرة أحد لا فى ليل ولا فى نهار ويقول أخاف أن يخرج منى ريح وأنا نائم، صحبتته نحو ثلاثين سنة إلى أن مات ما رأته تخير على يوما واحدا فلما انتقلت من

(١) أى فى المنام.

جامعه صار يتردد إلى فاكاد أن أنوب من الخجل من مشيه إلى ويقول أنا اشتاق إليك، مات سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ودفن عند والده بالجامع بمصر المحروسة .

٤٦ - ومنهم سيدى الشيخ عبيد البلقينى :

صحبتة نحو عشر سنين، وكان من أرباب الأحوال والكشف إذا أخبر عن شيء يأتى كفلق الصبح وكان السلطان قايتباى ينزل لزيارته فى بلقين فلما انتقل إلى القاهرة كان يتردد إليه وكذلك السلطان قانصوه الغورى، وكان إذا سمع كلام سيدى عمر بن الفارض أو غيره يقول كالجمال الهائج لا يستطيع أحد أن يقعه حتى يقعد بنفسه وكان جمالى المقام يلبس النفيس ويأكل اللذيذ وليس للدنيا عنده قدر فكان يخلع الجوخة والصوف النفيس يعطيه للسائل وحصل له جذب فى أول عمره فمكث نحو الخمس عشرة سنة بلباس جلده مكشوف الرأس والبدن لا يلتفت لتدبير بدنه حتى صار الدود يتساقط من تحت قلنسوته من محل الزيق ولم يزل آخره ظاهره فى ناحية قفاه وعمر زمانا ومات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاويته التى أنشأها بالقرب من الجامع الأزهر المشهور بالحلاوية .

٤٧ - ومنهم سيدى الشيخ يوسف الحرثى :

كان قدم عظيم فى اتباع السنة وقيام الليل وتلاوة القرآن وكان يميل إلى إخفاء العبادات جهده، وأخبرنى قال لما تزوجت أم أبى العباس مكثت أقرا فى حضنها كل ليلة ختما مدة عشر سنين ما اظن أنها شعرت فى ليلة واحدة وأخبرنى ليلة توفى فقال قد خرجت من الدنيا وما عرفت أن اتوضأ فقلت كيف قال سألت عدة من العلماء والحفاظ عن كيفية تخليل اللحية فى الوضوء فما منهم أحد عرف كيف كان يخلل لحيته .

وكان يقول أنا أحب فى مصر ثلاثة عبد الرحمن الأجهورى المالكى ويوسف البشلاوى وعبد الوهاب، وكان يكره لولده أبى العباس تلقينه للناس الذكر ويقول يا ولدى إيش بلانا بهذه الطريق وكان على هضم النفس دائما، مات سنة أربع وعشرين وتسعمائة ودفن بجامع البشر .

٤٨ - ومنهم الشيخ عبد الرازق الترابي رحمه:

أحد اصحاب سيدى على النبتيتى الضرير رحمه كان رحمه على قدم عظيم من العبادة والتقشف واعتقده الناس بعد موت سيدى رحمه ثم انتقل انتقل إلى ناحية الجيزة وأقبل الناس عليه وصنف رسائل في الطريق وكان له النظم الرائقة في احوال القوم وطلع رحمه لنائب مصر في شفاعته فأغلق عليه فأقسم إنه لا ينزل من جامع القلعة إلا أن مات خير بك فطلعت فيه جمرة فمات في اليوم الثالث فنزل الشيخ مات رحمه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن بساقية مكة بالجيزة وقبره بها ظاهر يزار رحمه.

٤٩ - ومنهم الشيخ مخلص رحمه:

أحد اصحاب سيدى الشيخ أبى الخير بن نصر ببلاد الغربية، كان رحمه الله تعالى من الفقراء الصادقين، وكان سيدى الشيخ محمد الشناوى رحمه يعظمه ويوقره اجتمعت به مرات عديدة وحصل لى منه نفحات وجلت بركتها وكان على هدى الفقراء الأول من كثرة الصوم وتلاوة القرآن والإعراض عن الدنيا واهلها مات رحمه سنة أربعين وتسعمائة ودفن بابشيه للقى وقبره بها ظاهر يزال رحمه. آمين.

٥٠ - ومنهم الشيخ صلي الدين البكرى رحمه:

أحد اصحاب سيدى إبراهيم للتبولي رحمه والشيخ أبى العباس الغمرى رحمه كان رحمه ذا سميت حسن قليل الكلام لا يكاد ينطق بكلمة إلا بعد تثبت صحبته نحو عشر سنين وحصل لى منه نفحة وجلت بركتها، ولما حج رحمه عنه وزار النبى ﷺ سمع رد السلام من رسول الله ﷺ مات رحمه سنة ثمان عشرة وتسعمائة رحمه.

٥١ - ومنهم سيدى الشيخ دمر داش المحمدى رحمه:

أحد جماعة سيدى عمر رويشين بمدينة توريذ العجم رحمه، كان رحمه الله على قدم السلف الصالح من الأكل من عمل يده والتصدق بما فضل وعمل الغيط المجاور لزايوته خارج مصر والحسينية فأقام هو وزوجته فى خص يفرسون فيه خمس سنين وقال لى ما أكلت ولا واحدة لأننى زرعت على اسم الفقراء والمساكين وابن السبيل والسائلين.

ونمت عنده لياى فكنت لا اراه ينام من الليل إلا يسرا ثم يقوم يتوضأ ويصلى ثم يتلو القرآن فربما يقرأ الختم كاملا قبل الفجر وليس فى مصر ثمرة احلى من ثمرة غيطه وقسم وقفه ثلاثة اثلث ثلث يرد على مصالح الغيط وثلث للذرية وثلث للفقراء القاطنين بزاووته وربت عليهم كل يوم ختما يتناوبونه ويهدون ذلك فى صحائف سيدى الشيخ محيى الدين بن العربى ؒ وكان امره كله جدا، مات ؒ نيف وثلثين وتسعمائة ودفن بزاووته ؒ.

٥٢ - ومنهم الشيخ إبراهيم أخوه فى الطريق ؒ:

كانت له المجاهدات فوق الحد اجتمعت به انا وسيدى ابو العباس الحريثى ؒ مرارا كثيرة ورايناه على قدم عظيم إلا انه امى أغلف للسان لا يكاد يفصح عن المقصود واعطى القبول التام فى دولة ابن عثمان واقبل عليه العسكر إقبالا زائدا وأرادوا نفيه لذلك فجمع نفسه وعمر له قبة وزاوية خارج باب زويلة ودفن فيها فى الخلاوى المحيطة بقبته قبورا بعدد أصحابها على طريقة مشايخ العجم وكان يقبل على إقبالا زائدا لكن يقول انتم مشايخ الخير فكان لا يعجبه إلا المجاهدات من غير تخلل راحة، مات رحمه الله سنة أربعين وتسعمائة ؒ.

٥٣ - ومنهم الشيخ مرشد ؒ:

كان ؒ قادري الخرقه وكان يطوى الأيام والليالى واخبرنى انه مكث نحو أربعين سنة يأكل كل يوم زبيبة واحدة حتى لصق بطنه على ظهره رضى الله عنه وكان يحبك الشدود وغيرها ويتقوت بذلك اجتمعت به كثيرا واخبرنى بأمره من مبدئه إلى ذلك الوقت ونبهنى على أمور فى الباطن كنت مخلا بها وحصل لى منه مدد واجتمع عليه آخر عمره طائفة السودان من الفقراء واعتقلوه اعتقادا زائدا مات، سنة نيف وأربعين وتسعمائة ودفن بباب الوزير بالقرب من قلعة الجبل وله من العمر نحو المائة رحمه الله تعالى.

٥٤ - ومنهم الشيخ ناصر الدين أبو العمام الزقناوى ؒ:

اقام بالنجارية وبنى بها زاوية وبستانا ومات بها وكان عبدا صالحا احمدى الخرقه وكان بينه وبين سيدى الشيخ نور الدين الشونى ؒ ود وإخاء، وكان ؒ يتعمم بنحو ثلاث برد صوف واكثر وكان لسانه لهجا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن

صحبته نحو خمس سنين وحصل لى منه نفحات ودعا لى بدعوات منها قوله اللهم اجعل أخى هذا من الذين لا يرضون بسواك، مات رحمه الله تعالى بالتجارية سنة تسع عشرة وتسعمائة ٥٥.

٥٥ - ومنهم الشيخ شرف الدين الصعیدی ٥٥:

كان ٥٥ صاحب كشف واجتهاد وقيام وصيام وطى وكان يطوى الأربعين يوما وأكثر وامتحنه السلطان الغورى وحبسه فى بيت أربعين يوما مقفلا عليه الباب ثم فتحه فوجده قائما يصلى، صحبته نحو ثلاث سنين آخر عمره ثم مات ودفن بالقرب من الإمام الشافعى ٥٥ فى تربة شرف الدين الصغير ٥٥.

٥٦ - ومنهم سيدى الشيخ أبو القاسم المغربي الفاسى القصرى ٥٦:

قدم مصر سنة سبع عشرة وتسعمائة حاجا فصحبته إلى أن سافر ثم رجع من الحج فصحبته إلى أن سافر إلى المغرب فلما وصل إلى فاس أرسل لى كذا وكذا كتابا مشتملا على آداب وإرشادات وكان ٥٦ ذا خلق حسن وكرم وحلم لم يزل متبسما منشراحا وجاء مصر فى نحو خمسمائة مريد حج بهم، وكان دابه الجهاد طول عمره إلى أن مات رحمه الله تعالى.

٥٧ - ومنهم سيدى على البلبلى ٥٧:

وبلبلى قبيلة من عرب المغرب كان ٥٧ ذا سمع حسن وخلق حسن لم يزل يسافر الحجاز والقدس واليمن إلى أن مات فى الحجاز وكان يقيم إذا جاء مصر فى الجامع الأزهر وهو الذى قال لى جميع ما يقدم إليك من للأكل مائدة الله تعالى فكل منها بالتعظيم لمن قدمها وميزان الشريعة بيدك من حيث الورع ولا تركها تهلك.

وكان سيدى محمد بن عنان ٥٧ يحبه حبا شديدا وكذلك الشيخ نور الدين الشونى ٥٧ وغيرهما وكان رحمه الله على قدم من الزهد والورع ودخل عليه مرة الشيخ محمد ابن عنان ٥٧ فرآه مريضا قد اشرف على التلف فرقد الشيخ محمد مكانه فقام سيدى على نشطا فى الحال كان لم يكن به مرض ومكث سيدى محمد بن عنان ٥٧ مريضا نحو أربعين يوما رحمه الله تعالى.

٥٨ - ومنهم الشيخ إبراهيم أبو لحاف المجذوب ❦:

كان ❦ من أوسع الناس خلقا لا يكاد أحد قط يغضبه ولو فعل معه ما فعل، وكان أولا مقيما في برج من أبراج قلعة الجبل نحو عشرين سنة فلما قرب زوال دولة الجراكسة أرسل يقول للغورى تحول واعط مفاتيح القلعة لأصحابها فلم يلق إليه بالا وقال هذا مجذوب فنزل إلى مصر وزالت دولة الجراكسة ولم يزل في مصر إلى أن مات ودفن في قنطرة السد بالقرب من مصر العتيق في الحوش الذى هناك وكان يقيم عندى الشهر واكثر فكنت أراه لا ينام شيئا من الليل إلا قبيل الفجر.

وكان ❦ يقول طول ليله الله الله لا يفتر وكان حافيا مكشوف الرأس متلحفا بملاءة حمراء وبيده عصا غليظة لم تزل في حضنه ويقول احتاج الزمان إلى هذا ولما مددت للتسويط في أيام السلطان أحمد بسبب شخص من أكابر الدولة قيل إنه مخبا عندى وقف عند راسى وقال لا تخف ما عليك بأس غدا تقضى الحاجة أذان الظهر فلما كان الغد خرج السلطان أحمد هاربا من القتل أذان الظهر كما قال وكنت لم أزل اسمعه يقول هذه الكلمات سبحان من خلق الخلق احتياط علم خبر فقط رحمة الله تعالى عليه.

٥٩ - ومنهم الشيخ محمد بن زرعة ❦:

كان ❦ مقيما بمصر بقنطرة قديدار وكان ❦ يتكلم ثلاثة أيام ويسكت ثلاثة أيام زرته مرات ودعا لى بدعوات منها الله يجعلك من رؤوس حزب محمد ❦ قال بعضهم وكان سيدى عبد القادر الدشطوطى ❦ من سعادة محمد بن زرعة إنا جالت روحه في الأرض مات رحمه الله سنة أربع عشرة وتسعمائة ودفن بالشباك الذى كان يقعد فيه في بيته ❦.

٦٠ - ومنهم سيدى على وحيش من مجاذيب النجارية ❦:

كان ❦ من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال وكان يأتى مصر والمحلة وغيرهما من البلاد وله كرامات وخوارق واجتمعت به يوما في خط بين القصرين فقال لى ودينى للزلباني فوديته له فدعا لى وقال الله يصيرك على ما بين يديك من البلوى واخبرنى الشيخ محمد الطنيجي رحمه الله تعالى قال كان الشيخ وحيش ❦ يقيم

عندنا في المحلة في خان بنات الخطا وكان كل من خرج يقول له قف حتى اشفع فيك عند الله قبل أن تخرج فيشفع فيه.

وقال يوما لبنات الخطا اخرجوا، فإن الخان رائج يطبق عليكم فما سمع منهم إلا واحدة فخرجت ووقع على الباقي فمتن كلهن، وكان له احوال غريبة وقد أخبرت عنه سيدى محمد بن عنان ؑ فقال هؤلاء يخيلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة، مات رحمه الله تعالى بالنجارية سنة سبع عشرة وتسعمائة ؑ.

٦١ - ومنهم سيدى الشريف المجذوب ؑ ورحمه:

كان ؑ ساكنا تجاه المجانين بالمارستان للنصورى وكان كشف ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وارسل لى مرة رغيفا مع إنسان وقال قل له يأكل هذا الرغيف وطوى فيه، مرض سبعة وخمسين يوما فلم يأكله، فأكله القاصد فمرض سبعة وخمسين يوما فقال للقاصد لا تخف إن شاء الله تعالى اصطاده فى مرة أخرى فلم يقدر له ذلك، وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء والسعداء فى هذا الدار وكان أصله جمالا عند بعض الأمراء ثم حصل له الجنب وكان سيدى على الخواص ؑ جاءه الشريف ورد عنه الطعنة وقال لم يجتنى أحد فى مصر غير الشريف فكان لا ينساها له ثم إنهم طعنوه مرة أخرى فأصابته وذلك أن الشفاعات كثرت على سيدى على الخواص ؑ أيام السلطان ابن عثمان وكان اصحاب النوبة بمصر عجما فكانوا لم يزالوا يعارضونه ويعارضهم فطعنوه بخنجر فى مشعره ولم يزل به إلى أن مات بعد ثلاثين يوما ؑ.

٦٢ - ومنهم سيدى على الدميرى المجذوب ؑ:

كان ؑ جالسا ليلا ونهار على دكان ببيع الرقاق تجاه حمام للارستان وكان ؑ لا يتكلم إلا نادرا وكان مكشوف الرأس ملفوفا فى بردة كلما تتقطع يبدلونها له بأخرى أقام على هذه الحالة نحو عشرين سنة وكان كلما رآنى تبسم، مات ؑ سنة خمس وعشرين وتسعمائة ودفن بالمسجد الذى بقرب باب النصر اليشيكى وقبره ظاهر يزار ؑ.

٦٣ - ومنهم شيخى وأستاذى سيدى على الخواص البرلسى رحمه:

كان رحمه أميا لا يكتب ولا يقرأ وكان رحمه يتكلم على معانى القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا تحير فيه العلماء وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإدبات فكان إذا قال قولا لا بد أن يقع على الصفة التى قال وكانت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فما كان قط يحوجهم إلى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعة التى أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيقول طلق مثلا أو شارك أو فارق أو اصبر أو سافر أو لا تسافر فيتحرر الشخص ويقول من أعلم هذا بأمرى وكان له طب غريب يداوى به أهل الاستسقاء والجذام والفالج والأمراض للزمنة فكل شيء أشار باستعماله يكون الشفاء فيه، وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه يقول الشيخ على البرلسى أعطى التصريف فى ثلاثة أرباع مصر وقراها وسمعتة يقول مرة أخرى لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا يأنن الشيخ على الخواص رحمه.

وكان رحمه يعرف أصحاب النبوة فى سائر أقطار الأرض ويعرف من تولى منهم ساعة ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أر هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى وقتى هذا، وكان له اطلاع عظيم على قلوب الفقراء فكان يقول فلان اليوم زاد فتوحه كذا كذا دقيقة وفلان نقص اليوم كذا وكذا وفلان فتح عليه بفتوح يدوم إلى آخر عمره وفلان يدوم فتحه سنة أو شهرا أو جمعة فيكون الأمر كما قال ومر عليه فقير فتح عليه بفتوح عظيم فنظر إليه وقال هذا فتوحه يزول عن قريب فمر على ذلك الفقير شخص من أرباب الأحوال فازدراه ونقصه بكلمات فراح ذلك الشخص إلى ذلك الفقير ودار له نعله فسلبه ذلك الفتوح فقال له الشيخ يا ولدى قلبة الأدب لا يمكنك معها فتوح ولم يزل مسلوبا إلى أن مات، وكان رحمه يعظم أرباب الحرف النافعة فى الدنيا كالسقاء والزبال والطباخ والفيخرانى ومقدم الوالى ومقدم أمير الحاج والعداوى والطوافين على رؤوسهم بالبضائع ويدعو لهم بكرمهم.

وكان رحمه يعظم العلماء وأركان الدولة ويقوم لهم ويقبل أيديهم ويقول هذا ادبنا معهم فى هذه الدار وسيعلمنا الله تعالى الأدب معهم إذا وصلنا إلى دار الآخرة، وكان إذا علم من أحد من أرباب الدولة أو غيرهم أنه قاصد السلام عليه ينهب إليه قبل أن يأتى ويقول كل خطوة يمشيها الناس إلى الفقير تنقصه من مقامه درجة

فقيل له فكيف تذهب انت إليهم فقال انا اذهب واسأل الله تعالى لهم أن لا ينقص درجتهم فإن أجرى على الله تعالى لا عليهم.

وكان ﷺ أولا طوافا يبيع الصابون والجميز والعجوة وكل ما وجد ثم فتح دكان زياته سنين عديدة ثم صار يضفر الخوص إلى أن مات وكان لا يأكل شيئا من طعام الظلمة واعوانهم ولا يتصرف في شيء من دراهمهم في مصالح نفسه أو عياله إنما يضعه عنده للنساء الأرامل والشيخ والعريان والعاجزين عن الكسب ومن ارتكبتهم الديون فيعطيه من ذلك ما قسم وورمت عيناه مرة ورما شديدا وهو يضفر الخوص فاتاه شخص من اصحابنا بدراهم وقال يا سيدى انفقها واسترح حتى تطيب عيناك فردها وقال الله انا في هذا الحال ولا تطيب نفسى بكسب نفسى فكيف بكسب غيرى.

وكان ﷺ يعامل الخلق على حسب ما فى قلوبهم لا على حسب ما فى وجوههم. ومر عليه مرة شخص من الفقراء والنور يخفق من وجهه فنظر إليه الشيخ فقال اللهم اكفنا سوء إن الله إذا أراد بعبد خيرا جعل نوره فى قلبه وظاهر جسده كأحد الناس وإذا أراد به سوء أظهر ما فى قلبه على وجهه وجعل قلبه مظلما.

وكان ﷺ يكنس المساجد وينظف بيوت الأخوية ويحمل الكناسة تارة ويخرجها إلى الكوم احتسابا لوجه الله تعالى كل يوم جمعة وكان يكنس للقياس فى كل سنة ثانى يوم نزول النقطة وينفق على اصحابه ذلك اليوم نفقة عظيمة يقبض من عبه الدراهم ويعطيها كل من رآه المستحقين ويزن عنهم كراء المعدية وهم نحو مائة نفس ثم يفرق السكر والخشكان على اهل للقياس وجيرانه ثم ينزل فيكشف رأسه ويتوضأ من للقياس ويصير يبكى ويتضرع ويرتعد كالقصبية فى الريح ثم يطالع يصلى ركعتين ويأمر كل واحد من اصحابه أن ينزل ثم يكنس السلم يمشط من حديد ويخرج الطين الذى فيه بنفسه لا يمكن أحدا يساعده فيه، وكان يقال إن خدمة النيل كانت عليه وأمر طلوع النيل ونزوله ورى البلاد وختام الزرع كل ذلك كان بتوجهه فيه إلى الله تعالى وكان أولياء عصره تقرر له بذلك.

ولما دخل ابن عثمان مصر أرسل له فقيراً ينظر كم معه من أصحاب النوية فذهب ورجع فقال معه سبعة فقال والله مغفر يرجع إلى بلاده سالماً، وكان سيدي محمد بن عنان ﷺ إذا جاءه اهل الحوائج الشديدة كشخص رسم السلطان بشنقه أو

مسكه الوالي بزغل او حرام او نحو ذلك يرسل صاحب الحاجة للشيخ علي ؑ ويقول: نحن ما معنا تصريح في هذا البلد فتقضي الحاجة، وجاءته امرأة مرة وأنا قاعد يا سيدي نزلوا بولدي يشنقونه على قنطرة الحاجب فقال اذهبوا بسرعة للشيخ علي البرلسي ؑ فذهبت إليه أمه فقال روعي معه وإن شاء الله تعالى يلحقه القاصد من السلطان قبل الشنق فهو طالع قنطرة الحاجب للشنق وإذا بالشفاعة جاءت فاطلق .

ورأى الشيخ محمد بن عنان ؑ ليلة بلاء عظيما نازلا على مصر فارسل للشيخ علي فقال الله لا يبشره بخير ولكن توافي البركة فجاء جان بلاط للمؤتمر محتسب مصر فأخذ الشيخ عليا من الدكان وضربه مقارع وخزمه في كتفه وأنفه ودار به مصر وبولاق فلما صلى الشيخ محمد ؑ الظهر ورأى البلاء ارتفع قال روحوا انظروا أيش جرى للشيخ علي فراحوا فوجدوه على تلك الحال فردوا على الشيخ محمد ؑ الخبر فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يتحمل عنها البلايا والمحن ثم خر ساجدا لله عز وجل وكان إذا وقع نوء أيام زهر الفواكه لا ينام تلك الليلة وهو يتضرع ويبكي ويسأل الله تعالى في رفعه .

وكان ؑ يملأ أوعية الكلاب دائما في حاراته وغيرها وكانت مدة صحبتي له عشر سنين فكانها كانت ساعة وله كلام نفيس رقمنا غالبه في كتابنا المسمى بالجواهر والدرر كل جواب منه يعجز عنه فحول العلماء حتى يعجب من كتب عليه من العلماء كسيدي الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي ؑ وسيدي الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي ؑ وسيدي الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي ؑ والشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي ؑ وغيرهم وقال الشيخ شهاب الدين الفتوحي ؑ لي سبعون سنة أخدم العلم فما أظن قط أنه خطر على بالي لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب يعني الجواهر والدرر.

وكان له حبة واحدة وشاش صغير على زنط يغسل العمامة و الحبة في السنة مرة واحدة بالملح ويقول: نوفر الصابون لغيرنا من الفقراء وكان إذا اشتهدت نفسه الدسم أخذ عظم الأذناب من قاعة العظام وصلقها ثم قطف الدهن وكب ماءها ثم طبخ به القمح والرز هذا كان لحمه ويقول: الأذناب لا تصيبها العيون ولا أحد ينظر إليها.

وكان ﷺ يقول: لا يسمى عالما عندنا إلا من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر بأن يكون خضرى المقام وأما غير هذا فإنما هو حاك لعلم غيره فقط فله اجر من حمل العلم حتى أداه لا اجر العالم والله لا يضيع اجر المحسنين ثم قال من اراد ان يعرف مرتبته في العلم يقينا لاشك فيه فليرد كل قول حفظه إلى قائله وينظر بعد ذلك إلى علمه فما وجدته معه فهو علمه واطن ان لا يبقى معه إلا شيء يسير لا يسمى به عالما .

وكان يقول: لا يصير الرجل عندنا معدودا من اهل الطريق إلا ان كان عالما بالشرعية المطهرة مجملها ومبينها ناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومن جهل حكما واحدا منها سقط عن درجة الرجال فقلت له إن غالب مالكي هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الرجال فقال نعم إن هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم وأما المسلك فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم في سائر ما يطلبونه.

وكان ﷺ يقول: في معنى قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حين رأى رب العزة جل جلاله في منامه فقال يا رب بم يتقرب إليك المتقربون ؟ قال يا أحمد بتلاوة كلامي قال يا رب بفهم أم بغير فهم ؟ قال يا أحمد بفهم وبغير فهم المراد بفهم ما يتعلق بعلماء الشريعة وبغير فهم ما يتعلق بعلماء الحقيقة فإن العلماء ما لهم آلة لفهم كلام الله تعالى إلا بالفكر والنظر وأما العارفون فطريقهم إلى فهمه الكشف والتعريف الإلهي فقال له قد صح أن له بكل حرف عشر حسنات فتحت قوله وبغير فهم مسألتان والله اعلم .

وكان ﷺ يقول: إذا حفت العناية الإلهية عبدا صار كل ذرة من عمره تقاوم ألف سنة من عمر غيره وإذا تخلفت العناية عن عبد صار كل ألف ذرة من عمره لا تساوي ذرة من عمر غيره.

وكان يقول: ونحن في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة جميع ابواب الأولياء قد ترحزت للغلق وما بقى الآن مفتوحا إلا باب رسول الله ﷺ فأنزلوا كل ضرورة حصلت لكم به ﷺ.

وكان يقول: لا يكمل الفقير في باب الاتباع لرسول الله ﷺ حتى يصير مشهودا له في كل عمل مشروع ويستأننه في جميع أموره من أكل ولبس وجماع ودخول

وخروج فمن فعل ذلك فقد شارك الصحابة في معنى الصحبة.

وكان ﷺ يقول: لو شهد المعتزل عن الناس أن الناس خير منه ما اعتزل عنهم بل كان يطلب الخلطة بهم ويتعلم من أخلاقهم.

وكان يقول: في قولهم بنس الفقير بباب الأمر هذا في حق من يأتي الأمير يسأله الدنيا فإن كان لشفاعة ونحوها فنعم الفقير بباب الأمير .

وكان يقول: من أدب الزائر أن لا يشغل المزور عن الله تعالى بدخوله عليه إما لقوة حال المزور وإما أن يكون وقت فراغ، قلت : ويقاس على ذلك تعطيله عن الحرفة التي تكفه عن سؤال الناس.

وكان ﷺ يقول: أيضاً من أدب الزائر أن لا يزور أحداً إلا إن كان يعرف من نفسه القدرة على كتمان ما يرى في المزور من العيوب وإلا فترك الزيارة أولى.

وكان ﷺ يقول: سمعت سيدي إبراهيم التتولي ﷺ يقول: زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول شجرة الحنظل فكلما ازداد ربا ازداد مرارة.

وكان ﷺ يقول: في معنى حديث " إن الله يكره الحبر السمين " أي لأن المراد بالحبر العالم وسمنه يدل على قلة ورعه وعمله بعمله فلو تورع لم يجد شيئاً في عصره يسمن به.

وكان ﷺ يقول: الراسخ في العلم واقف ولو لم يرسخ لدام ترقية ﴿ وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ ﴾^(١) وسئل ﷺ عن المراد بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر ﷺ فقال هو عدم وقوفه مع الوسائط فكان مع الله عز وجل وكان يرى محمداً ﷺ طريقاً يجرى له الخير منها كحكم المريد مع شيخه إذا كمل حال المريد وقد ظهر ذلك السر يوم موته ﷺ فإنه ثبت وخطب الناس وحضهم ولم يظهر عليه تأثير كما وقع لعمر ﷺ ولغيره من الصحابة.

وكان ﷺ يقول: ليس لفقير أن يدخر قوت العام إلا إن كان على بصيرة بأن ذلك قوته وحده وليس لأحد فيه نصيب فإن لم يكن على بصيرة فليس له أن يدخر لأن سبب ذلك إنما هو شح في الطبيعة فإن أطلعه الله تعالى على أن هذا الدخر رزق قوم

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

آخرين لا يصل إليهم إلا على يديه فله الادخار لهذا الكشف فإن علم أنه رزق قوم ولكن لم يطلعه الله على أن ذلك يكون على يديه فلا ينبغي له إمساكه فإن أطلعه الله تعالى على أن ذلك لا يصل إليهم إلا على يديه في زمان معين فهو بالخيار إن شاء أمسكه إلى ذلك الوقت وإن شاء أخرجه عن يده فإنه ما هو حارس ولا أمره الحق بإمساكه وإذا وصل إلى ذلك الوقت المعين فإن الحق تعالى يرده إلى يده حتى يوصله إلى صاحبه .

قلت : وهذا أولى لأنه بين الزمانين يكون غير موصوف بالادخار لأنه خزنة الحق ما هو خازن الحق.

وكان ﷺ يقول: لا تبدعوا أحدا بهدية إلا إن كان فقيرا محتاجا أولا يتكلف للمكافأة فإن من بدا من يكافئه أساء في حقه لأنه عرضه لكلفة المكافأة.

وكان يقول: لا تقوموا لأحد من الإخوان وغيرهم إلا إذا علمتم منهم عدم الليل إلى القيام، فإن من قام لمن يحب القيام كبر نفسه بغير حق وأساء في حقه من حيث لا يشعر.

وكان ﷺ يقول: يكفي الفقير في هذه الأيام حجة الإسلام ولا ينبغي له الزيادة على ذلك إلا إن كان خاليا من منة الناس عليه لا يطرق قلبه تكدير من التجار الذين لم يحسنوا إليه إذا جاع أو عجز عن المشي ونحو ذلك لأن الله تعالى شرط الاستطاعة في الحج نفله وفرضه.

وكان ﷺ يقول: في قوله ﷺ، إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، يدخل فيه العالم أو المسلك إذا لم يعمل بعمله في نفسه ولكن أفتى ودل الناس على طريق الله عز وجل وكذلك يدخل فيه العالم والعابد إذا زهدا في الدنيا طول عمرهما فلما قربت وفاتهما مالا إلى الدنيا وأحبها وجمعا للمال من غير حله فيموتان على ذلك فيحشران مع الفجار الخارجين عن هدى العلماء العاملين .

وكان ﷺ يقول: إنما كان مشايخ القوم يجيبون تلامذتهم من قبورهم^(١) دون مشايخ الفقهاء في الفقه لصدق الفقراء في اعتقادهم في أشياخهم دون الفقهاء فلو صدق الفقيه لأجابه الإمام الشافعي ﷺ وخاطبه مشافهة.

(١) لا دليل على ذلك لأن الميت لا يتكلم إلا إذا كان ذلك مناما.

وكان ﷺ يقول: جميع المنافع التي أوجدها الله تعالى في هذه الدار إنما أوجدها بالأصالة لتسبح بحمده وأما انتفاع عبادة بها فإنما هو بحكم التبعية ومن قال بعكس ذلك فهو مكر واستدراج .

وكان يقول: منع قوم التفكير للمبتدئ وهو كلام من لا تحقيق عنده والحق أنه ينفع المبتدئ لأن القلب أو الروح أو السر أو غيرها كمن المعاني الباطنة بالفن صفاتهم الباطنة فإذا الفوا التفكير ولد وهما والوهم يولد خيالا والخيال يولد علما والعلم يولد يقينا، فلا يزال العبد المتفكر يترقى بهمة وفكره حتى يبلغ درجات الكمال فإذا كمل أخذ ما كان يدركه بالفكر من طريق كشفه وتعرفه ولا يحتاج بعد ذلك إلى تفكير ولو أنه أراد التفكير لم يجد ما يتفكر فيه مع أنه في حال كماله يدرك في الزمن الفرد من العلوم والمعارف ما لا يعلم ولا يوصف.

وكان يقول: ليس لفقر الدخول بنفسه في مواطن التهم بل في شأن الفقير أن يخاف على نفسه من مواطن التهم أكثر مما يخاف من وجود الألم لأن مواطن التهم توجب السقم على القلب، كما توجب الأغذية الفاسدة السقم على البدن لاسيما وأطباء القلوب قليل ومواطن التهم كثيرة وإن كنت برياً فإنها تحكم عليك كما تحكم الشمس بضيائها وحرها على الأمكنة وهي برية من النور والحر.

وكان يقول: إنما أخبر الحق تعالى بأنه أقرب جوار لنا بشارة بإفاضة فضله ورحمته علينا قبل كل أحد من الخلق فنحن أقرب إلى عفوه ومغفرته وفضله ومسامحته لأنه أولى من وفي بحق الجوار وإن كنا نحن لم نوف به.

وكان ﷺ يقول: عداوتنا لأفعال من أمر الحق بعداوته عداوة شرعية وعداوتنا لذاته عداوة طبيعية والسعادة في الشرعية لا في الطبيعة.

كان ﷺ يقول: كما لم يجب الحق تعالى عبده في كل مسألة كذلك العبد لم يطعه في كل ما أمره جزاء وفاقا.

وكان ﷺ يقول: يجب على الفقير أن يذكر لشيخه لأمراضه الباطنة وإن كانت قبيحة ليدله على طريق شفاؤه منها وإن لم يفعل وترك ذلك حياء طبع فربما مات بدائه لأن حياء الطبع مذموم لكون الإفصاح عن المرض فيه زوال رياستها ودمها ووقع للشيخ زون بهار للدفون بالقرافة بالقرب من سيدي يوسف العجمي ﷺ أنه كان

يصعق في حب الله تعالى.

وكان ﷺ يقول: كل ما جاءك من الحق تعالى من أمور الدنيا والآخرة من غير سؤال و بسؤال عن إذن إلهي فهو منة من الله تعالى عليك ولا حساب عليك بسببه إن شاء الله تعالى بخلاف ما جاء من غير هذين الطريقين .

وكان يقول: ليس ما يصيب الأطفال والبهائم من الأمراض كفارة لها لعدم معصيتها وإنما هو في البهائم لكونها تطعم وتسقى في غير وقته أو غير ما تشتهي أولا تقتصر في الأكل على الحاجة بل تزيد ثم تستخدم مع ذلك فتتعب أبدانها لاسيما في شدة الحر والبرد وأما في الأطفال فلأن الحوامل من النساء والمرضعات يأكلن ويشربن بشره وحرص أكثر ما ينبغي من ألوان الطعام والشراب فيتولد في أبدانها اخلاط غليظة مضادة للطباع فيؤثر ذلك في أبدان الأجنة التي في بطونهن وفي أبدان أطفالهن من اللبن الذي هو فاسد ويكون ذلك سببا للأمراض والأعلال والأوجاع من الفلج والزمانات واضطراب البينة وتشوية الخلقة وسماجة الصورة ثم قال ومن أراد السلامة من ذلك فلا يأكل ولا يشرب إلا في وقت الحاجة بقدر ما ينبغي من لون واحد بقدر ما يسكن ألم الجوع ثم يستريح وينام ويمتنع من الإفراط في الحركة والسكون .

وكان ﷺ يقول: في حديث، إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي، إنما لم ينفعه بكاؤه ولا توبته لأنه لا يمكنه أن يبكي إلا بوجه واحد وذلك أن له وجهين وجه يمد بع العصا فلا يمكنه التوبة من هذا الوجه طرفه عين لأن الوجود لا يخلو عن عاص في كل لحظة ووجه يؤدي منه عبوديته لله عز وجل إذ هو متصرف بمشيئة الله عز وجل في أصحاب قبضة الشقاء.

وكان ﷺ يقول: في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) مقابلة الحق تعالى لعباده تختلف باختلاف العوالم التي يقع بها التقاؤل فإن كان واقعا في العالم للنالي فهو شبيه بالكاللة الجسمية وذلك بأن يتجلى لهم الحق تعالى تجليا مثاليا كتجليه في الآخرة بالصور المختلفة كما نطق به حديث التحول وإن كان التقاؤل واقعا في عالم الأرواح من حيث تجربها فهو كالكلام النفسي فيكون قول الله للملائكة على هذا إلقاء في قلوبهم للمعنى المراد وهو جعل آدم خليفة في الأرض

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠.

دونهم ويكون قولهم هو عدم رضاهم وإنكارهم الناشئين من احتجاجهم بروية نفوسهم وتسبيحهم عن مرتبة من هو أكمل منهم باطلاعهم على نقائصه دون كماله، ثم قال ومن أمعن النظر فيما ذكرناه تفتن لفهم كلام الله تعالى وعلم مراتبه وأنه تعالى عين المتكلم في مرتبته ومعنى قائم به في أخرى كالكلام النفسي فإنه مركب من الحروف ومعبر عنه بها في عالمي للثال والحس .

وكان ﷺ يقول: : المنوع من رؤية الجان إنما هو في صورتهم التي خلقهم الله تعالى عليها وإذا أراد الحق تعالى أن يطلع أحدا من عبيده على رؤيتهم من غير إرادة منهم دفع سبحانه وتعالى الحجاب عن عين الرائي فيراهم وقد يأمر الله تعالى الجن بالظهور لنا فيتجسدون لنا فيراهم زاي العين، ثم إذا رايناهم فتارة يكونون على صورهم في أنفسهم وتارة يكونون على صورة البشر أو غيرها فإن لهم التشكل في أي صورة شاءوا كالملائكة، وقد أخذ الله تعالى بأبصارنا عنهم فلا نراهم إلا إذا كشف الحجاب لنا مع حضورهم في مجالسنا وحيث كنا، قال وأصواتهم لا تشبه أصواتنا من كل وجه بل هي مختلفة وذلك لأن أجسامهم لطيفة فلا يقدر على مخارج الحروف الكثيفة لأنها انطباقا وصلابة، وحصول العلم لنا من كلامهم إنما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها هذا حكم كلامهم ما داموا في صورهم الأصلية وأما إذا دخلوا في غير صورهم فالحكم للآلة التي دخلوها من إنسان أو بهيمة أو غير ذلك .

وكان ﷺ يقول: من تحقق بكنم الأسرار سمع كلام الموتى ورأى ما هم فيه وتامل البهائم لما لم تكن من عالم التعبير كيف سمعت عذاب الموتى.

وكان يقول: صدقة السر ما جهلت معناه ولم يعلم خاطرك ما هو والسر يتنوع باختلاف مقامات العارفين فربما يكون سر إنسان جهرا بالنسبة لإنسان آخر.

وكان يقول: إذا توجهت إلى الله تعالى في حصول أمر دنيوي أو أخروي فتوجه إليه وانت فقير ذليل فإن غناك وعزتك يمنعانك الإجابة وإن كان بالله عز وجل لأن الغني والعز صفتان لا يصح للعبد الدخول بهما على الله تعالى أبدا لأن حضرة الحق تعالى لها العزة ذاتية فلا تقبل عزيزا ولا غنيا وهذا أمر من ذاقه لا يمكنه أن ينكره من نفسه.

وكان ﷺ يقول: آفة العقل الحذر وآفة الإيمان الإنكار وآفة الإسلام العلل وآفة

العمل الملل وآفة العلم النفس وآفة الحال الأمن وآفة العارف الظهور وآفة العقل الجور
 وآفة المحبة الشهوة وآفة التواضع المذلة وآفة الصبر الشكوى وآفة التسليم التفريط وآفة
 الغنى الطمع وآفة العز البطر وآفة الكرم السرف الزائد وآفة البطالة الفقر وآفة الكشف
 التكلم وآفة الاتباع التأويل وآفة الأدب التفسير وآفة الصحبة المنازعة وآفة الفهم الجدل
 وآفة المريد التسلل على المقامات وآفة الانتفاع التسلق وآفة الفتح الالتفات وآفة الفقيه
 الكشف وآفة المسلك الوهم وآفة الدنيا شدة الطلب وآفة الآخرة الإعراض وآفة الكرامات
 الاستدراج وآفة الداعي إلى الله تعالى لليل إلى الرياسة وآفة الظلم الانتشار وآفة العدل
 الانتقام وآفة التقليد الوسوسة وآفة الإطلاق الخروج عن الحدود وآفة الحديث النقص.

وكان ﷺ يقول: إنما سمي المجنوب مجذوبا لأن العبد لم يزل يتعشق حاله
 ويألفه ولا ينجذب عنه إلا بما هو أقوى منه وإذا أراد الله تعالى أن يخلص عبدا
 ويستخلصه لنفسه جذبه عما كان واقفا معه من أمر الدنيا والآخرة، فإذا تعشق بما
 جذبه الحق إليه ثانيا جذبه عنه ثالثا، وإنما فعل الحق تعالى ذلك لعبده لينبه العبد
 على أن جميع حركاته معلولة وربما زها العبد بالقوة الإلهية التي أعطاها الحق تعالى
 له فإذا زها العبد قال له الحق ما جذبتك عن ميل منك لي وإنما هو لشدة تعشق
 نفسك لأحوالها الناقصة فلولا وجود الحلاوة والالتذاذ في نفسك ما جذبتك فلنفسك
 سعت لا لي .

وكان ﷺ يقول: إياك والفرار من حال أقامك الله فيه فإن الخيرة فيما اختاره الله
 تعالى لك وتامل السيد عيسى عليه السلام لما فر من بني إسرائيل حين عظموه وأطروه
 كيف عبد من دون الله تعالى فوقع في حال أشد مما فر منه ثم قال واصل اختيار
 العبد مع الحق إنما هو لظن العبد أنه مخلوق لنفسه والحق تعالى ما خلق العبد إلا له
 تعالى فلا يعطي تعالى لعبده إلا ما يصلح أن يكون له تعالى .

وكان ﷺ يقول: من علامة العلم الإلهي أن تمجه العقول والأفكار ولا تقبله إلا
 الإيمان فقط وذلك لأنه برز من حضرة الموت الأكبر الذي هو موت النفوس تنفر من
 الموت لأنه يلحقها بالعدم.

وكان ﷺ يقول: من منذ خلق الله العالم ما تجلى قط في جلاله الصرف وإنما
 تجلى في جلال جماله .

وكان ﷺ يقول: الخلوة بالله وحده لا تكون إلا للقبط الغوث في كل زمان فإذا فارق هيكله المنور بالانتقال إلى الدار الآخرة انفرد الحق تعالى بشخص آخر مكانه ينفرد لشخصين قط في زمان واحد وقال وهذه الخلوة وردت في الكتاب والسنة ولكن لا يشعر بها إلا أهل الله تعالى خاصة، قلت : ورأيت هذا بعينه في كلام الشيخ محيي الدين ﷺ أيضاً قال وأما خلوة غير القبط فلا تكون بالله، وإنما هي لمزيد الاستعداد والبعد عمن يشغله عن الطاعات من المخلوقين لا غير.

وكان ﷺ يقول: لا يكمل إيمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب ويسرى منه الإيمان في نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهلبيهم من غير أن يتخلل ذلك الأمان تهمة .

وكان ﷺ يقول: أكمل الإيمان ما كان عن تجل إلهي لأنه حينئذ على صورة إيمان الرسل عليهم الصلاة والسلام ودونه ما كان عن دليل فلما علم الصحابة ﷺ أن إيمان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكون عن دليل لم يسألوا رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه وذلك لأن حقيقة الرسالة تقتضى أن لا دليل عليها وإن الرسل عليهم الصلاة والسلام مع الحق في التوحيد العام كنحن معهم إذ هم مأمورون كما نحن مأمورون إذ هم مقلدون للحق ونحن مقلدون لهم.

وكان ﷺ يقول: من تحقق برتبة الإيمان علم أن جميع المراتب تصاحب رتبة الإيمان كمصاحبة الواحد لمراتب الأعداد الكلية والجزئية إذا هو أصلها الذي بنيت عليه فروعها وثمارها.

وكان ﷺ يقول: لا يوصف الملأ الأعلى والأرواح العلاء بأنهم أولياء ولا أنبياء كصالحى الإنس والجن لأنهم لو كانوا أنبياء وأولياء ما جهلوا الأسماء.

وكان ﷺ يقول: لا يصح التعبير عن حقيقة الإيمان لأنه شيء وقر في الصدر لا يمكن التعبير عنه، قال : وأما ما ورد في السنة من الألفاظ التي تحكم لصاحبها بالإيمان فكلها راجعة إلى التصديق والإنعان اللذين هما مفتاحان لباب العلم بالعلوم المستقر في قلب العبد بالفطرة ولا ناقشوا أصحابها بل اجروا حكمهم على الظاهر ووكلوا سرائرهم إلى الله تعالى هذا بالنظر للعوام، وإلا فقد سال رسول الله ﷺ حارثة ﷺ عن حقيقة إيمانه.

وكان ﷺ يقول: إذا سئل أحدكم عن شيخه فليقل كنت خادمه ولا يقل كنت صاحبه فإن مقام الصحبة عزيز.

وكان ﷺ يقول: إذا كمل توحيد العبد لا يصح له أن يراس على أحد من المخلوقين لأنه يرى الوجود لله.

وكان ﷺ يقول: حقيقة القول بالكسب في مسألة خلق الأفعال أنه يعني بالكسب تعلق إرادة الممكن بفعل ما فيوجد الاقتدار الإلهي عند هذا التعلق فسموا ذلك كسبا للممكن بمعنى أنه كسب الانتفاع به بعد احتياجه إليه، ثم قال ومن حقق النظر علم أنه لا أثر لمخلوق في فعل شيء من حيث التكوين وإنما له الحكم فيه فقط فافهم فإن غالب الناس لا يفرق بين الحكم والأثر وإيضاح ذلك أن الله تعالى إذا أراد إيجاد حركة أو معنى من الأمور التي لا يصح وجودها إلا في موادها لاستحالة أن تقوم بنفسها إذ لا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الذي لا يقوم بنفسه فللمحل الذي هو العبد حكم في الإيجاد لهذا الممكن وما له أثر فيه ولولا هذا الحكم لكان نسبة الأفعال إلى الخلق مباهته للحس وكان يوثق بالحس في شيء وسمعته مرة يقول: ليس للممكن قدره أصلا وإنما له التمكن في قبول تعلق الأثر الإلهي به بلا النعت الأخص الذي انفردت به الألوهية كونها قادرة فإثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان، قلت: وهذا الكلام مع الأشاعرة المثبتين لها مع نفي الفعل عنها.

وقلت له مرة ذكر الإمام الغزالي ﷺ أن مسألة الكسب لا يزول إشكالها أبدا فقال بل يزول إشكالها من طريق الكشف وذلك أن الله تعالى خالق وحده بإجماع أهل السنة وإنما للعبد قبول إسناد العمل إليه لا غير ثم قال ومن أراد زوال اللبس بالكلية فلينظر في المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مادة أبداً ويتأمل هل هناك أحد يسند إليه الفعل غير الله تعالى فيزول إشكاله فإنه لا يصح وجود كون هناك يسند إليه الفعل فيسقط قول من قال لا يوجد لنا قط فعل لله تعالى وحده لا بد من مشاركة الكون فتأمل قلت: وذكر نحو ذلك سيدي محيي الدين ﷺ في الفتوحات.

وكان ﷺ يقول: من كمال الرجل أن يحسن إلى أعدائه وهم لا يشعرون تخلفا باخلاق الله عز وجل فإنه تعالى دائم الإحسان إلى من سماهم أعداءه.

وكان ﷺ يقول: من صح توحيده لله عز وجل انتفى عنه الرياء والإعجاب

وسائر الدعاوى المضلة عن طريق الهدى وذلك لأنه يشهد جميع الأفعال والصفات ليست له : وإنما هي لله وحده ولا يعجب أحد قط بعمل غيره ولا يتزين به .

وكان ﷺ يقول: لا يصحب كمال الإسلام اعتراض ولا يصحب كمال الإيمان تاويل ولا يصحب الإنسان سوء أدب ولا يصحب المعرفة همة ولا يصحب الإخلاص في العمل لذة ولا يصحب العلم جهل .

وكان ﷺ يقول: من ملكته نفسه عذب بنار التدبير ومن ملكها الله تعالى عذب بنار الاختيار ومن عجز عن العجز ذوقه الله تعالى حلاوة الأعمال .

وكان ﷺ يقول: من أدرك م نفسه التبديل والتغيير في كل نفس فهو العالم بقوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾^(١) .

وكان يقول: الطلب لا يتعلق إلا بمعدوم .

وكان ﷺ يقول: من علامة فقد النفس في حق الفقير عدم شهوته لشيء من أمور الدنيا والآخرة .

وكان ﷺ يقول: خص بالبلاء من عرفه الناس أو عرف الناس لكن الأول مبتلي بالله تعالى والثاني مبتلي بنفسه .

وكان ﷺ يقول: الإيمان محلة الدنيا والولاية محلها الآخرة .

وكان ﷺ يقول: لم تثبت السيادة إلا له ولم تثبت العبودية إلا لك فالسيد لا يملك والعبد لا يملك .

منتدى سور الأزبكية

وكان يقول: المكاتب قن ما بقى عليه شيء فإن رقي خرج من رقبته ودخل في رق نفسه وإن لم يوف فحاله موقوف وخاتمة مجهولة .

وكان ﷺ يقول: العبد يحمل إليه رزقه وهو في رق سيد واحد والمكاتب يسعى في طلب رزقه وهو في رق ثلاثة سيده ونفسه ودينه وسمعته يقول: من طلب دليلاً على الوحدانية كان الحمار اعرف منه بالله .

وكان ﷺ يقول: لا تنصح من لا يستشيرك ولا يسألك إلا إن أعطاك الله تعالى

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٩ .

أحد امرين : إما الكشف التام الذي لا يدخله محو ولا إثبات وإما الإلقاء في الروع لأن القصد من استشارة الفقراء إنما هو الكشف عن حقيقة الشيء الثابت لا غير .

وكان ﷺ يقول: الرزق في طلب الرزوق دائر والرزوق في طلب رزقه حائر وبسكون أحدهما يتحرن الآخر .

وكان ﷺ يقول: بقدر غفلتك عنه هنا يطول حضورك معه هناك إلا أنه حضور حساب لا حضور عتاب.

وكان يقول: يحتج العارف في هذا الزمان أن يحمي نفسه وإخوانه بالحال ولو مرة فإن كان ذلك نقصا في الأدب فهو كمال في العلم.

وكان يقول: أخلاق الورثة امتثال الأوامر الإلهية وأخلاق كمل المؤمنين اجتناب المناهي وأخلاق الشياطين بالضد من ذلك وأخلاق الحيوانات بالعكس من ذلك كله فمن لم يعلم حقيقة نفسه فليعلم حقيقة عمله فإن الثوب يدل على لابس.

وكان ﷺ يقول: العلوم الإلهية لا تنزل إلا في الأوعية الفارغة ثم أنشد لبعضهم :
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وكان ﷺ يقول: على قدر استعداد الجسد ينفخ فيه الروح وليس الاستعداد إلا العمل ولا الروح إلا المعرفة.

وكان ﷺ يقول: إذا كثرت منافذ الدار قل أمنها وكثر ضوؤها وكان ﷺ يقول: القفل على الباب ومفتاحه عند صاحب الدار وصاحب الدار فيها فمن طلب للمفتاح وصل إلى صاحب الدار وإلى المفتاح ومن طلب صاحب الدار لم يصل إلى المفتاح ولا صاحب الدار وسمعته يقول: الفرائض مفتاح والسنن أسنان فما نقص من أسنان المفتاح ضرر وما زاد حكمه كذلك إلا أنه إن قلع لم يضر، وسمعته إذا جاء وقت غروب الشمس تاهب الناس إلى إلا أنه إن قلع لو يضر، وسمعته يقول: إذا جاء وقت غروب الشمس تاهب الناس إلى منازلهم بأزوادهم وما يستضيئون به تذكرة لأولى الأبصار .

وسمعته يقول: لا يعلم بأن الحق تعالى مع كل شيء إلا الإنسان خاصة.

وكان ﷺ يقول: إنما وقع الكفر في العالم مع كون الكفار كلهم كانوا موجودين عند أخذ الميثاق الأول لأن ظهورهم هناك كان على التدريج كظهورهم

هنا لكن على غير ما آمن به نبيه ومن لم يكن موجوداً آمن ببعض وكفر ببعض قال وكان أخذ العهد على الموجودات حال كونها مسجدة روحانية ولولا الروحانية ما حصل لها النطق والإجابة ببلى فما أجاب منها حقيقة إلا الأرواح لا الأجسام لأن الموجودات في الأولية عبارة عن أشباح تتعلق بها أرواح ولكن الروح ظاهر على الشبح لا ظهور للشبح معه .

وسمعه ﷺ يقول: ما ثم في الفرق الإسلامية أسوا حالا من المتكلمين في الذات بعقلهم لقاصر فإن الله عز وجل قد تنزه في حمى عزته عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه عقلا كان أو علما روحا كان أو سراً وذلك لأن الله تعالى ما جعل الحواس الظاهرة والباطنة طريقاً إلا إلى معرفة المحسوسات لا غير ولعقل بلا شك منها فلا يدرك الحق تعالى به لأن الحق ليس بمحسوس ولا معنوم معقول.

وكان ﷺ يقول: الأفلاك تدور بدوران القلوب والقلوب تدور بالأرواح والأرواح بالأشباح والأشباح بالأعمال والأعمال بالقلوب فرجع الآخر للأول.

وكان ﷺ يقول: ياكم والوفوع في المعاصي ثم تقولون هذا من إبليس فإن إبليس يتبرا منكم في مكان صدق فيه الكذب وذلك حين يخطب في النار ويقول: في خطبته ﴿ فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾^(١) يعني ما اغويتكم حتى ملتم بنفوسكم إلى الوفوع في المعاصي ما اقيمت عليهم الحجة فافهم .

وكان ﷺ يقول: العارفون يعرفون بالأبصار ما تعرفه الناس بالبصائر ويعرفون بالبصائر ما لا يدركه أحد غيرهم ومع ذلك فهم لا يأمنون على نفوسهم من نفوسهم.

وكان ﷺ يقول: ما في القلب يظهر على وجه وما في النفس يظهر على اللبوس وما في العقل يظهر في العين وما في السر يظهر في القول وما في الروح يظهر في الأدب وما في الصورة كلها يظهر في الحركة.

وكان ﷺ يقول: إذا لم تقدر على العدل بين النساء مع نقصهن فكيف تقدر على العدل بين الرجال مع كمالهم .

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٢ .

وكان ﷺ يقول: أرباب الأحوال يعرفون بصفرة الوجوه مع سواد البشرة وسعة العيون وخفض الصوت وقلة الفقه لما يقال لهم وسمعتة يقول: مرة أخرى أرباب الأحوال كالسفن مسرعين سائرين بالهواء إن سكن سكنوا وإن سار ساروا والعارفون كالجبال وسمعتة ﷺ يقول: ما دامت العلوم في معارفها فهي واسعة مطلقة لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً فإذا ظهرت مقيدة بالحروف دخلها ما يدخل الكون من التغير والتبديل واختلاف العبارات.

وكان يقول: شهود الكثرة في الوجود تزيد الجاهل جهلاً ولعالم علماً.

وكان ﷺ يقول: لا تنازع أحداً في طبعه فإنه مملوك لنفسه أو للكون وإن كان ولا بد فاعرف مالكه ثم نازعه.

وكان ﷺ يقول: العلم والعرفة والإدراك والفهم والتمييز من أوصاف العقل والسمع والبصر والحاسة والذوق والشم والشهوة والغضب من أوصاف النفس والتذكر والمحبة والتسليم والانقياد والصبر من أوصاف الروح والفطرة والإيمان والسعادة والنور والهدى واليقين من أوصاف السر والعقل والنفس والروح والسر المجموع أوصاف للمعنى المسمى بالإنسان وهي حقيقة واحدة غير متميزة وهذه الحقيقة وأوصافها روح هذا القلب لتحرك التميز والجميع روح صورة هذا القلب والمجموع من الجميع روح الجميع العالم، قلت: وهذا كلام ما سمعته قط من عارف ولا رأيته مسطوراً في كتاب وهو دليل على علو مقام شيخنا ﷺ في العرفة.

وكان ﷺ يقول: العبادات كالحلواء للعجونة بالسم فكما لا ترضى النفس منها بالقليل فتسلم كذلك لا تصبر على فعل الكثير منها فتغنم.

وكان ﷺ يقول: أشد العذاب سلب الروح وأكمل النعيم سلب النفس والذ العلوم معرفة الحق وأفضل الأعمال الأدب وبداية الإسلام وبداية الإيمان الرضا.

وكان يقول: الإيمان يتلون بحسب الجسد والجسد بحسب المضغة والمضغة بحسب إصلاح الطعمة ومن قال بخلاف ذلك فليس عنده تحقيق.

وكان ﷺ يقول: علامة الراسخ في العلم أن يزداد تمكيناً عند السلب لأنه مع الحق بما أحب لا مع نفسه بما تحب فمن وجد اللذة في حال علمه وفقدتها عند سلبه فهو مع نفسه غيبة وحضوراً.

وكان ﷺ يقول: من شرط المتواضع أن يغيب عند شهود التواضع.

وكان يقول: الطعمة تؤثر في القلب أكثر مما يؤثره السلب ولكن إذا استمر توجه القلب إلى الحق في كل حركة وسكون من غير علة فباب الفتح موجود ولا بد ما دام العبد متوجها فاللد فياض ويوشك أن يوصل صاحبه لمراتب الكمال .

وكان ﷺ يقول: يقبح على العبد أن يميل بنفسه إلى خرق العوائد ويألف النعمة دون المنعم فإن الله تعالى ما أعطى عبده النعم إلا ليرجع إليه بها عبدا ذليلا ليكون له ربا كفيلا فانظر بأي شيء استبدلت ربك ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾^(١) ثم قال: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾^(٢) أي لأجل اختيارهم مع الله تعالى.

ثم قال ﷺ الميل إلى كل شيء دون الله تعالى مذموم إلا في حقوق الله تعالى ومأمورا به فقال له الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يا سيدي إن كل شيء غير الحق مجهول معدوم إلا الحق فإنه معروف موجود فمن أين جاء للعبد أنه يألف أو يركن إلى الجهل والعدم دون المعرفة والوجود فقال ﷺ والعدم أصل لظهورنا والمعرفة والوجود أصل لظهور الحق وما حصل بأيدي عباده من المعرفة والوجود ففضل منه ورحمة وما حصل بأيديهم من الجهل والعدم فعذل منه ونعمة ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾^(٣)، ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾^(٤) وسئل ﷺ عن الأكل من الأطعمة للرسلة من بيوت الأصحاب الذين لا يتورعون فقل ﷺ العبد لا ينبغي أن يكون له اختيار مع عدم للخيار فكيف يكون له اختيار مع وجود المختار ولكن إن كنت جائعا صادقا فكل بقدر حاجتك وادفع ما بقى بعد ذلك لمن شاء الله تعالى ولا تدبر لنفسك حالا محمودا تخرج عن رتبة التحقيق واسأله أن يسترك في الدنيا وفي الآخرة، بالجود والكرم وقال له بعض الإخوان دستور يا سيدي إذا مت أدفنك في المقام الفلاني وجعل لك تابوتا وسترا فقال ﷺ نحن لا اختيار لنا مع الله في حال الحياة فكيف يكون لنا اختيار بعد الموت.

وكان ﷺ يقول: إياكم والجزع في مواطن الامتحان يمتحنكم أحق تعالى بأشد

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

من ذلك فقال له الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى الصبر لا يصح إلا عند حصول الاستعداد ومن لا استعداد له فكيف يصبر فقال ﷺ لا تقيد على الحق فإن الطرق إليه أوسع من مظاهره وشنونه واسمائه وصفاته والاستعداد طريق واحد.

وكان ﷺ يقول: لا يكمل الفقير حتى يحمل كله عن شيخه فإن من رمى انقاله على شيخه فهو شيء الأدب إذا تعود ذلك ألفت نفسه ذلك فينقض استعداده فإذا جاءت صدمة هدت جداره وشيخه ليس بمقيم له.

وكان ﷺ يقول: إذا لازمت الأحوال صاحبها حتى غاب معها عن حسه فهو نقص وكلما خف الحال وأبطأ وجوده كان في حق صاحبه خيراً كثيراً وابن الحاضر من الغائب وابن الموجود من المعدم، وقد حكى أن الشلبي ﷺ قال والحلاج مصلوب سكرت أنا والحلاج من إناء واحد فبلغ ذلك الحلاج فقال لو شرب كما شربت لسكر كما سكرت فقدم الأشياخ كلام الشلبي لصحوه على كلام الحلاج وكان ﷺ يقول: الميزان التي يوزن بها الرجال واحدة كميزان الحق تعالى وإنما جمعت لتفاوت اللوزونات

وكان ﷺ يقول: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾^(١) المراد بالذين قالوا ربنا الله كمل الأنبياء والمراد بقوله ثم استقاموا محمد ﷺ والمراد بمن تنزل عليهم الملائكة عامه النبيين وبالذين لا يخافون كمل الأولياء وبالذين لا يحزنون عامة الأولياء وبالذين يقال لهم: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢) المؤمنون الذين عبدوا الله تعالى طلباً لنوابه وسئل ﷺ عن القطب الغوث هل هو دائماً مقيم بمكة كما قيل فقال ﷺ قلب القطب دائماً طواف بالحق الذي وسعه كما يطوف الناس بالبيت فهو ﷺ يرى وجه الحق تعالى في كل وجهة كما يستقبل الناس البيت ويرونه من كل وجهة إذ مرتبته ﷺ التلقي عن الحق تعالى جميع ما يفيضه على الخلق وهو بجسده حيث شاء الله من الأرض، ثم قال ﷺ، وأعلم أن أكمل البلاد البلد الحرام وأكمل البيوت البيت الحرام تعالى: ﴿يُجَبِّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) وأكمل الخلق في كل عصر القطب، فالبلد نظير جسده والبيت نظير قلبه .

وسئل ﷺ عن نزول الناس من الدنيا إلى البرزخ الفاصل بين عالمي الحس والبرزخ

(١) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٧.

المطلق في حال اتصال الشاهد بهما فقال ﷺ: ﴿وَأَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾^(١) كالتفاف لا ثم قال إيضاحه خذ من سعة إلى ضيق ثم خط في الأرض بمسلة كان يخييط بها القفاف صورة (لا) في الأرض وقال انظروا إلى هذا الحرف فإنه دال بالتفافه على نفسه صورة ومعنى كدلالة الخلق على الحق وعكسه فافهم وسأله أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾^(٢) فقال ﷺ: كمون وستر والحس اصدق شاهد فقال سيدي أفضل الدين رحمه الله تم الجواب .

وكان ﷺ يقول: ليس للمجاذيب في جنة الأعمال قدم ولا مكان مخصوص يرجعون إليه ولا قدم في مآكل ولا ملبس ولا نكاح ولا غير ذلك ما عدا للشاهدة فقط للحق فإنهم يشتركون مع أهل الجنة فيها على خصوص وصف في المشاهدة ثم قال ﷺ: إن السوق وأهل الصنائع أعظم درجة عند الله وانفع من المجاذيب لقيامهم في الأسباب وكثرة خوفهم من الله تعالى وأكل الفقراء والظلمة من أموالهم مع احتقارهم نفوسهم، ولهم في كل جنة نعيم من الجنان الأربع التي هي جنة الفردوس وجنة المأوى وجنة النعيم وجنة عدن وهي المخصوصة بالمشاهدة والزيادة .

وكان ﷺ يقول: المجاذيب والأطفال في الحالة سواء إلا أن الأطفال يتميزون عن المجاذيب بسرّياتهم في الجنة كما ورد أنهم دعا ميص الجنة أي غواصون فيها .

وكان ﷺ يقول: نشأة أهل الجنة مخالفة لنشأة الدنيا التي نحن عليها الآن صورة ومعنى كما أشار إليه حديث "إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" وإيضاح ذلك أن حجاب البشرية ما دام موجودا في الشخص فلا يعلم أحوال الجنة نشأة شهود وإطلاق لا حجاب وتقييد ولذلك كان علم أحوال الجنة خاصا بالعارفين ثم قال ﷺ: واعلم يا أخى أن الحق تعالى جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة في النكاح والإدراك حقائق متغايرة حكما ومحلا مع اتحادها في الباطن لأن الإدراك ليس إلا للنفس وهي حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة وإنما تنوعت الآثار في هذه الحقائق بتنوع محالها فإذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الصفات المتغايرة هنا حكما ومحلا يقع الاتحاد بينها في الآخرة وحكما ومحلا فيسمع بما به

(١) سورة القيامة: الآية ٢٩ .

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢ .

يصبر بما به يتكلم بما به يذوق بما به يشم وكذلك الحكم في الضد من غير تضاد
فيبصر بسائر جسده ويسمع كذلك وياكل كذلك وينكح كذلك ويشم كذلك
ويدرك كذلك .

ثم قال ﷺ وهذا القدر النزر من احوال اهل الجنة لا يصح وجوده في العقل لأنه
محال في عقل من يسمع ذلك فكيف بغير النزر مما هو اعظم من ذلك قال ولم ار احداً
تكلم على ما ذكرته غير سيدي عمر بن الفارض ﷺ في تائيبته فراجعها .

وكان ﷺ يقول: في معنى حديث " إن الجنة تشتاق إلى أربع عمار وعلي وسلمان
وبلال " إنما خص رسول الله ﷺ هؤلاء الأربع لأنهم ارواح الجنان واسماؤهم اشد مناسبة
للجنة لأن عمارا ﷺ من العمارة وعلياً ﷺ من العلو وسلمن من السلامة وبلالا من البلل
الذي هو الرحمة قال هؤلاء الأربعة هم للوكلون بالأنهار الأربعة المذكورة في القرآن
فيخرفون منها بحسب حصة كل أحد ومشربه من التوحيد واستعداده .

وكان ﷺ يقول: كان الشجرة التي اكل منها آدم عليه السلام علة مظهر
الأفعال المقابلة لما عليه كمل الأنبياء الذين هم فوقه في الدرجة، وسئل ﷺ عن طائفة
المسكين كسيدي احمد الزاهد وسيدي مدين وأضرابهما رضي الله تعالى عنهم هل
كانوا أقطاباً فقال ﷺ لا وإنما هم كالحجاب على الملك فلا يدخل عليه أحد من
الناس إلا بإذنهم وعلمهم فهم يعلمون الناس الآداب الشرعية والحقيقية وما يظهر
عليهم من الكرامات والاحوال إنما هو لصفاء نفوسهم وإخلاصهم وكثرة مراقبتهم
ومجاهداتهم وما القطابة فجّل أن يلج مقامها الأحوط غير من اتصف بها قال وقد بينها
الشيخ عبد القادر ﷺ وقال إن لها ستة عشر عالماً الدنيا والآخرة عالم واحد من هذه
العوالم فقيل له فالتصريف الذي يظهر على أيدي هؤلاء للمسكين هل هو لهم أصالة
كالقطب أم لا فقال ﷺ ليس هو لهم أصالة وإنما هو بحكم والإفاضة عليهم من
الدوائر التي هي فوقهم إلى القطب وإيضاح ذلك أن الله تعالى إذا أراد إنزال بلاء شديد
مثلاً فاول ما يتلقى ذلك القطب فيتلقيه بالقبول والخوف ثم ينتظر ما يظهره الله
تعالى في لوح المحو والإثبات الخصيصين بالإطلاق والسراح فإن ظهر له المحو والتبديل
نفذه وأمضاه في العالم بواسطة اهل التسليك الذين هم سدنة ذلك فينفذون ذلك وهم
لا يعلمون أن الأمر مفاض عليهم وإن ظهر له الثبوت دفعه إلى أقرب عدد ونسبه منه
وهما الإمامان فيتحملان به ثم يدفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما كذلك

حتى يتنازل إلى اصحاب دائرته جميعاً فإن لم يرتفع تفرقته الأفراد وغيرهم من العارفين إلى عموم المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل بتحملهم ولو لم يحمل هؤلاء ذلك من العالم لتلاشي في طرفة عين .

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^(٢) إشارة إلى القطب الذي هو العمود للعنوي المسك للسموات ففيه إشارة إلى خفائه في العالم وسئل رحمه الله عن كلام بعض العارفين وهو أنه ذكر في كتاب له أنه شهد جميع النبيين والمرسلين مجتمعين في محل واحد وأنه لم يكلمه منهم إلا هود عليه السلام فإنه رحب به وفرح به ما الحكمة في خصوصية كلام هود له دون غيره وفرحه بهذا العارف فقال رحمه الله أما خصوصية الكلام فلا يمكنني ذكرها وأما فرحه فلأن البرزخ قيد للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالنسبة إلى إطلاق الآخرة وما فيها من النعيم فهم وإن شهدوا ذلك في البرزخ لا يشهدونه إلا من خلف حجاب بغير واسطة جسمهم فإن اجسامهم مقيدة تحت الأرض وكمال النعيم إنما هو بواسطة اجتماع الجسم والروح مع فكان فرحه عليه السلام بهذا العارف الذي هو من هذه الأمة الحمديّة لاستشارته بانقضاء مدة الختمين اللذين يختم الله تعالى بأحدهما ولاية الخصوص وبالأخر ولاية العموم وفرح هود عليه السلام بهذا العارف مما يؤدي ختميته فإنه لما رأى أحد الختمتين علم قرب انشقاق الفجر الأخرى وخلاصة من قيد البرزخ إلى إطلاق الآخرة .

قلت : وهذا الذي أشار إليه السائل ببعض العارفين هو سيدي محيي الدين بن العربي رحمه الله . وسئل عن الأحدية وسريانها مع شدة ظهورها فقال الهاكم التكاثر فافهم وسأله أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى فقال هل اكتب ما أجد في نفسي من العلوم فقال إن صحبتك ذلك عند انفصام تنزله فاكتب وإن عجزت عن التعبير عنه فلا تتكلف له عبارة.

وكان رحمه الله يقول: لا يحتاج السالك إلى الواسطة إلا وهو في الترقى فإذا وصل إلى معرفة الله عز وجل فلا يحتاج إلى واسطة، ثم قال رحمه الله وإيضاح ذلك أن الداعي إلى الله

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٠.

عز وجل من نبي أو ولي واسطة بين العبد وبين الله تعالى في الدعوى من عبادة ارتفعت واسطة الرسول والولي عن القلب حينئذ وصار الحق حينئذ أقرب إلى الدعو من نفسه ومن رسوله وما بقى للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع ثم قال وانظر إلى غيرة الحق تعالى على عباده بقوله لسيدنا محمد ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١) فأضاف عباده إليه واخبر أنه أقرب إلينا من انفسنا ومن رسولنا الذي جعله واسطة بيننا وبينه مع أنه مدحه حتى كاد أن يلحقه به لما هو عليه من الكمالات، فأخرجه من الخلق ونفاه منهم واثبته معهم فافهم .

وسئل ﷺ هل يصح تعلق الذات بصفاتهما فقال لا فإن الصفات معدومة الظهور عندها لعدم من يتعلق بها من الخلق، كان اله ولا شيء معه، فما ظهرت الصفات إلا بوجود الخلق فقليل له فهل يصح تعلق الذات بالعلم فقال ﷺ العلم من لازمهم وهو لا يحيط إلا بالصفات إذ هو من جملتها.

وكان ﷺ يقول: إذا بلغ العارف مقام الكمال فليس له الاستناد لغير ما يظهره الله فيه من العلوم فإن روحك أقرب إليك مما تنقل عنه وهذا امر لا يعرف إلا بالذوق.

وكان ﷺ يقول: من علامة المتسلق على مقام العارفين أن يحصل له الخشوع والشهود في حال ذكره ثم إذا فرغ يذهب ذلك مع الذكر وحكم ذلك كالرطب المعمول يتغير بسرعة .

وسأله سيدي أفضل الدين رحمة الله تعالى عن القساوه التي يجدها في قلبه ﷺ اشكر الله تعالى حيث ستر عنك حالك لتكون عبدا له صرفا لا عبد خشوعك حضورك فقال وأنا إن شاء الله تعالى عبد له صرفا مع ذلك ومع غيره فقال صحيح لكن الامتحان آفاته كثيرة والمحبوب عند الله من ادخر له ما وعده به على أعماله إلى الدار الآخرة وخرج من الدنيا برأس ماله كاملا من غير خسارة .

ثم قال ﷺ إياك وكل شيء ألفته نفسك فإن السم فيه ولا بد لتفوذ السم من معين وله إلا النفس وانظر إلى قوله تعالى لآدم وحواء: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(٢) مع

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٢.

عمله بها حال علمه بالأسماء فلما أراد الله تعالى نفوذ قدرته ألف بينه وبين من كان سببا في أكله وليست إلا نفسه التي حواء مظهرها فما نزل به البلاء إلا منه وبه .

وكان ﷺ يقول: إذا نظرت الوجود فرد شيء فلا تعبر عن شيء لأن لتعبير يفصل وشكا إليه أخي افضل الدين رحمه الله تعالى مرة ما يقع له من كثرة النوم فقال ﷺ لا تلتفت إلى شيء دون الله تعالى فإن من وقف مع الأسباب اشرك مع الحق وفي لحة تقع الصلحة فقال له ايضا يقع لي كثرة السهر والقلق في بعض الأوقات فقال له إن كان في فكر في المصالح فمدد وخير كبير وإن كان السهر مع الغفلة فبلاء نزل يوزعه الله على المؤمنين حتى يرتفع .

وكان ﷺ يقول: القمر آية شهود لدالاته على ظهور الأحذية وسريانها والشمس آية علم لدالاته على ظهور الوحداية وإحاطتها بتكررها .

وكان ﷺ يقول: إياكم والطواف بالليل فقال أخي افضل الدين رحمه الله تعالى كان كثيرا من الناس يطوفون ليلا فقال هم معذورون ولكن ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) فقال لا .

وكان ﷺ يقول: إذا كنت مؤمنا وسمعت انه تعالى يمدح المؤمنين فلا تبادر إلى كونك مؤمنا وتامل قبل ذلك هل انت على ما وصف الله فهل تموت على ذلك أم لا فإن علمت أنك تموت على ذلك فقد امننت مكر الله ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(٢) وإن علمت أنك تموت على غير ذلك فقد ابست من رحمة الله و ﴿ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) فكن بين الخوف والرجاء فإنه الصراط المستقيم وسمعتة مرة بيقول: كل وصف ونعت محفود فباطنه ذم وتخويف وكل وصف ونعت مذموم فباطنه مدح ورجاء لمن استبصر هكذا حكمه الله في كلامه فافهم .

وكان ﷺ يقول: في قوله ﷺ " يحشر المرء على دين خليله " النفس اقرب خليل إليك فانظر كيف تكون فإن من هنا جاء البلاء والخوف فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) سورة الزمر: الآية ٩ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ٧ .

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٧ .

وكان رضي الله عنه يقول: لا تأكل قط طعام أحد إلا أن كنت وليه في التربية أو من اهل آية ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾^(١) فإن كل لقمة نزلت في جوفك نقصت من عبوديتك بقدرها واسترقتك لصاحب تلك اللقمة .

وكان ﷺ يقول: الأفعال المحمودة إذا رجع نفعها إلى صاحبها فاض منه على الكون لكن أكثر النفع نفع للعامل والأفعال للذمومة إذا وقعت رجع جزاؤها عاما ولو أنه رجع خاصا لأهلك العاصي لوقته وساعته فلذلك وزعه الله تعالى على المؤمنين وفتح للعاصي باب التوبة ببقاء روحه ثم قال وقد يثقل الله تعالى البلاء على العاصي حتى يرجع عما هو عليه أو لتذهب به يد الشقاء حيث أراد الله عز وجل .

وسأله أخى افضل الدين رحمه الله تعالى عن نور البرزخ لم كان كثيفاً ولم يكن شفافاً كهذه الأنوار فقال إنما كان كثيفاً لأنه نور أعمال الجوارح في الدنيا والجوارح والدنيا كثيفان وايضاً فإن الأنوار تصير في محل الظلمة كثيفة لأن البرزخ واحد بسيط وليس فيه كثرة مباينه ليطمئذ بالنور الشفاف .

وكان ﷺ يقول: من قرب من أخلاق رسوله كان له الإطلاق والسراح في البرزخ تبعاً لرسول ﷺ فيجتمع كلما شاء بمن شاء من أصدقائه وغيرهم وأما من بعد من أخلاق رسوله ﷺ بالأفعال الرديئة فإن شاء الله تعالى أطلقه وإن شاء قيده فلا يصح له الاجتماع بمن يري .

وكان ﷺ يقول: الأفعال والأحوال المحمودة هي المدبرة للفلك ثم إن الإمداد تنزل على الخلق بحسب رتبتهم وكثرة نصحتهم فمن كنت أعماله متقنه كاملة كان دوران الفلك في حقه أسرع ثم تضاعف له الحسنات بحسب كثرة النفع ومن كان تاركاً للأسباب دار الفلك بنصيب غيره ولم يحصل له شيء من الإمداد لأنه لم يعمل ومن لا عمل له لا أجر له ثم قال ﷺ لكن لا يخفى أن الحق تعالى لا نسبة بيننا وبينه في العطاء عنده لبراءته عن أن ينفصل عنه شيء لنا أو يتصل به شيء منا وإنما الأمر راجع منا لنا بحسب أعمالنا وهو الغني الحميد ومن هنا كان عتب الخضر على موسى حين أقام الجدار من غير أجر لعلمه بهذا الأمر فأراد الخضر عليه السلام أن يفتح

(١) سورة النور : الآية ٦١ .

لموسى يا ابا لاكتساب ليجمع له بين مرتبتي الكسب والوهب فلهذا قال تعالى " بلى عبدنا خضر اعلم منك " وسمعه ﷺ يقول: الفائدة في مصاحبة الكمل كجهولة لأن رتبة الكامل التي إقامة الحق فيها هي للحق لا للعبد والعبد لا تعرض عنده على سيده في شيء فهو لا يشفع ولا يدفع ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا بإذن الله تعالى مخصوص وإنى له بذلك والرسالة قد انقطعت فإن أمر الكامل بالتنزل للتلامذة نفع وشفع واعطى ومنع وإلا فهو مع الله تعالى دائما على قدم الخوف لنظره إلى عالمي المحو والإثبات وخاتمة العبد المدعو مجهولة على العارف، وإيضاح ما ذكرناه أن المصاحبة تقتضي الميل إلى الصاحب والميل إما لإثبات أو نفي وكلاهما ممتنع في حق العارف الكامل .

وكان ﷺ يقول: لا يلزم من تربية العارف لتلميذه أن يرثه ذلك التلميذ لأن التربية حقيقة لله يورثها من يشاء من عباده.

وكان يقول: الألوهية مطلقة قابلة للجمع بين الضدين من غير ضد فإنها قبلت التسمى بالرحمن كما قبلت التسمى بالمنتقم وليست الألوهية أولى باسم المنتقم مثلا من غيره كما أن أمره تعالى ليس أولى من نهيه في النفوذ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١) وكذلك حكم العكس فهو يقول: يا عبدي افعل فإنك عبد مأمور ماحور ولا تشهد الفعل لك فإن الفعل لي وأنت محدث متردد بين العدم والوجود وأنا الفاعل لما أريد بفعلك لي وفعلك لك لأنني غني عنك وعن فعلي فيك ولك وبك فإن شهدت الفعل لك فأنت مشرك وإن لم تفعل فأنت كافر فاحذرني وافعل كل ما أمرتك به ولا تنسب لنفسك قولا ولا فعلا وأنا الخلاق العليم .

وسئل ﷺ عن الصلاة على النبي ﷺ بالألفاظ المطلقة والألفاظ المقيدة أيهما أولى في حقه ﷺ وهل الإطلاق الذي يعتمد على الصلوات على النبي ﷺ مطلق عند الله أم لا وهل التقييد الذي يتبرأ منه المصلي هو مقيد عند الله أم مطلق فقال ﷺ للسائل لا تستعمل نفسك في شيء من حيث نظرت في إطلاقه أو تقييده فإن الإطلاق غاية التقييد كما أن التقييد غاية الإطلاق مع علمنا بأن الأحوال الموصوفة بالإطلاق أو

(١) سورة يس : الآية ٨٢.

التقييد غير مفتقرة إلى وصفنا لها مطلقا لاستغنائها بصفاتنا الذاتية التي جعلها الحق حداً لها تتميز به عن غيرها -

من الصفات المقتضية لذلك أو لغيره وكيف يمكن لأحد إيجاد العدم وقيامه بالوجود وذلك خصيص بالحناب الإلهي أم كيف يحكم على الصفات التي هي اعراض ببقائها زمانين في عرض آخر فكيف بقيامها في جوهر واحد فإذا قال للصلى على النبي ﷺ اللهم صل على سيدنا محمد عدد م كان وعدد ما يكون وعدد ما هو كائن في علم الله فقد استغرق هذا اللفظ العدد والعدود حسا ومعنى واستغرق أيضاً الزمن المطلق بأقسامه واستغرق جميع التخيلات المضافات إلى القدرة والعلم وإذا كان للصلى لا يساوي رتبة هذا العموم والشمول لضيقه وحصره وتقييده فكيف يظهر عنه إطلاق والإعمال كلها لا تكون إلا على صورة عاملها كما أشار إليه حديث "الولد سر أبيه" فمن علم ما ذكرناه وتحققه على أنه لا يظهر له عمل ولا صدقة ولا صلاة ولا قراءة ولا وصف من الأوصاف إلا بحسب استعداده في ذلك الوقت وبحسب رتبته في التوحيد إطلاقاً وتقييداً سواء كان ذلك اللفظ مطلقاً أو مقيداً فلا تتعب نفسك يا أخي في شيء وصل عليه كما أمرك الله تعالى أن تصلي عليه لتكون عبداً محضاً أمرك ربك بشيء امتثلت أمره وليكن هذا شأنك في جميع عبادتك البدنية والقلبية .

وكان ﷺ يقول: التفكر والتدبر من صفات العقل الذي جعله الله تعالى آلة يقطع الإنسان بحدها كل شيء والقلب وعاء وإصلاح الأطعمة أصل ذلك وغيره فإن الإناء إذا كان شفافاً كزجاج وبلور وياقوت ظهر ما فيه على صورة الإناء ولونه من استدارة وتربيع وغير ذلك وإذا كان الإناء غير شفاف كالخشب والحديد والفخار وغيرها لم يظهر لما فيه صورة ولا لون ولا يعرف له حقيقة ثم إن هذه الآلة إذا طبع فيها الخير أو الشر مكث ودام ما لم تتغير النشأة من أصلها وطبعها وهذا غير ممكن لأن الحقائق لا تبدل ولأن القدرة إنما تتعلق بتغير الصور قبل كمال تكوينها .

قال وهذا سر من لم يعرفه فعلم أن القلب إذا كان متحققاً بصفة ما فما فيه كذلك لأن القلب دائماً له الحكم على الجسد والروح وصفاتهما كما أنه كذلك محكوم عليه بإصلاح الأطعمة ومن هنا قال ﷺ "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت الجسد كله ألا وهي القلب" فتأمل كيف أتى بلفظ كل التي تقتضي العموم والشمول تعرف ما ذكرناه، ومن كلام سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله

إذا دلت على القلب كان بيت الله ومهيبط الوحي والأنوار وإذا فسد كان بيت الشيطان والهوى والظلمة انتهى.

فكذلك القلب وعاء للحق والشرع والنور كما أن الحرف إذا تغير بعض صورته أو نقطه فسد المعنى كذلك القلب إذا تغير بعض صورته وصفته فسد ما فيه .

وسأله أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى وأنا حاضر عن لذة العلوم عند إيجادها في القلب قبل أن توجد في النفس هل هي مغيبة للإنسان عن حسه كما هو الأمر في النفس فقال رحمه الله إذا كان القلب يسع علم الحق كما ورد فكيف لا يسع علم غيره فقال له أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى عالم الغيب أوسع من عالم الشهادة فقال هو أوسع عينا وأما لشهادة فهي أوسع حكما والحكم لا يفرق عن العين كما لا يفرق لا إله إلا الله من محمد رسول الله ﷺ فقال له أخى المذكور فما الحكم في الإفاضة على النفس قال الشيخ رحمه الله هو بحكم استعدادها وقربها من عالمها الأول أو بحكم تقييدها وعدم استعدادها وبعدها عن عالمها فقال له أخى المذكور لابد من الفرق فقال الشيخ رحمه الله فرق بلا فرق كخطاب قلبك لنفسك وانت أنت وهما عين أينيتك فافهم .

وسئل رحمه الله عن العلوم المتولدة عن الفكر هل هي مستقيمة في نفسها أم لا ؟ فقال رحمه الله الحكم في ذلك الوقت فهو علم الوقت يذهب بنهايه والذهاب عدم والعدم لا حكم له ولا عليه فقال له أخى أفضل الدين رحمه الله وكان حاضرا هذا إذا كان الفكر وبتفكره هو أما إذا كان الفكر عن وقع القلب في الوقت فذلك إلهام فعال بشرطه انتهى ومعنى قوله بشرطه أن يخرج صاحب الإلهام عن مواطن التلبيس والله أعلم .

وسئل رحمه الله عن بقاء العلوم في لوح النفس وعن إدراكهما مع كثرة واردات العلوم الفياضة على القلب فقال رحمه الله بقاء العلوم محفوظ في الصورة التي ظهرت عنها أعمالا كانت أو أقوالا أو أنفاسا والإدراك لها يكون بالصفاء الذي هو نور القلب للطلق وسأله أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى وأنا حاضر عن قولهم العلم قد يكون حجابا والجهل قد يكون علما فقال رحمه الله أما كون العلم حجابا فلأن العلم صفة وركونك إليه صفة والصفة مع اختها لا توجد نتيجة كحكم الأنثى إذا اجتمعت مع الأنثى وأما كون الجهل علما فهو كونك جاهلا بحقيقة نفسك متحيرا في حقيقتها فسمى جهلك بذلك علما ومن هنا قال الأشياخ سبحانه من جعل عين للعرفة به عين الجهل به وذلك لعدم الإحاط ولا يخرج العبد عن الجهل بالله إلا إن أحاط به .

وسئل وأنا حاضر عن التفكير في القرآن هل هو كالتفكير في غيره فقال ﷺ الأمر راجع إلى قوة الآلة في القطع وصلابة المقطوع ولينه وسئل ﷺ عن قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ ^(١) هل هذا الرزق لكل من دخل مكة أو هو خاص بقوم دون آخرين فقال ﷺ الرزق عام لكل من دخل مكة من المسلمين بحسب استعداده لكن لا يصح تنزل هذا الإمداد على قلب إلا بعد تجرده عن صفاته وسيناته كما أشار إليه خبر " من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " فيولد الداخل هناك ولادة ثانية ومن تأمل بعين البصيرة هناك وجد حسناته ذنوبا بالنسبة لذلك المحل الأكمل فقال له أخي أفضل الدين ﷺ وكان حاضرا التجرد عن السيئات قد عرفنا أن محله جبل عرفة فإين يكون التجرد عن الحسنات فقال ﷺ هو بحسب المراتب ولا أضنه إلا في باب للعلاة فقال له أخي أفضل الدين للذكور رحمه الله إن غالب الحجاج لا يتجربون مما ذكر فقال ﷺ يتجربون ولكن لا يشعرون كما يشعر به العارفون فقال له أخي للذكور فمتى يكون اللباس فقال ﷺ عند زيارة قبره ﷺ وذلك ليظهر الحق تعالى كرمه وآثار نعمته على أمته بحضرته حتى تقر بذلك عينه ﷺ فقال له أخي للذكور كثيرا ما يرجع بعض الحجاج عريانا بلا كسوة فقال ﷺ هذا لا يقع إلا لأصحاب الدعاوى الذين يظنون بأنفسهم الكمال وانهم اتوا بالناسك على وجه الكمال دون غيرهم فنسال الله العافية ومثل هذا هو المراد بقولهم إذا حج جارك حول باب دارك للمقت الذي حصل له هناك ثم قد يتفضل الحق تعالى عليه ويرسل له الخلعة إلى بلاده بواسطة انكسار قلبه أو بواسطة دعاء والديه وأخواته ونحو ذلك .

وسئل ﷺ عن قطب الغوث هل له فعل خرق العوائد من طي الأرض ونحوها فقال ﷺ قد تحكم عليه المرتبة بفعل ذلك وإذا حكمت المرتبة على كامل بشيء فلا تؤثر في كماله ﷺ سواء كان قطبا أو غيره .

وكان ﷺ يقول: المراقبة الصحيحة لله تعالى تنشأ من إصلاح الجسد بواسطة القلب وإصلاح القلب يكون بإصلاح الطعمة وإصلاح الطعمة بالكسب في الكون مع التوكل على الله عز وجل والتوكل حقيقة هو المراقبة وذلك يكون من الله تعالى

ابتداء: ومن العبد في النهاية اكتساباً فلذلك قال ﷺ " أفلا أكون عبداً شكوراً " ولم يقل شاكراً إذ هو بتحقيقه بالعلم يكون شاكراً ولا يكون شكوراً إلا بتحقيقه بالعمل وهرق كبير بينهما.

وكان ﷺ يقول: التجريد عن رؤية الأسباب خاص بعالم الخيال ولذلك كان العلم والتجريد عن الاكتساب خاصاً بعلم الشهادة لأنه أفاد العمل وحقيقة العمل ظهور صورة العلم لا غيره .

فقال له أخى أفضل الدين ﷺ فإذا كان الأمر كذلك فما الفرق بينهما قال تعلمه كما علمت بالله كل شيء وأنا وانت غير محتاجين إلى البيان والقلوب لا تمسك مثل ذلك لأنه غير مألوف في الحديث " إن من البيان لسحراً والله يحب من عباده الستيرين " فاحتفظ بحفظك الله وسمعته مرة يقول: كما حكمت الذات على نفسها بالوجود المطلق فيجب على غيرها أن يحكم على نفسه بالعدم المطلق قال ومن هنا تعلم الفرق بين الألوهية والربوبية وبين العبد وعجزه وبين الرب وقدرته وتعلم أيضاً الفرق بين الروح والجسد والفرق بين توحيد الأكابر من الرجال وتوحيد غيرهم وهو من أوضح الفروق واجلاها .

وسأله أخى أفضل الدين رحمه الله وأنا حاضر فقال رايت كاني ميت وأنا اغسل جسدي حتى فرغت ثم حملت نصفي الأسفل وانت يا سيدي حملت نصفي الأعلى ثم سألت نفسي عوضاً عن الملكين فقال الشيخ ﷺ انت مقصر لم لا تحمل نفسك كلها فتكون كاملاً تقاقل عن نفسك بالمدافعة وشيخك يساعدك إن شاء الله تعالى وتأمل في حديث " اعنى على نفسك بكثرة السجود " وأما سؤالك نفسك عوضاً على الملكين فهو صحيح فإن السؤال حقيقة إنما تمرته وفائدته للملكين لا لك لأنك لم تزد بسؤالهما علماً عما كنت عليه .

وكان ﷺ يقول: لا يخرج أحد من الدنيا حتى يكشف له عن حقيقة ما هو عليه ويتساوى مع أهل الكشف إنما هو تقديم وتأخير ثم قال ﷺ وأما نحن فلا كشف لنا محسوس ولا حس معقول ولا نقل ولا وصف إلا العقل لللازم لنا في رتبة الإيمان العري عن الدليل بالدلول وسأله أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى وأنا حاضر فقال له إذا كان العبد على يقين من الأمان من سوء الخاتمة هل عليه ضرر فقال ﷺ الخوف

من لازم كل مقرب لأن غاية يقينه لا يتعدى نفسه ولا يمكنه العلم بتعيين الحق تعالى فيما يحكم فيه فإذا ما علم إلا حال نفسه في ذلك الوقت فقط دون ما قبله وما بعده وعلم الوقت ضرورة يذهب بذهابه ولا تقييد على الحق تعالى فيما يفعل بل ولو كلمك تعالى واقسم بنفسه على ذاته أنك سعيد فلا تآمنه فإنه واسع عليم " كل يوم هو في شأن " ولولا الأدب لقلنا كل نفس له شيء ﴿إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ ^(١) وهو على كل شيء رقيب.

وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله مرة عن التوحيد فقال الشيخ رحمته هو عدم قال له أخي للذكور بل هو وجود فقال وجود فقال له فإذا العدم وجود والوجود عدم فقال رحمته نعم فقال له أخي للذكور فأنعدم العدم لأنه عدم والعدم لا كلام فيه ولم يبق إلا الوجود كما كان وهو الآن على ما عليه كان فقال رحمته نعم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ^(٢) فهو تعالى للوحد نفسه بنفسه حقيقة والخلق لهم الإيمان والتصديق لا غير .

وسأله أيضاً وأنا حاضر عن الاسم والرسم هل هما حرفان أو حرف ومعنى ؟ فقال رحمته للعنى لا يقوم إلا بالحرف والحرف قائم بنفسه فهو غني عن المعنى كما أشار إليه قوله تعالى ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ^(٣) فاسم الله الأول هو للعنى والاسم الثاني هو الحرف لأنه قال فيه ﴿هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ^(٤) ثم قال رحمته ولا أعلم الآن أحداً في صر يعلم هذا العلم غير قائله فالحمد لله على كل حال وسمعته رحمته يقول: إذا صادمكم أحد من أرباب الأحوال من أصحاب النوبة فلا تستعينوا عليه إلا بالله تعالى أو برسول الله ﷺ فإنهم يرجعون عنكم إجلالا لله تعالى ولرسوله ﷺ والزموا الأدب معهم ظاهراً وباطناً ولا تخرجوا قط من سور بلدكم إلى حاجة حتى تستأننهم بقلوبكم فإنهم يحبون من يرعي الأدب معهم وربما صدموا من خرج غافلاً عن مراعاتهم فيحصل له الخراب في باطنه حتى يكاد يهلك لا يهتدي أحد من الأطباء إلى دوائه كما جربنا ذلك.

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٦ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٢٨ .

(٤) سورة فاطر: الآية ١٥ .

وسمعتنه ﷺ يقول: لأخي افضل الدين رحمه الله تعالى إياك أن ترق لمن افقره الله تعالى من الدنيا بعد غناه فتعطيه أكثر من قوت يومه فإن اله تعالى ما افقره إلا الحكمة بالذمة وربما عاقبك الحق تعالى بنظير ذلك كما نقلت بنفسك ما أراد الله تعالى لذلك العبد فتقلق فإنه لا يثبت مع الحق إذا نقله مما يحبه ويرضاه إلا الكاملون المكملون ثم إنه تعالى إذا عفا عنك ولم يعاقبك بنظير ما فعل بذلك العبد فلا تعلم أنه استدراج أم لا فإن كان استدراجا هلكت مع الهالكين والغالب أنه استدراج لأنه تعالى حذرک من ذلك وما حذرک إلا من موجود تقع فيه ﴿ وَمَا يَعْزِلُهَا إِلَّا أَلْعَلُّمُونَ ﴾^(١) وسأله أخي افضل الدين رحمه الله تعالى مرة عن المسببات هل لها اسباب مخصوصة لا تقبل غيرها أم لا فقال له ما مذهبك انت فقال مذهبي أن الأسباب كالمراثي المجلوة القابلة لظهور الصور وللرآة الواحدة تعطي الصور حقها من الظهور وتقبل كل ما ظهر فيها من لطيف وكثيف والأعيان التي هي المسببات مرآة واحدة غير منقسمة ولا متناهية ولا متكررة في الحقيقة وإنما هي انطباع أسماء المتجلى فيها وصفاته فالتنوع من المتجلى لا من غيره قال تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿^(٢) فقال الشيخ ﷺ وهو مذهبي.

وسأله أخي افضل الدين رحمه الله تعالى يوما وأنا حاضر على باب حانوته عن تفسير ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾^(٣) فقال ﷺ اللسان في هذا الوقت عاجز عن البيان باللسان للالوف فقال له أخي للذكور قل ما تيسر فقال رحمه الله اكتب في ورقة ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾^(٤) بطننت وباسمه الباطن ظهرت ولم تظهر ولم تبطن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٥) وانقسمت بعد ما توحدت ثم تعددت وانعدمت بظهور العدود ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴾^(٦) ثم تنزلت بما عنه انفصلت لما به اتصلت واتحدت ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾^(٧) ثم تنوعت الأسماء ثم رجعت إلى نحو ما تنزلت

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٢.

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٣.

(٣) سورة التكويز : الآية ١.

(٤) سورة التكويز : الآية ١.

(٥) سورة القلم: الآية ٤.

(٦) سورة الشمس: الآية ٢.

(٧) سورة النجم : الآية ١.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(١) وبالجبال سكن ميدها وميدها هو فسادها ثم اتصفت وبعثت بما وصفت عما به اتصفت وما اتصفت إلا لما خلقت وانحرفت فحشرت وباعمالها انحشرت ولوحوشها اتحدت " كل ميسر لما خلق له " ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ^(٢) ثم انعدم التقيد بوجود الإطلاق وانحرف الحجاب وتعطلت الأسباب فطلبت القلوب ظهور المحبوب ليكون معها كما كان يوم ياتيهم الله في ظلل من ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ رُجِعَتْ ﴾ ^(٣) وبزوجها تعلقت ولحبها تشوقت وبحقيقتها اتصلت وبمظاهرها تعددت وبها تنعمت ﴿ وَالتَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ ^(٤) ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ﴾ ^(٥) والروح لم تقتل لأنها حية وإن قتلت وإن سنلت فقاتلتها هو محييتها بقاتلتها ومماتها والموت عدم العلم والعلم عند الله تعالى لأنه هو العالم بالقاتل وما يستحقه فجزاؤه عليه ورجوعه إليه ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٦) ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُثِرَتْ ﴾ ^(٧) الصحف هي الحاوية للأعمال والأعمال علوم القلب المفاضة على الجوارح فالعمل صورتها كما انه روحها ومن لا روح لصورته فلا نشر صفه ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٨) فرسوله يرى عملكم لأنه هو للعلم .

والله يرى عملكم لأنه العامل حقيقه وقد تنزه تعالى عن الرؤية بالابصار والقلوب للقيدة بغيره " يحشر للراء على دين خليله " ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ ^(٩) لا اطبق التعبير عن معناه ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾ ^(١٠) نار الخلاف اشتعلت والأعمال المظلمة عذبت ﴿ أَنَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّمَ بَعْضَ ذُنُوبِهِمْ ﴾ ^(١١) فما عذبهم إلا بهم وما رحمهم إلا به والواحد ليس من العدد لأن الواحد، موجود مستور والعدد معدوم مشهور ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ ^(١٢) الآيات لا استطيع النطق بمعناها ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ^(١٣) لأنه

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥١.

(٢) سورة الإسراء : الآية ٨٤.

(٣) سورة التكوير : الآية ٧.

(٤) سورة القيامة : الآية ٢٩.

(٥) سورة التكوير : الآية ٨.

(٦) سورة التوبة : الآية ١٤.

(٧) سورة التكوير : الآية ١٠.

(٨) سورة التوبة : الآية ٩٤.

(٩) سورة التكوير : الآية ١١.

(١٠) سورة التكوير : الآية ١٢.

(١١) سورة المائدة : الآية ٤٩.

(١٢) سورة التكوير : الآية ١٣.

مستو بنبوته على عرش ولايته وهم العيون الأربعة تسقى بماء واحد لأن الحكم في ذلك اليوم لله باسمه الرب لأن حكم الله يعم وحكم الرب يخص ولا وجود لصفة مع ذاتها ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾^(١) المراد به العرش المطلق لذلك اليوم المطلق، يتجلى للعبود المطلق على العابد المطلق الذي هو إطلاق المقيدات ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾^(٢) إلى آخر السورة صفات ونعوت وأسماء للموصوف للنعوت بالأسماء انتهى، قلت وهذا لسان لا اعرف له معنى على مراد قائله وإنما ذكرته تبركا والله اعلم .

وسمعه ﷺ يقول: الرجل كالشجرة وأصحابه كاعصابها ونسبة الغصن الذي لا يثمر إلى الشجرة كنسبة الغصن الذي يثمر على حد سواء في اتصاله بها لا تقدر الشجرة تنفيه عنها، وسمعه ﷺ يقول: الرجل ولو ارتفعت درجته في معرفة الطريق لا يقدر أن يجعل شجرة الشوك تفاحا أبدا ولو أخلى المريد مدى الدهر فإن الحقائق لا تتبدل . وسمعه مرة يقول: البرزخ كله عالم خيال لا حقيقة له ثابتة إذا لو كانت له حقيقة ثابتة ما صح لأهله الانتقال عنه إلى الدار الآخرة وهو محل تجلى الصفات لإلهية كما أن الجنة محل لتجلى الذات الغنية عن العالمين "إنكم سترون ربكم" الحديث، وسمعه ﷺ يقول: لأخي أفضل الدين رحمه الله مظاهر العوالم ثلاثة افراد آدم وعيسى ومحمد ﷺ فآدم عليه السلام خصيص بالذات فآدم عليه السلام فاتق لرتق المسميات والمقيدات بصورة الأسماء وعيسى عليه السلام فاتق لرتق الصفات البرزخيات بصورة الصفات ومحمد عليه الصلاة والسلام فاتق لرتق الذات وراتق لسر الأسماء والصفات إذ الخصيص بالمظهر الآدمي الآثار الكونية ولذلك ظهرت عجائبه وتنوعت حقائقه ورفائقه والخصيص بالمظهر العيسوي المعارف الإلهية والكشوفات البرزخية والتنوعات الملكية والنفثات الروحية والخصيص بالمظهر المحمدي سر الجمع والوجود والإطلاق في الصفات والحدود لعدم انحصاره بحقيقة أو تلبسه بقيد فإن سره جامع ومظهره لامع وقد ولج هؤلاء الأفراد الثلاثة كل واحد ف عالمه المختص به في هيكله الذي هو عليه الآن .

ولم يكن ذلك لغيرهم فإن آدم عليه السلام تحقق ببرزخيه أولا قبل نزوله إلى هذا العالم وعيسى كذلك وإلى الآن في المحل الذي ولجه آدم عليه السلام مع ما اختص

(١) سورة الحاقة: الآية ٤٠.

(٢) سورة التكوين: الآية ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

به من الصفات واحاطتها من عوالم الأسماء، ولذلك طال مكثه ضعفي ما مكثه آدم عليه السلام في جنته، وأما محمد عليه الصلاة والسلام فقد ولج العوالم الثلاثة إذ هو مظهر سر الجمع والوجود حيث أسرى به من عالم الأسماء الذي أوله مركز الأرض وآخره السماء الدنيا ثم ولج البرزخ باستفتاحه السماء الدنيا إلى انتهاء السابعة ثم ولج ما فوقها باستفتاحه عالم العرش إلى ما لا يمكن التعبير عن نهايته ولذلك ادخر ﷺ دعواته ومعجزاته الخصيصه به لذلك اليوم المطلق الذي لا يسعه غيره .

ثم اطال الكلام في ذلك بما لا تسعه العقول فتركته لدقته وغموضه وبنائه على الكشف الصحيح التام الخاص بالكمل وفي هذا القدر كفاية على التنبيه على علو شأنه ﷺ وجميع ما ذكرته عنه لا يوجد عند أحد من أصحابه غير أخي الكامل الراسخ الشيخ أفضل الدين ﷺ فإنه كان كاتم سره وهذا الأمر الذي ذكرته وقع لي مع عدة مشايخ، فبمجرد ما أصحابهم على وجه الاقتداء ومحو الرسوم يمنحوني أموراً وأسراراً لا توجد عند أحد من أصحابهم ولو طالمت مدة صحبتهم حتى إن بعضهم ينكرها ويقول: هذا شيء ما سمعناه من شيخنا قط وهو صحيح فإنه لم يطلعهم عليه، فالحمد لله رب العالمين .

٦٤ - ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي البحيري ﷺ :

أحد الأولياء المكملين، كان ﷺ على قدم السلف الصالح من الخوف والورع والتقوى وورثاة الثياب، وكان أحد من جمع بين الشريعة والحقيقة في عصره وكنت إذا رأيته تذكرت بأحواله أحوال سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدريني ﷺ المنقولة عنه وكان ﷺ مقيماً في قرى الريف يدرس للناس العلم ويفتيهم ويعلمهم الآداب والأخلاق وكنت إذا رأيته لا يهون عليك مفارقتة ولو طال الزمان لما هو عليه من حسن الأخلاق وهضم النفس وتذكر أحوال الآخرة حتى كأنها رأى عين، وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي شهاب الدين ابن الإقطيع البرلس ﷺ ثم بعده عن سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي النبتيتي الضرير وهو أكبر مشايخه تخلصاً وتحققاً ولم يفارق شيخه إلى أن مات .

وأخبرني بعض الفقراء الصادقين أنه سمع بعض الناس يقول: إن سيدي عليا البحيري ﷺ أحد الأربعين فأنكر ذلك فنام تحت دكة للونين بالجامع الأزهر فرأى في

منامه جماعة يقولون بل هو إمام الأربعين وكان ﷺ كثير البكاء فإذا عتبوه في ذلك يقول: وهل النار إلا لثلي وكانت فتاواه تأتي إلى مصر فيتعجب العلماء من حلاوة لفظها وكثرة م فيها من التخويف للخصم حتى يرجع إلى الحق .

وكان ﷺ يقول: قد عشنا إلى زمان الخلق فيه في غمرة ونسوا يوما تشيب فيه الأطفال وتسير فيه الجبال وكان ﷺ إذا مر على الأطفال يسلم عليهم ويسألهم الدعاء.

وكان ﷺ يقول: أدركنا جماعة يبكون طول ليلهم ويتضرعون في حق هذه الخليقة ويقولون كل شيء نزل بهذه البلاد التي حولنا فهو بسوء أفعالنا ولو خرجنا لخف عنهم البلاء ﷺ، مات ﷺ في شوال سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ودفن بنواحي سيدي محمد المنير رضي الله تعالى عنهما .

٦٥- ومنهم أخي العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أبو العباس الحريثي ﷺ :

صحبتة نحو ثلاثين سنة فما رأيته قط انتصر لنفسه ساعة ونشأ رحمه الله تعالى على العبادة والاشتغال وقراءة القرآن بالسبع ثم خدم الشيخ محمد بن عنان ﷺ وزوجه ابنته وقربه أشد من جميع أصحابه ثم أخذ بعض الطريق عن سيدي الشيخ علي المرصفي ﷺ وأذن له أن يتصدر بعده لطريق اله تعالى وإن يلحق كلمة التوحيد قالوا ولم يقع من الشيخ ﷺ الإذن لغيره ﷺ لعزة مقامه ومعرفته بشروط أهل الطريق وبرع ﷺ في الطريق وانتفع الناس على يديه في طريق الله تعالى ووقع له كرامات كثيرة لا تحصى بحضرتي فمنها ما أعلم أنه كان يحب كتمانته فكتمته ومنها ما سكت عنه فذكرته .

وقد طلع لي مرة بواسير حتى حصل لي منها ضرر شديد فشكوت ذلك له فقال غدا تزول إن شاء الله تعالى في صلاة العصر فصليت العصر ونظرت فلم أجدها أثرا ﷺ وأعطى ﷺ القبول التام عند الخاص والعام حتى إن بعضهم شرب ماء غسالة يديه من ذفر السمك وعمر عدة مساجد في دمياط و المحلة وغيرهما وكان ﷺ كريم النفس ظريفا حسن المعاشرة بطئ الغيظ كثير التبسم زاهدا في الدنيا كثير الوحدة في الليل وطوى الأربعين يوما وكان حلو المنطق لا تكاد تسمع منه إلا ما تحب وربما جلست معه بعد صلاة العشاء فيطلع الفجر ونحن في مجلس واحد وكنت أقدر الليلة بنحو سبع درج وكان ﷺ كثير التحمل لهماوم الخلق حتى صار كأنه شن بال جلد على عظم .

وما سمعته قط يعد نفسه من أهل الطريق وكثيرا ما كان يقول: إذا سمع شيئا من كلام أهل الطريق استراحت العرايا من شراء الصابون وكان فتحه الكبير بعد وفاة شيخه رحمه الله فدخل الخلوة مرارا وما خرج حتى سمع الهواتف تأمره بذلك فخرج ودعا الناس إلى طريق اله تعالى ولقن رحمه الله نحو العشرة آلاف مريد ولم يزل على طريقته الحسنى لم يتغير حتى مات، وكان رحمه الله يحط كثيرا على فقراء المطاوعة ويقول: لأنهم قطاع الطريق على فقراء الأرياف وليس في طريقهم ترق لعدم الشيخ الذي يبين لهم الأخلاق، ولم يكن حظه عليهم نقصا فيهم إنما هو لمصلحة المريدين الذين أخذوا عنه الطريق ولم تعلق فيهم صنارة وذلك لأن غضب الكامل على الإنسان إنما هو لمصلحة ذلك الإنسان لاحظا للنفس فافهم .

وسبق سيدي أبا العباس إلى ما ذكرناه سيدي محمد الغمري وسيدي مدين وغيرهما فكانوا كلهم ينهون جماعتهم عن الاجتماع بالمطاوعة لهذه العلة التي تقدمت والله أعلم ولما حضرته الوفاة قال لسيدي أحمد بن محيي الدين الغمري وللحاضرين خرجنا من الدنيا ولم يصح معنا صاحب في الطرق، قلت : وكذلك وقع لسيدي إبراهيم التتولي رحمه الله . فقليل له إن من أصحابك فلانا وفلانا فقال رحمه الله هؤلاء من معارفنا إنما صاحبك من شرب من بحرك توفي رحمه الله بثغر دمياط في سنة خمس وأربعين وتسعمائة وقبره بها ظاهر يزار رحمه الله ولقد قصدته في حجة وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر فرايته خرج من قبره يمشي في دمياط وأنا أنظره إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع فقال عليك بالصبر، ثم اختفى عني رحمه الله .

٦٦ - ومنهم شيخي ووالدي وقديوتي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله تعالى عنه :

وهو أطول أشياخي خدمة خدمته خمساً وثلاثين سنة لم يتغير على يوماً واحداً وشوني اسم بلدة بنواحي طنطا بلد سيدي أحمد البدوي رحمه الله ربي بها صغيراً ثم انتقل إلى مقام سيدي أحمد البدوي رحمه الله وأنشأ فيه مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو شاب أمرد فاجتمع في ذلك المجلس خلق كثير وكانوا يجلسون فيه من بعد المغرب ليلة الجمعة إلى أن يسلم على النارة لصلاة الجمعة ثم إنه خرج يشيع جماعة مسافرين إلى مصر في بحر الفيض فخرجت للركب به من غير قصد منه فلم يقدر أحد على رجوعها إلى البر فقال توكلنا على الله فجاء إلى مصر فأقام بها أولاً في تربة السلطان برفوق بالصحراء وأنشأ في الجامع الأزهر مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله في عام سبع

وتسعين وثمانمائة وكان ﷺ يقوم من التربة كل ليلة جمعة إلى الأزهري ويرجع فلما عمر السلطان طومان باي العادل تربته نقله إليها وأعطاه وظيفة المزمالات بها فكان يسقى الناس طول النهار فأقام بها سنين عديدة ثم دخل إلى مصر وتزوج بها وله من العمر تسعون سنة وكان لم يتزوج قط ثم انتقل إلى مدرسة السيوفية التي وقع لسيدى عمر بن الفارض مع شيخه البقال فيها ما وقع فأقام بها إلى أن مات في سنة أربع وأربعين وتسعمائة ودفن عندنا بالقبة المجاورة لباب المدرسة القادرية بخط بين السوريين وقبره بها ظاهر يزار وأخبرني ﷺ قال من حين كنت صغيراً أرى البهائم في شوني وأنا أحب الصلاة على رسول الله ﷺ وكنت أدفع غذائي إلى الصغار وأقول لهم كلوه وصلوا أنا وإياكم على رسول الله ﷺ فكانا نقطع غالب النهار في الصلاة على رسول الله ﷺ.

قلت ولما دخلت مصر سنة إحدى عشرة وتسعمائة لقيني الشيخ شهاب الدين الطويل المجذوب ﷺ فقال لي أنت ابن الشوني أيش حال أبوك وكنت لا أعرف قط من هو الشوني فما كان إلا نحو سنتين فأخبرني شخص أن رجلاً يسمى الشيخ نور الدين الشوني من الصالحين في تربة العادلية أمض بنا نزوره فلما دخلنا عليه رحب بي أكثر من أصحابي وقال لي أيش لك الشيخ شهاب الدين فأخبرته فقال هو صاحب اطلاع وإن شاء الله تعالى يحصل لك من جهاتنا نصيب من الخير فكنت أحضر معه المجلس نحو سبع سنين فلما كانت سنة تسع عشرة قال لي مقصودي تجمع لك جماعة في الجامع الذي أنت فيه مقيم وتحبى بهم ليلة الجمعة بالصلاة على رسول الله ﷺ على ترتيب هذا المجلس فشرعت فيه في السنة المذكورة فلم ينقطع بركته ليلة واحدة إلى وقتنا هذا.

ثم إنه خطر لي ليلة من الليالي أن اقرأ بالجماعة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١) نحو لف مرة فقرانها فرأى جماعة بكثرة تلك الليلة سيدنا رسول الله ﷺ فأخبرت الشيخ بذلك ففعلها بمجلسه بالجامع الأزهري ثم إنني كررت ليلة قوله تعالى ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾^(٢) نحو خمسين درجة فحصل للجماعة بسط عظيم فأخبرته بذلك فصار يفعلها بمجلسه وتوارثها عنه جماعته، ورايت مرة في واقعة أنني

(١) سورة الكوثر: الآية ١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

امشي خلفه في أرض بلور أبيض وعليها سور شاهق بقرب من السماء وحصل لي أنس عظيم في تلك الأرض كدت أن أسكر منه فبينما نحن نمشي إذا نزل من السماء سلسلة فضة بيضاء وفيها قربة فيها ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل فنزلت إلى أن صار الإنسان يصل إليها بفمه فشرب الشيخ ﷺ منها وأعطاني القضلة فشربتها ثم تخلف الشيخ ومشيت حتى غيت عن الشيخ فنزلت لي سلسلة ذهب وفيها شيء مربع نحو الشبر في شبر وفيها ثلاث عيون مكتوب على العليا منها مستمد هذه العين من الله وعلى الوسطى مستمد هذه العين من العرش وعلى السفلى مستمد هذه العين من الكرسي فالهمني الله تعالى فشربت من الوسطى ثم رجعت إلى الشيخ ﷺ فأخبرته بما شربته وبأنه من العين التي تستمد من العرش فقال يا فلان تتخلق إن شاء الله تعالى بالرحمة على جميع العالم وسر بذلك سرورا عظيما ﷺ .

ثم قال لي صدق كلام الشيخ شهاب الدين المتقدم، وكان ﷺ حسن العشرة جميل الخلق كريم النفس حسن السمات كثير التبسم صافي القلب ممسوحا كباطن الطفل سواء وهذه الصفة من صفات العجلة وكان إذا نزل بالمسلمين هو أو غم لا يقر له قرار حتى يرتفع وكان لا يتفوه قط برؤية رسول الله ﷺ إنما كان يقول: رأى بعض الفقراء رسول الله ﷺ وقال له كذا وكذا مع أن مرتبته كانت تقتضي كثرة الرؤيا له ﷺ ورايته عن يسار النبي ﷺ في وقائع لا أحصيها فكنت أذكر له ذلك فيقول: اشتبهت بي ولا يعترف بذلك.

ورأيت مرة قائلا يقول: في شوارع مصر إن رسول الله ﷺ عند الشيخ نور الدين الشوني ﷺ فمن أراد الاجتماع به فليذهب إلى مدرسة السيوفية فمضيت إليها فوجدت السيد أبنا هريرة ﷺ على بابها الأول فسلمت عليه ثم وجدت المقداد بن الأسود على بابها الثاني فسلمت عليه ثم وجدت شخصا لا أعرفه على بابها الثالث فلما وقفت على باب خلوة الشيخ وجدت الشيخ ولم أجد رسول الله ﷺ عنده فبهت في وجه الشيخ فأمعنت النظر فرأيت رسول الله ﷺ ماء أبيض شفافا يجري من جبهته إلى أقدامه فغاب جسم الشيخ وظهر جسم النبي ﷺ فسلمت عليه ورحب بي وأوصاني بأور وردت في سنته فأكد على فيها ثم استيقظت .

فلما أخبرت الشيخ ﷺ بذلك قال والله ما سررت في عمري كله كسروري بهذا وصار يبكي حتى بل لحيته ﷺ .

ورؤى في عرفات في الموقف مرارا لا تحصى حتى حلف شخص من أصحابه بالطلاق إنه رآه وسلم عليه فيه وهو لم يعترف ويقول: أنا ما برحت من مصر موضعا وتفرعت عنه سائر مجالس الصلاة على النبي ﷺ التي على وجه الأرض الآن في الحجاز والشام ومصر والصعيد والمحلة الكبرى وإسكندرية وبلاد الغرب وبلاد التكرور، وذلك لم يعهد بأحد قبله إنما كان الناس لهم أورد في الصلاة على رسول الله ﷺ فرادى في أنفسهم، وأما اجتماع الناس على هذه الهيئة فلم يبلغنا وقوعه من أحد من عهد رسول الله ﷺ إلى عصره ﷺ ولما توفى ﷺ رأيته في قبره وقد اتسع مد البصر وهو مغطى بلحاف حرير أخضر مساحته قدر فدان ثم إنني رأيته بعد سنتين ونصف وهو يقول: لي غطني بالملاية فإني عريان فلم أعرف ما المراد بذلك فمات ولدي محمد تلك الليلة فنزلنا به ندفنه بجانبه في الفسقية فرأيته عريانا على الرمل لم يبق من كفنه ولا خيط واحد ووجدته طريا يخر ظهره دما مثل ما دفناه سواء لم يتغير من جسده شيء فغطيته بالملاية وقلت له إذا قمت وكسوك، أرسل لي ملاية.

وهذا من أدل دليل على أنه من شهداء المحبة فإن الأرض لم تاكل من جسده شيئا بعد سنتين ونصف ولا انتفخ ولا נתن له لحم وإنما وجدنا الدم يخر من ظهره طريا لأنه لما مرض لم يستطع أحد أن يقلبه مدة سبع وخمسين يوما فذاب لحم ظهره فضممناه بالقطن وورق اللوز وبم يتأوه قط ولم يئن في ذلك للرض، ورأيته مرة أخرى فقلت يا سيدي أيش حالكم فقال جعلوني بواب البرزخ فلا يدخل البرزخ عمل حتى يعرض على وما رأيته أضوا ولا أنوار من عمل أصحابنا يعني من قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) والصلاة على رسول الله ﷺ ولا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

ورأيت مرة الإمام الشافعي رحمه الله وقال لي أنا عاتب عليك وعلى نور الدين الطرابلسي ونور الدين الشوني وكنت تلك الليلة نائما في الروضة عند بنى الوفاء فقلت للإمام نزوركم بكرة إن شاء الله فقال لا هذا الوقت فأخذ بيدي ومشى من الروضة حتى طلع بي فوق قبته وفرش لي حصيرا بقرب الهلال بحيث أنى صرت أمسك المركب النحاس بيدي ومضى فأتى ببطيخ وجبن طرى وخبز لين وقال كل فقد ماتت ملوك الدنيا بحسرة الأكل في هذا الموضع فرجعت وقصصت المنام على الشيخ نور الدين

(١) سورة الإخلاص: الآية ١.

الطرابلسي فركب في الحال للزيارة ثم دخلت للشيخ نور الدين الشونى فقلت له
وكان عنده عرعر صاحب الشريف بركات سلطان فقال هذه اباطيل مثل الإمام
الشافعي رحمه الله يعتب على مثلكم في الزيارة فنام الشريف عرعر تلك الليلة فرأى الإمام
الشافعي رحمه الله وقال له قول عبد الوهاب صحيح وأنا عاتب على الثلاث فجاء الشيخ نور
الدين وأخبره الخبر، ثم قال لي لولا الشونى في مصر لهوى بأهلها ما هوى ومناقبه رحمه الله
كثيرة وإن شاء الله تعالى نفردها بالتأليف إن كان في الأجل فسحه . والله أعلم.

٦٧ - ومنهم أخي وصاحبي سيدي الشيخ أبو الفضل الأحمدى رضي الله تعالى عنه

صاحب الكشوفات الربانية والاتفاقات السماوية والمواهب اللدنية سمعت الهوائف
تقول في الأسحار ما صحبت مثل الشيخ أبي الفضل ولا تصحب مثله، وكان رحمه الله
تعالى من أكابر ولياء الله وما رايت أعرف منه بطريق الله عز وجل ولا بأحوال الدنيا
والآخرة له نفوذ البصر في كل شيء لو أخذ يتكلم في أفراد الوجود لضافت الدفاتر،
صحبتة رحمه الله نحو خمس عشرة سنة ووقع بيني وبينه اتحاد لم يقع لي قط مع غيره
وهو أنه كان يرد على الكلام من الحكمة في الليل فأكتبه فإذا جاء عرضته عليه
فيخرج لي ورقة من عمامته ويقول: وأنا الآخر وقع لي ذلك فنقابل الكلام على الآخر
فلا يزيد أحدهما على الآخر حرفاً وربما يقول: بعض الناس إن أحدنا كتب ذلك من
الآخر .

وكان رحمه الله يدرك تطور الأعمال الليلية والنهارية ويرى معارجهما وهذا أمر ما
رايته لأحد قط من الأشياخ الذين كتبت مناقبهم في هذه الطبقات وقد سألتني مرة
الأمر محبى الدين بن أبي أسبغ الله عليه نعم الدارين أن أدعو له بالخلاص من سجن
السلطان فسألت الله تعالى له في الأسحار فجاءني سيدي الشيخ أبو الفضل وقال لي
ضحكت الليلة عليك في دعائك لابن أبي أصبغ بالخلاص من السجن وقد بقى له من
المدة خمسة شهور وسبعة أيام فلو كنت شاطر مصر لم تقدر على إخراجه حتى
تنقضى هذه المدة .

قال ورايت دعائك وهو يصعد إلى السماء نحو قامة ويرجع إليك وربما كان
يأتيني فيخبرني بجميع ما وقع لي في الليل، وكان من شأنه تحمل هموم الناس حتى
صار ليس عليه أوقية لحم.

وكان ﷺ يقول: لي منذ سنين وأنا أحس بلحمي كأنه في صحن نحاس على النار يطشطش وكان من شأنه التقشف في المأكل والملبس وخدمته جميع إخوانه وكنا إذا خرجنا لمثل أهرام الجيزة أو غيرها من التنزهات يحمل نعال الجماعة كلهم في خرج على عنقه ومن أبى أقسم عليه بالله تعالى حتى يمكنه من حمل نعله وشكوت له مرة مرضا نزل بي فقال : والله العظيم لي منذ عشر سنين وأنا أحس أنني في صحن نحاس على النار من غير ماء يطشطش فيه فحط مرضك بجانب هذا تجده ولاش، وكان ﷺ لا ينام من الليل إلا نحو عشر درج صيفا وشتاء .

وكان ﷺ من أعظم الناس تعظيما للمساجد لم يتجراً قط ن يدخل مسجداً إلا تبعاً لغيره فكان يمكث واقفاً على باب المسجد حتى إذا دخل أحد دخل في ذارعه ويقول: : مثلنا لا ينبغي له أن يدخل المساجد إلا تبعاً لعامة المسلمين لحجرتنا عن القيام بأدائها ورأيت مرة في ثوبه أثراً فقلت له دعني أغسله لك فقال أنت ما تعرف حالي والله إنني لأستحي من لبس الثوب النظيف على ذاتي هذه القدرة .

وكان ﷺ يقول اعطاني الله تعالى أن لا أنظر قط إلى شيء من الحبوب نظرة واحدة ويسوس أو يتلف أبداً وجربنا ذلك في مخزن القمح الذي كان يسوس عندنا وكان ﷺ يعرف أصحاب النوبة في سائر أقطار الأرض ويعرف من تولى ذلك اليوم منهم ومن عزل وكان لوه أصفر نحيفا لا تكاد تجد عليه أوقية لحم، وحج ﷺ مرات على التجريد فلما كان آخر حجة كان ضعيفا فقلت له في هذه الحالة تسافر فقال لترابي فإن نطقتي مرغوها في تربة الشهداء ببدر فكان كما قال فمرض مرضا شديداً قبل بدر بيومين ثم توفي ودفن ببدر كما قال وذلك في سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة فلما حججت سنة سبع وأربعين .

مضيت إلى قبره فقلت له أقسم عليك بالله إلا ما نطقت لي من القبر وعرفتني بقبرك فنناداني تعال فإنني ها هنا فعرفت قبره بتعريفه لي ﷺ ومدحت له مرة بعض الفقراء فقال اجمعني عليه فدخلنا فوجدناه في الخلوة فقال له سيدي فضل الدين رحمه الله تعالى (يا هو) بهمة فتخبط ذلك الفقير من صياحه عليه حتى كاد يذهل فقال سيدي أفضل الدين ﷺ وعزة ربي لولا الشفقة عليه لشقت قلبه بالصوت ثم قال لي هذا يأكل مهما وجد لا يتورع فهذا الذي تركه يتخبط كما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

الرَّبَّوْا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴿١﴾ فـذاكره مذاكرة في حقائق اليقين ودقق عليه الكلام حتى قال له ذلك الفقير تنزل لنا العبارة والمقام ثم رأى عنده رجلاً مختلياً وصوته ضعيف في الذكر فقال له أخرج هذا الفقير واطعمه وإلا مات ودخل النار فقال الفقير هذا من شرط الخلوة .

فقال له سيدي أفضل الدين ﷺ وماذا يطلب بالخلوة هذه فإن العبد إذا كان ولياً لله فلا يحتاج إلى هذا العلاج وإن كان غير ولي لله فلا يصير ولياً بالعلاج وشجرة السنط لا تكون تفاحاً بالعلاج فأخذ سيدي أبو الفضل رغيفاً، وقال اسمع مني وأخرج وما وعدك الله به يحصل إن شاء الله تعالى فلم يخرج فقال الله يبتليك بالموت فمات بعد يوم وليلة (٢).

وكان ﷺ يقول: بواطن هذه الخلقة كالبلور الصافي أرى ما في بواطنهم كما أرى م في ظواهرهم وكان إذا انحرف من إنسان يذوب ذلك الإنسان ولا يفلح في شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة .

وكان ﷺ يعرف من أنف الإنسان جميع ما يفعله في داره ويقول: هذا ما هو باختياري وسألت الله تعالى الحجاب فلم يحجبني والله تعالى في ذلك حكم وأسرار .
وكان له كلام عال في الطريق والمقامات وأحوال الكمل.

وكان يقول: أنا من ورثي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومن كلامه ﷺ : أعلم يا أخي أن المراد من الإيجاد الإلهي الإنسان والتكوين الطبيعي الناري ليس إلا معرفة الربوبية وأوصافها والعبودية وأخلاقها فأما أوصاف الربوبية فيكفيك يا أخي منها ما وصل إليك علمه إلهاماً وتقليداً بواسطة رسول الله ﷺ في غير تشبيه ولا تعطيل وأما أخلاق العبودية فهي مقابلة لأوصاف الربوبية على السواء فكل صفة استحقتها الألوهية طلبت العبودية حقها من مقابلة ذلك الوصف ومن هذا المقام كان استغفاره ﷺ فكل عن مقامه يتكلم وعما وصف به يترجم .

وسمعه ﷺ يقول: من نظر إلى ثواب في أعماله عاجلاً أو أجلاً فقد خرج عن

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٢) مات لانقضاء أجله لا بدعاء الشيخ عليه يقول: سبحانه وتعالى : [فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون]

أوصا ب العبودية التي لا ثواب لها إلا وجه الله تعالى .

وكان يقول: عليك بحسن الظن في شأن ولاية أمور المسلمين وإن جاروا فإن الله لا يسأل احدا قط في الآخرة لم حسنت ظنك بالعباد.

وكان يقول: لا تسب احدا من خلق الله تعالى على التعين بسبب معصية وإن عظمت فإنك لا تدري بم يختتم لك له ولا تسب من أحد إذا سببت إلا فعله لا عينه فإن عينك وعينه واحد فلا تسب إلا الفعل الردئ المذموم لقوله ﷺ في الثوم " إنها شجرة أكره ريحها " فلم يقل أكرها وإنما أكره ريحها الذي هو بعض صفاتها .

وكان ﷺ يقول: لا يخلو المنقص لأعراض الناس عن ثلاثة أحوال إما أن يرى نفسه أفضل منهم فهو حينئذ أسوأ حالا منهم كما وقع لإبليس مع آدم عليه السلام وإما أن يرى نفسه مثلهم فما أنكر إلا على حال نفسه حقيقة وإما أن يرى نفسه دونهم فلا يليق به تنقيص من هو خير منه .

سمعتة مرة يقول: هؤلاء للنقصون لأعراضنا فلاحون لنا يزنون لنا الخراج فقلت له كيف ؟ فقال لأنهم ينقلون في صحائفنا جميع أعمالهم الصالحة الخالصة وثم ذنوب لا يكفرها إلا كلام الناس في عرض الإنسان .

وكان ﷺ يقول: عليكم بحسن الاعتقاد فإنه ربط القلب مع الله تعالى بواسطة المعتقد فيه ولو كان غير أهل لذلك فإنكم لم تربطوا قلوبكم إلا مع الله تعالى لا مع الواسطة والله يستحي من طلب عبده له أن يفقده عندما طلبه .

وكان ﷺ يقول: كونوا عبيد الله لا عبيد أنفسكم ولا عبيد ديناركم ودرهمكم فإن كل ما تعلق به خاطركم من محمود أو مذموم اخذ من عبوديتكم بقدر حبكم له وانتم لم تخلقوا للكون ولا لأنفسكم بل خلقكم له فلا تهربوا منه فإنكم حرام على أنفسكم فكيف لا تحرموا على غيركم.

وكان ﷺ يقول: كفوا غضبك عن يسيء إليكم لأنه مسلط عليكم بإرادة ربكم.

وكان يقول: افعلوا كل ما أمركم به الشرع إن استطعتم ولكن من حيث مشروعيته والأمر به لا من حيث علة أخرى واتركوا العلل كلها في جميع أحوالكم

وأعمالكم واقطعوا الكل بقوله " يمحو الله ما يشاء ويثبت " ^(١) .

وكان ﷺ يقول: لا تقطعوا بما علمتموه من الكتاب والسنة ولو كان حقا في نفسه .

وكان يقول: لا تركن إلى شيء ولا تأمن نفسك في شيء ولا تأمن مكر الله لشيء ولا تختر لنفسك حالة لتكون عليها فإنك لا تدري اتصل إلى ما اخترته أم لا ثم إن وصلت إليه فلا تعلم لك فيه خير أم لا وإن لم تصل إليه فاشكر الذي منعك فإنه لم يمنعك عن بخل .

وكان ﷺ يقول: إذا خيرك الحق تعالى في شيء فاختر عدم الاختيار ولا تقف مع شيء ولا تر لنفسك شيئا ولا تحزن على شيء خرج عنك فإنه لو كان لك ما خرج عنك ولا تفرح قط بما حصل لك من أمور الدنيا والآخرة دون الله تعالى فإن ما سوى الله عدم .

وكان ﷺ يقول: إذا نقل إليكم أحد كلاما في عرضكم من أحد فازجروه ولو كان من أعز إخوانكم في العادة وقولوا له إن كنت تعتقد هذا الأمر فينا فأنت ومن نقلت عنه سواء بل أنت أسوأ حالا لأنه لم يسمعنا ذلك وأنت اسمعته لنا وإن كنت تعتقد أن ذلك لأمر باطل في حقا وبعيد منا أن تقع في مثله فما فائدة نقله لنا، وسمعته ﷺ يقول: لا تتكلموا قط مع من فنى في التوحيد فإنه مغلوب وكلوه لشيئة الله تعالى ولا تشتغلوا بالإكثار من مطالعة كتب التوحيد فإنها توقفكم عما أنتم مخلوقون له فكل تكلم بحسب علمه ونوقه .

وكان ﷺ يقول: عليكم بحفظ لسانكم مع أهل الشرع فإنهم بوابون لحضرة الأسماء والصفات وعليكم بحفظ قلوبكم من الإنكار على أحد من الأولياء فإنهم بوابون لحضرة الذات وإياكم والانتقاد على عقائد الأولياء بما علمتموه من أقوال المتكلمين فإن عقائد الأولياء مطلقة متجردة في كل آن على حسب الشئون الإلهية .

وكان ﷺ يقول: لا تقربوا من الأولياء إلا بالأدب ولو باسطوكم فإن قلوبهم مملوكة ونفوسهم مفقودة وعقولهم غير معقولة فيمقتون على أقل من القليل

(١) مات لانقضاء أجله لا بدعاء الشيخ عليه يقول: سبحانه وتعالى: [فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون]

ويند الله مرادهم فيكم .

وكان ﷺ يقول: إذا صحبتكم كاملا فلا تؤولوا له كلاما إلى غير مفهومه الظاهر فإن الكمل لا يسترون لهم كلاما ولا حالا إذا التدير من بقايا تدير النفس وحفظها .

وكان ﷺ يقول: اسألوا الله العفو والعافية والحوأ عليه ولو كان أحدكم صبور .

وكان ﷺ يقول: الحقيقة والشرية كفتا الميزان وانت قلبها فكل كفة حصل منك ميل إليها كنت لها .

وكان ﷺ يقول: عليكم بتنظيف باطنكم من الحرص والغل والحقد ونحو ذلك فإن الملك لا يرضى ان يسكن بجواركم وانتم على هذا الحال فكيف يسكن الحق قلوبكم يا داود طهر لي بيتا اسكنه .

وكان ﷺ يقول: عليكم بإخراج كل ما علقت به نفوسكم ولم تسمح بإظهاره من علم او حال او غيرهما ولا تتركوا النصيح لإخوانكم ولو ذموكم لأجل ذلك .

وكان ﷺ يقول: عليكم بإصلاح الطعمة ما استطعتم فإنها أساسكم الذي يتم لكم به بناء دينكم وجميع أعمالكم الصالحة فإن كنتم متجردين عن الأسباب فاقبلوا كل ما أرسله الحق تعالى إليكم من غير سؤال ما عدا الذهب والفضة والثياب الفاخرة فإذا بلغ أحدكم مبلغ الرجال عرف كل لقمة من أين جاءت وعرف من يستحق أكلها كالبناء يعرف مكان كل طوبة يضعها .

وكان ﷺ يقول: إذا غضب شيخك على أحد فعليك ان تجتنبه فإن علمت ان غضب شيخك لغير الله فامسك عن الاجتناب كأحوال المشايخ القاصرين الآن .

وكان ﷺ يقول: إذا فاجاك في حال ذكر شيء من حال او غيره فلا تدفعه عن نفسك ولا تستجلب ذلك بجميع باطنك وتفعلك فإن ذلك سوء أدب .

وكان ﷺ يقول: لا تأنفوا من التعلم ممن خصه الله تعالى من فضله كائنا من كان لا سيما أهل الحرف النافعة فإن عندهم من الأدب ما لا يوجد عند خصوص الناس .

وكان يقول: إياكم أن تظهروا لكم حالاً أو وصفاً دون أن يتولى الله ذلك من غير اختياركم.

وكان ﷺ يقول: احذروا من قربته تعالى لكم أن يفتنكم بالقرب مع أنه لا خصوصية لكم فيه وإذا علم أحدكم ما هو عليه من القرب فهو بعيد من القرب فإن حقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب حتى لا تشهد حالك في القرب إلا بعداً ولا في العلم إلا جهلاً ولا في التواضع إلا كبراً فإن شهود القرب يمنع العلم بالقرب ﴿وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(١).

وكان ﷺ يقول: احذروا من الاعتزاز بصحبته لكم أن يستدرجكم بحبكم له فيشغلكم بكم عنه إذا كشف لكم عن حقائقكم حسبتم أنكم هو ومن وهنا يقع الاستدراج ولا خلاص لكم إلا إن شهدتموه به تعالى لا بكم.

وسئل ﷺ مرة عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٢) الآية، هل يدخل في ذلك الركون إلى النفس فقال ﷺ نعم، ثم قال ﷺ وإيضاح ذلك أن هذه الآية أيضاً متضمنة لعدم اختيار العباد مع ربهم ومتضمنة أيضاً لمعرفة أقرب الطرق إلى الحق وهو أصل جامع الطرق الظاهرة والباطنة فإن في باطنها الحث على الأمر بالتخلق بالمقام الإبراهيمي الذي نحن مكلفون باتباعه وذلك أن الأركان صفة من صفات النفس والظلم أيضاً من صفاتها وهي موصوفة بالظلم والأركان في نفسها لاعتمادها على نفسها ودعواها بأنها أفضل وأعلم من غيرها ولو لم تعلم هي ذلك من نفسها ولولا أنها موصوفة بالظلم ما ظهر عنها قط فعل أو امر قبيح وهذا أيضاً أقوى دليل على جهلها بمعرفة نفسها وربها حيث لم تسند إلى ربها جميع أفعالها وأقوالها وحركاتها وسكناتها الظاهرة والباطنة، ومعلوم أن الظالم نفسه إنما هو معذب في هذه الدار بنار نفسه وشهواته لا بالنار المحسوسة التي تقع له في الدار الآخرة.

وانظر يا أخي إلى إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما لم تؤثر فيه نار الشهوة لم تؤثر فيه نار الحس بل وجدها برداً لأجل صفة البرد الذي في باطنه عليه الصلاة والسلام من حر التدبير للفضي إلى الشرك الأكبر للشار إليه بقول لقمان لابنه ﴿

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٥.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٥.

إِنَّ الْبُتْرَةَ لَكُنْزٌ عَظِيمٌ^(١) فعلم ان الظالم لحق ربه معذب بنار البعد عنه ومتقرب إلى هزاه الذي جعله معبوده ووجهته، قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَنَى عِلْمٍ^(٢) ﴾ إنما وصفه هذا بالعلم لأنه لم يتخذ له إلهاً خارجاً عنه بعيداً منه والإله من شأنه القرب وما ثم أقرب إلى الإنسان من نفسه لنفسه لأن هواه للعبود عالم بما يظهر في سره ونجواه بخلاف الإله المجعول في الظاهر فإنه غير عالم بمصالح تلك النفس وأحوالها لبعده وعدم علمه ومن هنا قالوا اللفظ الأوثان الهوى واكتفها الحجارة وايضاً فإن النفس العابدة لهواها هي العبودة لهذا فإن صفاتها عابدة لذاتها ولذلك وقع علينا التوبيخ الإلهي في قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ^(٣) ﴾ .

وفي حديث: «من عرف نفسه عرف ربه، فإن المعرفة هنا تكررت وهي لم تقبل تكراراً والنفس والرب قبلاً التكرار فاعلم ما تحته تصب التحقيق إن شاء الله تعالى وصلى الله وسلم على معلم الخير ومظهر التوحيد.

وكان ﷺ يقول: ثلاث مراتب لثلاث رجال زاحم عليها متصوفة زماننا بغير حق وهي تلقين الذكر للمريدين والباسهم الخرقه وإرخاؤهم لهم العذبة فاما تلقين الذكر فشرطه عندي أن يعطيه الله تعالى من القوة والتمكين وكمال الحال ما يمنح المرید عند قوله قل لا إله إلا الله جميع علوم الشرائع للنزلة إذ هي كلها احكام لا إله إلا الله فلا يحتاج بعد ذلك المجلس إلى تعليم شيء من الشرائع للنزلة إذ هي كلها احكام لا إليه إلا الله فلا يحتاج بعد ذلك المجلس إلى تعليم شيء من الشرائع كما وقع لعلي بن أبي طالب ﷺ عندي من العلم الذي أسره إلى رسول الله ﷺ عند جبريل ولا ميكائيل فيقول ابن عباس كيف؟ فيقول إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ بعد ذلك، هذا هو التلقين الحقيقي ولا يكون إلا لمن اتحد بشيخه حتى صار كأنه هو وأما إلباس الخرقه فشرطه عندي ايضاً أن يعطي الله ذلك الشيخ من القوة ما ينزع به عن المرید حال قوله له اخلع قميصك أو قلنسوتك مثلاً جميع الأخلاق للذمومة فيتعطل عن استعمال شيء منها إلى أن يموت ذلك المرید ثم يخلع على المرید مع إلباسه تلك الخرقه جميع الأخلاق المحموده التي هي غاية درجة المرید في علم الله عز وجل فلا

(١) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٤٥.

(٣) سورة الناريات: الآية ٢١.

يحتاج ذلك المريد بعد إلباس شيخه له الخرقعة إلى علاج خلق من الأخلاق فمن لم يعطه الله تعالى ذلك ففعله كالاستهزاء بطريق العارفين.

ولبسها على هذا الشرط سيدي الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله من الخضر عليه السلام عند الحجر الأسود واخذ عليه العهد بالتسليم لمقامات الشيوخ وأما إرخاء العذبة فشرطه عندي أيضاً أن يقدر الله ذلك الشيخ على أن يخلع على المريد حال إرخائها له من النمو والزيادة لكل شيء مسه ذلك المريد أو نظر إليه لتكون تلك الزيادة المرخاة من العمامة علامة وإشارة إلى التحقيق لتلك المرتبة من باب التحدث بالنعيم. ولما أرخاها معروف الكرخي رحمه الله للسري السقطي رحمه الله سقف بيتاً له فقصرت خشبة عن الوصول إلى الجدار الآخر فمطها فطالت ومن قال من متصوفة هذا الزمان ليس ما قلته في هذه الثلاثة الأمور شرطاً لكونه هو عارياً عن ذلك الشروط فقد أساء الظن وكذب بكرامات السلف الصالح فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان رحمه الله يقول في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ ^(١) الأجل الأول هو أجل الجسم بموته في الحياة الدنيا والأجل المسمى عنده هو أجل الروحانية التي خلقت قبل الأجسام بالفي عام فإنها مستمرة الحياة إلى الصعق الأخروي حين تصعق الأرواح فتخمد وذلك أعني خمودها هو حظها من الموت والفناء الملازم لصفة الحدث فلا تبقى روح على وجه الأرض ولا في البرزخ إلا ماتت يعني خمدت.

فقلت له: فهل للطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة أجل مسمى كذلك يخصهم؟ فقال ذهب قوم إلى أنهم لا يصعقون أبداً لأن الله تعالى أنشأهم على حقائق لا تقبل الموت، والذي نذهب إليه أنهم يموتون لكنهم اشتغلوا بحضرة الشهود عن سماع النفخة فلم يدركهم حس النفخة فلم يصعقوا إذ ذاك ثم إنهم يموتون بعد ذلك بأمر الله تحقيقاً لوعده وتمييزاً لصفة القدم عن الحديث قال وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ^(٢) فلا يجيبه أحد وعلى ما ذهب إليه غيرنا يخصص عدم الإجابة بمن صعق يعني فلا يجيبه أحد ممن صعق ويكون الاستثناء منقطعاً وما ذهبنا إليه أولى فقلت له فما المراد بالصور فقال المراد به الحضرة البرزخية التي تنقل إليها بعد الموت

(١) سورة الأنعام: الآية ٢.

(٢) سورة غافر: الآية ١٦.

ونشهد نفوسنا فيها وهو المسمى أيضاً الناقور وإنما اختلف عليه الأسماء لاختلاف الصفات فصارت أسماؤه كهُو فجميع أرواح الأجسام الطبيعية والعنصرية التي قبضها لله تعالى مودعة في صورة جسدية في مجموع الصور المكنى عنه بالقرن وجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن.

وكان ﷺ يقول: كل رؤيا فهي صادقة وإذا أخطأت الرؤيا فالمراد أن من عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة ولذلك قال ﷺ للرجل الذي رأى في منامه كأنه ضربت عنقه أن الشيطان لعب بك وما قال له خيالك فاسد، فالخيال كله صحيح عند المحقق والسلام.

وكان ﷺ يقول: من صفى جوهره نفسه علم أن الحياة إنما هي لعين الجوهر وعلم أن الموت إنما هو لتبدل الصور وحينئذ يشهد موته كلا موت فالشاهد للمقتول في سبيل الله ينقله الله تعالى إلى البرزخ لا عن موت فهو مقتول لا ميت ومن هنا قالوا العارفون لا يموتون وإنما ينقلون من دار إلى دار لأنهم أماتوا نفوسهم في دار الدنيا بالمجاهدة.

وكان ﷺ يقول: من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق ﷺ.

وكان ﷺ يقول: لا بد للموت من اللوت لأنه مخلوق قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾^(١) ولكن موته في الظاهر حياته في الباطن وللتولي لقبض روحه الحياة الأبدية التي مظهرها يحيى عليه السلام كما ورد: إن اللوت يمثل في صورة كبش ويذبحه يحيى عليه السلام، بشارة لأهل الجنة بالحياة التي لا موت بعدها.

وكان ﷺ يقول: موازين الآخرة تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا لكنها ممثلة غير محسوسة عكس الدنيا فهي كتمثيل الأعمال سواء فإن الأعمال في الدنيا اعراض وفي الآخرة تكون أشخاصاً، وانظر إلى قوله ﷺ: «يؤتى الموت في صورة كبش، ولم يقل يؤتى به كبشاً لأن الحقائق لا تنقلب.

(١) سورة الملك: الآية ٢

فإذا وضعت الموازين لو وزن الأعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن أعمالهم الظاهرة، دون الباطنة لأن الأعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمي للعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لعنى يقابل كل بمثله، وآخر ما يوضع في الميزان قوله العبد الحمد لله ولهذا ورد، والحمد لله تملأ الميزان، وإنما لم تكن لا إله إلا الله تملأ الميزان كالحمد لله لأن كل عمر خير له مقابل من ضده ليجعل هذا الخير في موازينه ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان واحد بخلاف المعاصي غير الشرك إذ العاصي لم يخرج عن الإسلام بمعصيته، وإيضاح ما قلناه أن الإنسان كان يقول لا إله إلا الله معتقداً لها فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد لا إله إلا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا إله إلا الله الميزان لعدم ما يعاد له في الكفة الأخرى وإنما دخلت لا إله إلا الله ميزان صاحب السجلات التسعة والتسعين من السيئات لأن صاحب السجلات كان يقول لا إله إلا الله معتقداً له إلا أنه لم يعمل معها خيراً قط فكان وضع لا إله إلا الله في مقابلة التسعة والتسعين سجلاً من السيئات فترجح كفة لا إله إلا الله بالجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله شيء.

وكان ﷺ يقول: لا نور للصراط في نفسه لأنه منصوب على ظهر جهنم وهي مظلمة وإنما النور الذي يكون على الصراط من نور الماشين عليه، قال تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^(١) فقلت له لم يقل تعالى وبشمالهم؟ فقال ﷺ: لأن المؤمن في الآخرة لا شمال له كما أن أهل النار لا يمين لهم.

وكان ﷺ يقول: ثم من تشاق إليه الجنة كما يشاق إليها وهم للطيعون وثم من لا تشاق إليه الجنة وهم يشاقون إليها وهم عصاة المؤمنين ومن ثم تشاق إليه الجنة وهو لا يشاقها وهم أرباب الأحوال وثم من لا تشاق إليه الجنة ولا يشاق هو إليها وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة.

وكان ﷺ يقول: يقع التمني في الجنة لأهلها فيتنعمون بذلك أشد التنعم وذلك لأنه تمن محقق لوجود ما يتمناه حال التمني فلا يتوهم أحد من أهل الجنة نعيماً فوق نعيمه أو يتمناه إلا حصل له بحسب ما توهمه إن توهمه معنى كان معنى وإن

(١) سورة الحديد: الآية ١٢.

توهمه حساً كان حساً، وسئل رحمه الله تعالى عن المراد بقوله تعالى في فاكهة الجنة ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(١) هل المراد لا مقطوعة صيفاً ولا شتاءً أو أنها لا تقطع حين تقطف؟ فقال ﷺ جميع فاكهة الجنة تؤكل من غير قطع فمعنى لا مقطوعة أنها لا تقطع حال القطع بل يقطف الإنسان ويأكل من غير قطع فالأكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة هذا اعطاه الكشف فعين ما يأكله هو عين ما يشهده في غصن الشجرة والله أعلم.

وكان ﷺ يقول: الذي عليه المحققون أن اجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم فتكون الأرواح ظروفًا للأجسام بعكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للروح لا للجسم ولهذا يتحولون في أي صورة شاءوا كما هم اليوم عندنا للملائكة وعالم الأرواح.

وكان ﷺ يقول: يتناسل أهل الجنة فيها إذا شاءوا فيجامع الرجل زوجته الآدمية أو الحوراء فيوجد الله تعالى عند كل دفعة ولدًا وذلك لأن الله تعالى جعل النوع الإنساني غير متناهي الأشخاص دنيا وأخرى لشرفه عنده.

وكان ﷺ يقول ليس لأهل الجنة دبر مطلقاً لا الرجل ولا المرأة لأن الله تعالى إنما جعل الدبر في الدنيا مخرجاً للغائط ولا غائط هناك وإنما يخرج الأكل والشرب رشخاً من أبدانهم ولولا أن ذكر الرجل وقبل المرأة يحتاج إليهما في جماع أهل الجنة ما كان وجوداً في الجنة لعدم البول هناك.

وكان ﷺ يقول: لذة جماع أهل الجنة تكون من خروج الريح لا من خروج المني إذ لا مني هناك فيخرج من كل الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك فتلقى في الرحم فتتكون من حينه فيها ولدًا وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج ولد مصور مع النفس الخارج من المرأة ويشاهد الأبوان كل من ولدا لهما من ذلك النكاح في كل دفعة ثم يذهب ذلك الولد فلا يعود إليهما أبدًا كالملائكة للتطورين من أنفاس بني آدم في دار الدنيا وكالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ثم إن هؤلاء الأولاد ليس لهم حفظ في النعيم المحسوس ولا المعنوي إنما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا.

وكان ﷺ يقول: تتولد الأرواح مع الأرواح في الجنة فينكح الولي من حيث روحه

(١) سورة الواقعة: الآية ٣٣.

زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون بأجسام وصور محسوسات.
وكان يقول شجرة طوبى في منزل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهي حجاب
مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها فما من جنة ولا درجة ولا بيت ولا مكان إلا
وفيه فرع من شجرة طوبى وذلك ليكون سر نعيم كل درجة ونصيب كل ولي فيها
من نورانية فاطمة في حجاب ذلك الفرع.

وكان عليه السلام يقول: في قوله تعالى: ﴿ أَكُلْهَا دَائِمًا ﴾^(١) معناه ان الأكل لا ينقطع
عنهم متى طلبوه لا أنهم يأكلون دائماً فالدوام في الأكل هو عين التنعيم بما به
يكون الغذاء للجسم فإذا أكل الإنسان حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا بأكل على
الحقيقة وإنما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته والعدة جامعة لما جمعه هذا
الأكل من الأطعمة والأشربة فإذا اختزن ذلك في معدته ورفع يده فحينئذ تتولاه
الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال إلى حال ويغذيه بها في كل نفس فهو لا
يزال في غذاء دائم ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ ثم إذا خلت
الخزانة من الأكل حرك الجابي إلى تحصيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام هذا
معنى أكلها دائم.

وسمعه يقول: الناس في رؤية ربهم عز وجل على أقسام منهم من يراه بباصر
العين فقط ومنهم من يراه بكلها ومنهم من يراه بجميع وجهه ومنهم من يراه بجميع
جسده وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ورثهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه
وكرمه آمين.

وفي هذا القدر كفاية من كلامه عليه السلام والحمد لله رب العالمين.

٦٨- ومنهم الشيخ ناصر الدين النعاس عليه السلام ورحمه:

صحبه نحو خمس عشرة سنة، وكان من رجال الله للمستورين وكان على قدم
التعب لا يذيق نفسه راحة ولا شهوة وكان يذهب كل يوم إلى المذبح يأتي بكروش
البهائم وطحالاتها وشغتها في قفة عظيمة على رأسه يطعمها للكلاب العاجزين والقطط
الحدادي، والغربان وكانت داره مأواهم في غالب الأوقات.

(١) سورة الرعد: الآية ٣٥.

ورأيت حداة عجوزًا مقيمة في داره يوم موته فلما غسلناه وحملناه خرجت مع طائرة على نعشه حتى دفناه في زاوية الشيخ علي الخواص رحمه الله خارج باب الفتوح بمصر المحروسة وسافر على التجريد من مصر ماشيًا من غير زاد ولا راحلة ولا قبول شيء من أحد إلى مكة وأخبرني بموت أخي أفضل الدين رحمه الله يوم مات وقال أخونا أفضل الدين هذه اليوم وغداً يدفن ببدر فلما جاء الحجاج أخبرونا أنه مات قبل دخول بدر بمرحلة وحمل إلى بدر ودفن بها رحمه الله بجوار قبور الشهداء، وكراماته كثيرة ولكننا تركنا ذكرها لكونه كان يحب الخمول وعدم الشهرة، مات سنة خمس وأربعين وتسعمائة رحمه الله.

٦٩- ومنهم الشيخ الكامل العارف بالله تعالى سيدي علي الكازروني رحمه الله:

أحد أصحاب سيدي علي بن ميمون شيخ سيدي محمد بن عراق رحمه الله، كان رحمه الله كثير المجاهدة والرياضة أخبرني رحمه الله أنه ربما يمكث الخمسة الشهور أو أكثر لا يضع جنبه بالأرض لا ليلاً ولا نهاراً صحبتته مدة إقامة الحج بمكة للشفرة نحو عشرين يوماً سنة سبع وأربعين وتسعمائة وكذلك في حجتي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة مدة الموسم وانتفعت بكلامه وإشاراته ومواعظه ودقائقه في علم التوحيد وله رسائل نافعة في الطريق أطلعني على بعضها وكان ذا تمكين ومحبة لستر مقامه بين الناس حتى إن أهل مكة غالبهم ينكر عليه ويقول هذا رجل محب للدنيا وسبب ذلك ما أسره إلى.

وقال لي هذه بلد الله وحضرته الخاصة وكل من تظاهر فيها بصلاح أقبل عليه الناس وشغلوه عن ربه عز وجل فلما دخلت مكة على حالتي التي كنت عليها في الشام اعتقدوني وأقبلوا علي فتظاهرت بحب الدنيا وسؤالي لهم من الصدقات فنفروا عني فاسترحت رحمه الله.

ومن كلامه رحمه الله الإرشاد على ثلاثة أقسام: إرشاد العوام إلى معرفة ما يجب على المكلف معرفته من الحدود والأحكام من فروض العين والكفاية وإرشاد الخواص إلى معرفة النفس وهو معرفة الداء والدواء فيما يرد على النفس وعلى الضمائر من الخواطر، وإرشاد خواص وهو معرفة ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل وتنزيه صفاته وأسمائه وذاته وأفعاله.

وقال رحمه الله: الطريق إلى الله كمال الشهود ولزوم الحدود، وقال من ثبت له

الاستقامة فقد أذن له في الكلام.

وقال: الوقوف مع المظاهر حجاب ظاهر والترقي عن المظاهر كشف ظاهر، وقال: من صدق ما يقال فيه من المذموم فقد سلك ومن صدق ما يقال فيه من المحمود فقد هلك وقال من كان مجاهدًا فحقيق أن يكون مشاهدًا، وقال: من صدق في طلب الله لم يبال بترك ما سواه ومن بالغ في مدح نفسه فقد بالغ في ذم غيره ومن بالغ في ذم غيره فقد بالغ في مدح نفسه، وكان يقول: فسق العارف في نهايته أن يتوسع وينعم نفسه بالمباح فوق الكفاية.

وكان يقول: من نفى فقد أثبت ومن أثبت فقد نفى ومن أثبت ونفى ثبت، وكان يقول: ذكر منك إليه وذكر منه إليك وذكر منه إليه لا منك ولا إليك.

وكان يقول: من ادعى كمال الطريقة بغير أدب الشريعة فلا برهان له ومن ادعى وجود الحقيقة بغير كمال آداب الطريقة فلا برهان له، وكان يقول: من زهد في فضول الثياب كان من الأحاب.

وكان يقول: إذا طلعت شمس العرفة على وجود العارف لم يبق نجوم وقمر وإن وجد الأثر، وكان يقول: من ترقى عن الخواطر الشيطانية قطع حجب العنصر الناري، ومن ترقى عن الخواطر النفسانية قطع حجب العنصر الترابي ومن ادعى الطاعة وأخلص فيها ولم يقف مع حظوظ نفسه فيها فقطع حجب العنصر المائي، ومن عرف الله في كل شيء وبكل شيء وعند كل شيء ولم يقف مع شيء قطع حجب العنصر الهوائي ومن ترقى عن الحجب النورانية فقد ترقى عن ملاحظة روحه القائم بصورته الجثمانية.

وكان يقول: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد ترندق ومن تفقه وتصوف فقد تحقق.

وكان يقول: كل ما خفى عن المظاهر ظهر إشراقه في الباطن.

وكان يقول: إذا تجاهل العارف قوى الإخلاص والسلامة من القواطع.

وكان يقول: من غلب نفسه فلا غالب له ومن غلبته نفسه غلبه كل أحد.

وكان يقول: الفرق المجرد شرك خفى والجمع المجرد جحود جلي وشهود الجمع

في الفرق كمال علي.

وكان يقول: البعيد في عين القرب والقريب في عين البعد واجر القياس ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

وكان يقول: في باطن الزهد طمع وفي باطن الطمع زهد وفي باطن الكبر تواضع وفي باطن التواضع كبر وفي باطن الفقر غنى وفي باطن الغنى فقر وفي باطن العز ذل وفي باطن الذل عز وفي باطن الإيمان بالله كفر بغيره وفي باطن الكفر بغيره إيمان به واجر القياس ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

فكان كافر وكن مؤمن	ولا مؤمن ولا كافور
وكن باطن وكن ظاهر	ولا باطن ولا ظاهر
وكن أول وكن آخر	ولا أول ولا آخر
وكن حامد وكن شاكِر	ولا حامد ولا شاكِر

قلت: معناه الفناء عن شهود الكمالات على سبيل الافتخار بالله، والله أعلم.

القصـد رمز فكن ذكياً	والرسم سر على الأشاير
فلا تقف مع حروف رسمي	كل المظاهر لنا ستاير

وكان يقول: كل مقام أو كل معنى يتعسر على المسلك فإنما هو لبقية في وجوده ومن الإلباس أن يسأل عن ذلك المقام أو يكرر فيه النظر الفكري فإن أراد أن يتضح له المعنى من غير طلب فليجتهد في إزالة تلك البقية.

وكان يقول: الهواء إذا مر على الجيفة حمل رائحتها وإذا مر على المسك حمل رائحته وكذلك الماء يكتسب قيدا بواسطة مقره أو مبره فافهم.

وكان يقول: إنما خلق الإنسان أولاً في أحسن تقويم لأنه كان عند الفطرة بلا شهوة فلما ابتلي بالشهوات رد إلى أسفل سافين.

وكان يقول: من نظر بعين الجمع كانت له الحقائق والأسرار افلاكاً ومن نظر بعين الفرق كانت المظاهر له اشراكاً ومن عرف الواحد عند كل موجود في

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

كل زمان فقد هدى إلى صراط مستقيم.

وكان يقول: الحجاب بصورة الفعل عن ملاحظة الفاعل ولو بقدر نفس واحد
جحد خفى وأجر القياس على سائر الحواس.

وكان يقول: الوقوف مع صورة الشيء من كل وجه شرك خفى والإعراض عن
الشيء من كل وجه جحد خفى فانف ولا تنف وأثبت ولا تثبت آه آه آه.

وكان يقول: الكمال في شهود الجمع إعطاء كل ذي حق حقه في مقام الفرق.

وكان يقول: كل ذرة من الوجود معراج والمربي جبريل السالك انتهى كلامه
ﷺ، مات سنة ستين وتسعمائة رضي الله تعالى عنه.

**٧٠- ومنهم الشيخ محمد الجازولي الإمام الكامل الراسخ الأمين على الأسرار العارف
بالله تعالى:**

الداعي إليه الوارث الرباني النوراني الفرقاني العياني ذو المؤلفات الجليلة والصفات
الحميدة والألفاظ الرشيقة والمعاني الدقيقة من شاع علمه في أقاليم مصر وذاع، ومن
كراماته، وصفاته قد شرفت البقاع ومن يكل لسان واصفه في بيان أوصافه الزكية
وشيمه المرضية ﷺ، صحبتته ﷺ مدة فما رايت عليه شيئا يشينه في دينه بل تربى في
حجر الأولياء على وجه اللطف والدلال كما قال الأستاذ سيدي علي بن وفا ﷺ.
فما عرفنا ولا ألفنا سوى الموافاة والوصال

مات بمكة سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ﷺ آمين.

**٧١- ومنهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الإمام الصالح الورع الزاهد شمس الدين
الديروطي ثم الدمياطي الواعظ:**

كان في الجامع في الأزهر أيام السلطان قانصوه الغوري، كان ﷺ مهاجبا عن الملوك
والأمراء ومن دونهم زاهدا ورعا مجاهدا صائما قائما أمرا بالعروف ناهيا عن المنكر،
وقد حضرت مجلس وعظه في الجامع الأزهر مرات فرايته مجلسا تفيض فيه العيون
وكان إذا تكلم أنصتوا بأجمعهم، وكان يحضرها أكابر الدولة وأمراء الألو فكان
كل واحد يقوم من مجلسه متخشعا صغيرا ذليلا ﷺ.

وكان إذا مر في شوارع مصر يتزاحم الناس على رؤيته وكان لم يم يحصل

ثوبه رمى بردائه من بعيد على ثيابه ثم يأخذ رداءه فيمسح به على وجهه ﷺ.
وكان ﷺ يختفي إذا شاء في بيته أو غيره وذكرته والدته أنها كان تضع ما
يأكل وما يشرب فيأكله وهي لا تراه إنما تسمع كلامه فقط، وكان شجاعاً مقداماً
في كل أمر مهم.

وخرج عليه مرة قطاع الطريق وهو في بحر دمياط فخاف أهل للركب فقال لهم
الشيخ لا تخافوا ثم أشار إليها فتسمرت في الماء فلم يقدرُوا أن يحركوها فاستغفروا
وتابوا وقالوا للرئيس من معك فقال: الشيخ شمس الدين الدمياطي فقالوا أخبروه أنا تبنا
إلى الله تعالى فقالوا ميلوا إلى جانب البر وانتم تخلصون فمالوا فخلصوا ﷺ.

وحط مرة على السلطان الغوري في ترك الجهاد فارسل السلطان خلفه فلما وصل
إلى مجلسه قال للسلطان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم قال علام تحط علينا
بين الناس في ترك الجهاد وليس لنا مراكب نجاهد فيها، فقال: عندك المال تعمر به
فطال بينهما الكلام فقال الشيخ للسلطان قد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان،
أما تذكر حين كنت نصرانياً ثم أسروك وباعوك من يد إلى يد ثم من الله عليك
بالحرية والإسلام ورقاك إلى أن صرت سلطاناً على الخلق وعن قريب يأتيك المرض
الذي لا ينجح في طب ثم تموت وتكفن ويحفرون لك قبراً مظلماً ثم يدس أنفك هذا في
التراب ثم تبعث عريانا عطشاناً جيعاناً ثم توقف بين يدي الحكم العدل الذي لا يظلم
مثقال ذرة ثم ينادي المنادي من كان له حق أو مظلمة على الغوري فليحضر فيحضر
خلائق لا يعلم عدتها إلا الله تعالى فتغير وجه السلطان من كلامه فقال كاتب السر
وجماعة السلطان الفاتحة يا سيدي الشيخ خوفاً على السلطان أن يختل عقله.

فلما ولى الشيخ وافاق السلطان قال اثتوني بالشيخ فعرض عليه عشرة آلاف
دينار يستعين بها على بناء البرج الذي في دمياط فردها عليه وقال: أنا رجل ذو مال لا
أحتاج إلى مساعدة أحد ولكن إن كنت انت محتاجاً أقرضتك وصبرت عليك فما رؤى
أعز من الشيخ في ذلك المجلس ولا أذل من السلطان فيه.

هكذا كان العلماء العاملون وقد صرف على عمارة البرج بدمياط نحو أربعين
الف دينار ولم يساعده فيها أحد إنما كان يعقد الأشربة ويتاجر في الخيار شنب ونحوه
ﷺ ولم يأخذ قط معلوم وظيفه من وظائف الفقهاء وكان ينفر طلبته من أكل
أوقاف الناس وقبول صدقاتهم ويخبرهم أنها تسود وجه قلوبهم ﷺ. وله من اللصنفات

شرح منهاج النووي في الفقه وشرح الستين مسألة وكتاب القاموس في الفقه وشرح
قطعة من الإرشاد لابن المقرئ رحمه الله.

وكان متواضعا مع من قرا عليهم القرآن وهو صغير ولم يصدده ما وصل إليه من
العلوم والمعارف والشهرة عن ذلك ولقد رايتہ مرة راكباً فنزل وقبل يد اعمى تقوده
ابنته فقلت له من هذا؟ فقال هذا اقراني وانا صغير حزبين من القرآن رحمه الله فما أقدر قط
ان امر عليه وانا راكب واخبر زوجته ان ولدها حمزة يقتل شهيداً وانه يأتيه مدفع
فيطير راسه فكان معه كما قال واخبر ان ولده سرياً يعيش صالحاً ويموت على ذلك.

ولما حضرته الوفاة اخبر والدته انه يموت في تلك الرقعة فقال له من اين لك علم
هذا؟ فقال اخبرني بذلك الخضر عليه السلام فكان كما قال فكانت والدته تخبر انها لما
حملت به رأت النبي صلى الله عليه وسلم واعطاها كتاباً فكان الكتاب هو الشيخ واخبرني ولده سيدي
سري فسح الله في اجله ان والدته رأت الشيخ بعد مماته فقالت له ما وقع لك مع منكر
ونكير فقال كلمونا بكلام مليح واجبناهم بجواب فصيح، توفي رحمه الله في ربيع الأول سنة
إحدى وعشرين وتسعمائة وله من العمر نيف وخمسون سنة رحمه الله ودفن بزاويته
بدمياط ودفن عنده الأخ العزيز العارف بالله تعالى سيدي ابو العباس الحريثي رحمه الله.

٧٢- ومنهم الأخ الصالح الشيخ محمد السندقاوي المحلي رحمه الله تعالى:

كان شاباً صواماً قواماً قليل الكلام حسن السمعت كريم النفس يحب الوحدة لا
يمل منها، احب إليه ما يجلس في المساجد المهجورة والخرائب اجتمع رحمه الله تعالى
بالشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي اللويب بالبحر الصغير بنواحي دمياط وحصل له
منه نفحات وكساه حبه وقال يا محمد ما فرح مني بذلك قط احد غيرك وكانت له
والدة يبرها ولا يكاد يرفع صوته عليها.

وكان يقول لها هبيني لله عز وجل ولليعاد بيننا في الآخرة ليقطع طمعها منه،
ومكث رحمه الله سنين عديدة يحج على التجريد ماشياً حافياً لا يسأل احداً شيئاً ولا يقبله منه.

وكان الغالب عليه السذاجة في أمور الدنيا والحدق في أمور الآخرة وكان كثير
التوجه إلى الله تعالى قليل الكلام حسن العاشرة لبن الجانب لعامة المسلمين واسع
الأخلاق لا يكاد احد يخضبه ولو فعل معه ما فعل، أخذ عنه جماعة من اهل الطريق
وانتفعت بمواعظه وآدابه رحمه الله وصحبته نحو خمس عشرة سنة ما رايت عليه شيئاً

يشينه في دينه ﷺ.

مات سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ودفن بسندفا بالمحلة الكبرى رحمه الله تعالى.

٧٣- ومنهم الشيخ الكامل المحقق سيدي أحمد الرومي رضي الله تعالى عنه:

المقيم بمصر العتيق تجاه مقياس نيل مصر المحروسة، صحبته ﷺ نحو عشرين سنة وكان كثير المجاهدات والرياضات أخبرني أن له سبع عشرة سنة لم يقرب من عياله اشتغالا بالله تعالى، وكان يقول: قد فعلنا السنة وولدنا أولادا كثيرة وحصل المقصود.

وكان ﷺ حسن السميت على الهمة كثيرة العزلة يحب الخمول ويأخذ في أسباب الخفاء ويقول ما يبقى للظهور الآن فائدة فإن الفقير لا ينبغي له الظهور إلا لمصلحة الناس من أخذهم الطريق عنه، وقبول شفاعاته فيهم عند الملوك والأمراء وما بقى عند الأمراء اعتقاد في أحد ولا عند أحد من الفقراء همة يطلب بها السلوك في طريق الله عز وجل وكان له كل يوم من الجوالي وغيرها نحو كذا وكذا دينارا فينفقها كل يوم ويتظاهر بجمع الدنيا ويقول نظهر الشمم على أركان الدولة صيانة للخرقة عن الانتهاك جهدنا ﷺ.

وكان محققا في علوم النظر غواصا في بحار التوحيد هيئا ليتا بشوشا غالب أيامه صائما وربما طوى الأربعين يوما لا يأكل كل يوم غير ثمرة أو زبيبة ﷺ، مات سنة نيف وتسعمائة ﷺ.

٧٤- ومنهم الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدي ﷺ:

أحد اصحاب سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عمر روشني بناحية توريذ العجم ﷺ، وكان من جند السلطان الأعظم قايتاي رحمه الله وكان مقربا عنده فساله أن يتركه ويخليه لعبادة ربه ففعل واعتقه فساح إلى بلاد العجم وأخذ عن شيخه المذكور ثم رجع إلى مصر فسكن الجبل المقطم وبنى له فيه معبدا وحفر له فيه قبرا ولم يزل مقيما فيه لا ينزل إلى مصر نحو ثلاثين سنة.

وكان له الشهرة العظيمة بالصلاح في دولة السلطان ابن عثمان وتردد الأمراء والوزراء إلى زيارته ولم يكن ذلك في مصر لأحد في زمنه وكان كثير السهر متقشفا في

الليس معتزلاً عن الناس إلى أن توفاه الله تعالى سنة نيف وتسعمائة ٧٥هـ.

٧٥- ومنهم الشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى أحد رجال الله تعالى:

كان من أصحاب التصريف بقري مصر ٧٥هـ، وكان ٧٥هـ كثير التلاوة للقرآن كثير الشطح لا يصبر على معاشرته إلا أكابر الفقراء وكان كثير التشعيث لمن عرف منه أنه يعتقده وكان كثير الكشف لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من اطلاعه على ما يفعله الإنسان في قعر بيته.

وكان ليله كله تارة يقرأ وتارة يضحك وتارة يكلم نفسه إلى الصباح وكان إذا ذهب إلى السوق يسخره أهل الحارة في قضاء حوائجهم فيقضيها لهم على أتم الوجوه وكان له في خرجه وعاء واحد يشتري فيه جميع ما يطلبه الناس من المائعات فكان يضع فيه الشمرج والعسل والزيت الحار وغير ذلك ثم يرجع فيعصر من الإناء لكل أحد حاجته من غير اختلاط.

وكان له بنت يحملها على ظهره أي موضع ذهب حتى كبرت وهو يحملها على كتفه وهو يقول خوفاً من أولاد الزنا وكان ربما ذهب ليغسل لها ثوبها في البركة فيحفر لها في الأرض ويردم التراب عليها حتى ينشف ثوبها وركب آخر عمره الخيول المسومة ولبس لباس الأمراء ووضع الريش في عمامته كالجاويش فكان كل من رآه يعتقد أنه جاويش.

وكان الباشا داود لا يرد له كلمة، وكذلك الدفتردار وابن بغداد وغيرهم من قضاة الشرع وربما ادعى على بعض المنكرين عليه دعاوى باطلة في ظاهر الشرع وحكم له القضاة بها لا يستطيعون مخالفته فهراً عليهم وأخرب دوراً كثيرة من المنكرين عليه ٧٥هـ لكونه كان كثير العطب، مات سنة نيف وتسعمائة.

٧٦- ومنهم الشيخ الصالح العابد أحمد الكعكي ٧٦هـ:

كان عابداً زاهداً كثير الغوص في علم التوحيد لكن لسانه مغلق لا يكاد يفهم عنه، وكان أول ما يبلى من ثوبه موضع ركبتيه من كثرة السجود والجلوس وكان ورده في اليوم واللييلة نحو أربعين ألف صلاة على النبي ﷺ واثنى عشر ألف تسبيحة واحزاباً وأسماء وربما دخل في ورده من اصفرار الشمس فما يقوم منه إلى

ضحوة النهار.

وكان كثير الشطح تبعًا لشيخه سيدي الشيخ محمد الكعكي المدفون بقلعة بزاويته بالقرب من سيدي سارية صاحب رسول الله ﷺ حتى كان لا يقدر على صحبته كل أحد وكان الغالب عليه محبة الخمول وعدم الشهرة وكان لا يسكن إلا في الربوع بين السوق والمحترفين وينهى عن سكنى الزوايا والربط ويقول ما بقى أهل القرن العاشر يقدر على القيام بحق الظهور صحبته ﷺ أكثر من عشرين سنة وكان يخبرني بما يقع في بيتي وبما يخطر لي، وكان غالب الناس لا يعتقدونه لكثرة تشعيثه قولاً لا فعلاً تسترًا لحاله ﷺ.

مات ﷺ خامس عشر رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ودفن ببولاق في مقام العارف بالله تعالى سيدي حسين أبي علي ﷺ.

٧٧- ومنهم الشيخ الكامل سيدي علي الهندي رضي الله تعالى عنه:

نزىل مكة اجتمعت به فيها سنة سبع وأربعين وتسعمائة وترددت إليه وتردد إليه وكان عالمًا ورعًا وزاهدًا نحيف البدن لا تكاد تجد عليه أوقية لحم من كثرة الجوع وكان كثير الصمت كثير العزلة لا يخرج عن بيته إلا لصلاة الجمعة في الحرم الفيصلي في أطراف الصفوف ثم يرجع بسرعة، وادخلني داره فرايت عنده جماعة من الفقراء الصادقين في جوانب حوش داره كل فقير له خص يتوجه إلى الله تعالى منهم التالي ومنهم الذاكر ومنهم المراقب ومنهم المطالع في العلم ما أعجبني في مكة مثله، وله عدة مؤلفات منها ترتيب الجامع الصغير للحافظ السيوطي، ومنها مختصر النهاية في اللغة واطلعتني على مصحف بخطه كل سطر ربع حزب في ورقة واحدة وأعطاني نصفين فضة وقال لك العذرة في هذا البلد فوسع الله علي الحج ببركته حتى أنفقت مالا عظيما من حيث لا احتسب ﷺ.

٧٨- ومنهم الشيخ شعبان المجذوب ﷺ:

كان من أهل التصريف بمصر المحروسة وأقعد آخر عمره في زاويته بسويقة اللبن إلى أن مات، وكان يخبر بوقائع الزمان للمستقبل وأخبرني سيدي علي الخواص ﷺ أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوبًا على العباد، وكان إذا أطلع على موت البهائم يلبس

صبيحة تلك الليلة جلد البهائم أو البقر أو الغنم، أو تسخير الجمال لجهة السلطنة يلبس الشليف الليف فيقع الأمر كما نوه به، وكان سيدي علي الخواص إذا اشكل عليه أمر يبعث يسأله عنه.

وكان ﷺ يرسل يخبرني مع النقيب عن أحوالي الواقعة في الليل، وجاءتني مرة امرأة من الريف تريد أن تفسخ نكاح ابنتها لكون زوجها غاب عنها مدة طويلة فباتت عندي من غير علمي فأرسل نقيب لي من الفجر يقول لي يقول لك الشيخ لا تفرق بين راسين في الحلال فعلت أن زوجها سرجع فأخبرت المرأة فرجعت عن ذلك وجاء الأمر كما قاله.

هذا المرأة لم تخاطبني بكلام وإنما كانت مضمرة في نفسها أنها تخبرني بذلك بكرة النهار فعلم الشيخ بخاطرها ﷺ.

وكان ﷺ عرياناً لا يلبس إلا قطعة جلد أو بساط أو حصير أو لباد يغطي قبله ودبره فقط وكان يرى حلال زينة الدنيا كالحرام في الاجتناب وكانت الخلائق تعتقده اعتقاداً زائداً لم أسمع قط أحداً ينكر عليه شيئاً من حاله بل يعدون رؤيته عيداً عندهم تحنيئاً عليه من الله تعالى ﷺ، مات ﷺ سنة نيف وتسعمائة.

٧٩- ومنهم الشيخ الصالح المعتزل عن الناس بجامع آل ملك إبراهيم:

كان ﷺ مقيماً بالجامع المذكور نحو أربعين سنة صابراً على الوحدة حين خربت حارة الجامع ليلاً ونهاراً شتاءً وصيفاً وكانت الأكابر تتردد إليه تبرك به وكان يلبس العمامة أو الثوب لا يخلعها حتى تذوب عليه، صحبتته نحو ثلاثين سنة، مات ﷺ نيف وتسعمائة.

٨٠- ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى محمد الصوفي رحمه الله تعالى:

نزىل مدينة الفيوم، كان ﷺ من أكابر العارفين يأكل من عمل يده بالحياسة وغيرها ولا يقبل من أحد شيئاً وكان يحل مشكلات الشيخ محيي الدين بن العربي بأفصح عبارة، ومن كلامه ﷺ: اعلم أن السر في الطريق سيران، سير إلى الله وسير في الله فما دام السالك في المسالك الفانية التي هي طريق العدم فهو في السر إلى الله فإذا قطع كرة الوجود صار إلى للعبود ولم تكن هذه الرتبة إلا من طريق الأسماء كما أشار إلى ذلك سيدي عمر بن الفارض ﷺ بقوله:

على سمة الأسماء تجري أمورهم وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة
ففي البداية أنت أنت والاسم الاسم وفي وسط الطريق تارة أنت وتارة الاسم وفي
النهاية أنت ولا اسم فإن التخلق به ظهر فعله على ناسوتك لقوته فلا يرى منك إلا فعل
الاسم فالمرئي أنت لا الاسم لقصور نظر الرائيين وأما النافذ البصر فهو يعرف قوة
الإكسر يرجع صاحب هذا المقام به غير مفارقة ولا بعد مسافة ولا قربها قال وثم
مقام يدخل به العبد إلى حضرة الرب من غير واسطة أسماء وأطال في ذلك بكلام يدق
على العقول ﷺ.

وكان يقول: طي المعاني مجال أهل العلم الأكبر وطي المحسوسات مجال أهل
العلم الأصغر وكان يقول: الصفات وإن كانت راجعة لعين واحدة فبعضها متوقف
على بعض توقف ظهور لا توقف إيجاد لأنها زمام الباطن من حيث الظاهر والباطن
زمام لها من حيث أن الفيض لها لا تكون إلا منه وانظر كم شخص يقول لا إله إلا الله
فلا يحصل له فتوح أهلها وكان يخبر أنه يجتمع بالنبي ﷺ يقظة أي وقت أراد وهو
صادق لأنه ﷺ سائر في كل مكان وجدت فيه شريعته وما منع الناس من رؤيته إلا
غلظ حجابهم، صحبته نحو خمس وثلاثين سنة وانتفعت بكلامه وإشارته ﷺ.

٨١. ومنهم الشيخ عبد العال المجذوب رضي الله تعالى عنه :

كان ﷺ لا يلبس قميصاً إنما كان يلبس إزاراً صيفاً وشتاءً وكان مكشوف
الراس لم يزل محافظاً على الطهارة وكانت صلاته تامة بطمأنينة ونبول كأنه جزع
نخلة وكان يمدح النبي ﷺ فيحصل للناس من إنشاده عبرة ويبكون، وكان يطوف
البلاد وقرى ثم يرجع إلى مصر.

وكان سواكه مربوطاً في إزاره وكفنه لم يزل مربوطاً على بطنه إلى أن توفي
وكان يحمل إبريقاً عظيماً فيه ماء ويمر على الناس في شوارع مصر ويسقيهم، ولما
دنت وفاته دخل لنا الزاوية وقال الفقراء يدفنون في أي بلد فقلت الله أعلم فقال في
قليوب فكان الأمر كما قال بعد ثلاثة أيام ودفن قريباً من القنطرة التي في وسط
قليوب وبنوا عليه في سنة ثلاثين وتسعمائة ﷺ.

٨٢. ومنهم الشيخ الجليل المجذوب ﷺ :

أصله من قرية يقال لها النيتين قريب من مليج وشيبين وكان عرباناً ولم يزل

بالمئيتين إلى سنة أربعين وتسعمائة فانتقل إلى شيبين فلما سافرنإ إليها لعمارة الجامع بها وجدناه مقيماً بالبقة التي عملنا فيها الجامع وأخبرنا أهل شيبين أن له مدة سنة وهو يحفر حفراً في تلك البقة ويقول الجامع الجامع فكان الناس لا يعرفون معنى كلامه حتى عمرنا الجامع في ذلك الموضع ولما وصلنا في المركب إلى ساحل البحر خرج من شيبين وتلقانا وهو يضحك وأظهر السرور ولم يزل حولنا حتى عمرنا الجامع.

وظهرت له كرامات خارقة وكشوفات صادقة ﷺ، وكان له طونس ساقية لم يزل خارقه في عنقه ليلاً ونهاراً نحو قنطار وكان يطوف حول بلده طول النهار ويزغت تارة ويصيح تارة ويصمت ورايته مرة من بعيد وهو صاعد كوم بلده فقلت في سري يا ترى هل هو أحمدى أم برهامي فصاح يا دائم يا دائم يشير إلى أنه برهامي ﷺ، مات ﷺ سنة نيف وتسعمائة ودفن ببلده بشيبين ﷺ.

٨٣- ومنهم الشيخ عامر المجذوب رضي الله تعالى عنه:

أصله من قرية يقال لها البيجور ثم انتقل إلى ناحية سرس ومنوف وكان شأنه الصمت ليلاً ونهاراً وكان عامة نهاره وليله واقفاً على كوم عال ومعه طوق حجر طاحون يحركه بين رجليه وهما مفرقتان وكانت له عمامة نحو قنطار لا يستطيع أحد أن يضعها على رأسه من ثقلها يجمعها من شراميط الكميان.

وقد أخبرني الشيخ الصالح أحمد السطيحة أنه لما سافر إلى صعيد مصر عارضه فقراء الصعيد من أهل الباطن وأنه استنجد بسائر الأولياء فما أجابه وخلصه سوى الشيخ عامر هذا ﷺ، وكان لا يأكل إلا إذا وضعوا له الأكل وإن لم يطعمه أحد يصبر ولو شهراً، مات ﷺ في سنة نيف وتسعمائة.

٨٤- ومنهم الشيخ عمر المجذوب ﷺ:

كان ﷺ مقيماً بسوق أمير الجيوش بمصر المحروسة وكان كثير المكاشفات ومن جملة ما وقع لي معه أنني لما سافر السلطان قانصوه الغوري إلى مرج دابق سنة قتل في معركة ابن عثمان قلت له يا شيخ عمر هل يدخل السلطان ابن عثمان مصر قال نعم ويمر من هذا المكان وهذا موضع حافر فرسه فحفظتها عليه ذلك القول حتى دخل السلطان سليم مصر ووقع حافر فرسه في ذلك الموضع الذي عينه ﷺ.

وكان يخبر بالأمور المستقبلية^(١) ومن يتولى من الولاية أو يعزل أو يموت، وكان إذا نام لا يضع رأسه عن الأرض إلى الصباح وكان ليله كله سهران، وكان إذا لبس القميص لا ينزعه حتى يذوب، وكان على رأسه عرقية بيضاء فقط من غير قلنسوة ولا عمامة، صحبته نحو ثلاثين سنة، مات ﷺ نيف وتسعمائة.

٨٥- ومنهم الأخ الصالح الورع الزاهد الشيخ سلمان الحانوتي ﷺ:

مكث نحوًا من سبعة وثلاثين سنة لا يضع جنبه الأرض كما أخبر بذلك على سبيل التحدث بالنعم وكان أكثر إقامته في المساجد المهجورة والبساتين الخراب ليلاً ونهارًا، وكانت ثيابه تارة رثة وتارة كثياب القضاة التجار ولونه تارة تجده أحمر كالقرمزي وتارة أصفر متحولاً وتارة تجده أسمن ما يكون وتارة أهزل ما يكون وكان يخبرني بوقائعي في الليل واحدة واحدة كأنه جالس معي فيها.

وكان يحب الخمول وعدم الشهرة فكل مكان عرف فيه انتقل منه وكان تارة تجده في بركة الحبش وتارة في الريدانية وتارة في الجزيرة الوسطانية وكان لا يدخل مصر أبدًا إنما هو حواليتها ينتقل من ناحية إلى ناحية وبني خصه بالطوب من غير طين فكان كل ساعة ينهدم ويبنيه ثانيًا وثالثًا وهكذا ولا يمكن أحدًا ببنيه بالطين، مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة.

٨٦- ومنهم الشيخ الصالح السني المحمدي شهاب الدين بن داود بن المنزلاوي ﷺ:

كان ﷺ ملازمًا للعمل بالكتاب والسنة ما رأت عيني بعد الشيخ محمد بن عنان اضبط للسنة منه، وكان يقول من أراد حفظ السنة فليعمل بها فإنها تتقيد عنده ولا ينساها وكان يدرس العلم ويقرأ كتب التصوف في زاويته على بحيرة دمياط.

وكان موردًا للضيوف الواردين من دمياط والصادرين وكان ربما لم يجد شيئًا للضيف غير الأرز فيعلق الدست ويضع للاء ويغليه ويطعمه للضيف فيقول له ما أطيب لبن هذا الأرز فيقول الشيخ سبحان الستار، صحبته رضي الله تعالى عنه نحوًا من أربعين سنة ما رأيته قط زاغ عن السنة في شيء من أحواله، مات سنة إحدى وخمسين وتسعمائة عن نيف وثمانين سنة رضي الله تعالى عنه.

(١) لا يعلم الغيب إلا الله.

٨٧- ومنهم الشيخ الصالح العابد الزاهد الشيخ علي العياشي :

كان من أجل أصحاب سيدي أبي العباس الغمري ، ومكث ١٠٠ سنة نحو نيف وسبعين سنة لا يضع جنبه الأرض إلا من مرض شديد وكان اشتغاله دائماً ليلاً ونهاراً من قراءة إلى ذكر إلى صلاة وكان ينظر إبليس ويضربه بالعصا فقال يوماً إنني لا أخاف من العصا وإنما أخاف من نور القلب وجلس معنا ليلة في مجلس الصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة فأخذ عصاه وضرب بها إنساناً في المجلس فقال لم ضربتني فقال له إنما ضربت الشيطان الذي رأيته راكباً على عنقك ورجلاه مدلاتان على صدرك.

وكانت الأولياء الأموات يزورونه كثيراً لا سيما الإمام شافعي ١٠٠ فكان يخبر كل قليل أنه كان عنده يقظة ولا نوماً وكان من لا يعرف حاله يقول هذا خراف، ورأيت مرة افتتح القرآن من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر فقرأ خمسة أحزاب فقط بترتيل وتكرار وكنا ونحن شباب نقوم من الليل فنجدته قائماً يصلي هكذا على الدوام وما رأيت له قط فروة يجلس عليها ولا مخدة ولم يزل على ذلك إلى أن كف بصره أواخر عمره فلم ينقص من أوراده شيئاً.

وكان إذا لم يجد من يوضئه تأتيه الأولياء فيوضنونه فيقول وضائي الإمام الشافعي ١٠٠ هذا الوقت وضائي فلان وضائي فلان ويصلي بذلك الوضوء وكان بعض الناس ينكر ذلك حيث لم ير من يوضئه ويقول هذا خف عقله ١٠٠، مات ١٠٠ سنة نيف وتسعمائة.

وليكن ذلك آخر كتاب الطبقات.

وقد أحببت أن أحققها بذكر نبذة صالحة من أحوال العلماء العاملين من أهل مذهبنا فقط تبركاً بذكرهم ونشراً لعبير مسكهم ١٠٠، فأقول وبالله التوفيق:

علماء المذاهب

وكان أبو بكر بن إسحاق الضبعي لا يترك قط قيام الليل في سفر ولا حضر ولا صيف ولا شتاء وكان إماماً في جميع العلوم.

وكان ابن الصباغ رحمه الله حافظاً للمذهب صائماً للدهر.

وكان القمولي رحمه الله لا يفتر قط عن قول لا إله إلا الله.

وكان أبو العباس الديبلي رحمه الله يصوم دائماً ويدرس القرآن دائماً ويخيط بالنهار فإذا أمسى صلى المغرب واشتغل بالفقه رحمه الله.

وكان أبو زيد الروزي رحمه الله متقشفاً زاهداً وكان أصحابه رحمه الله يقولون خالطناه إلى أن مات فما نظن أن الملائكة كتبت عليه خطيئة رحمه الله.

وكان الإمام ابن الحداد يختم كل يوم وليلة ختمة ويصوم يوماً ويفطر يوماً ويختم كل جمعة ختمة أخرى في ركعتين في الجامع قبل الصلاة سوى التي يختمها كل يوم رحمه الله.

وكان الإمام أبو جعفر الترمذي رحمه الله نفقته أربعة دراهم في كل شهر وكان لا يسأل أحداً قط رحمه الله.

وربما كان رحمه الله يتقوت بحبة زبيب كل يوم وكان مع ذلك شجاعاً رحمه الله.

وكان الإمام ابن خزيمة رحمه الله يضرب به المثل في الأدب لا سيما مع شيخه البوشنجي حتى إنه سئل عن مسألة وهو في جنازة فقال لا أفتي حتى أوارى استاذي التراب رحمه الله.

وكان الشيخ أبو العباس النيسابوري رحمه الله يقول: ختمت عن رسول الله ﷺ اثنتي عشرة ألف ختمة وضحيت عنه اثنتي عشرة ألف اضحية رضي الله تعالى عنه.

وكان الإمام محمد بن بردزبة البخاري رحمه الله يختم القرآن كل يوم ويقرأ في الليل عند السحر ثلثاً من القرآن فمجموع ذلك ختمة وثلاث، وكان يقول: أرجو أن ألقى الله تعالى ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رضي الله تعالى عنه يقول: ما تكلمت

قط كلمة ولا فعلت فعلاً منذ وعيت على نفسي حتى أعددت لذلك جواباً بين يدي الله عز وجل.

وكان الإمام محمد النيسابوري يصلي طول نهاره ويصوم الدهر فإن أتاه مستفت افتاه وإلا فهو في صلاة ﷺ.

وكان الإمام محمد للعروف بفضله الحرم أحد تلامذة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي يقرأ كل يوم ستة آلاف مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) من جملة أوراده رضي الله تعالى عنه.

وكان الإمام الحسن الأصبهاني رضي الله تعالى عنه ينفرد عن تلامذته كل أسبوع ويبكي حتى نهبت عيناه ويقول قد بكى من كان قبلي الدم وما قاموا بواجب حق الله عز وجل رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ زين الأمانء الدمشقي رضي الله تعالى عنه قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً للتلاوة والتسبيح وثلثاً للنوم وثلثاً للعبادة والتهجد، وكان يطول السجود وكان يقال له السجّاد وكان نهاره كذلك ﷺ.

وكان الإمام الحسن بن سمعون ﷺ إماماً زاهداً ورعاً كثير التهجد فلما يخرج من بيته إلا في أيام الجمع لأجل الصلاة وطول نهاره في قعر بيته ﷺ.

وكان الشيخ أبو علي بن حمران ﷺ إماماً زاهداً صامتاً فأكبره السلطان على أن يوليّه القضاء فأبى فوكل على بابهِ حراساً وختم على باب داره بضعة عشر يوماً ثم أعفاه وقال لبعض تلامذته انظر بني حتى تحدث إنني عشت بعدي أن إنساناً فعل به مثل هذا ليلي القضاء فامتنع وكان يعيب على ابن سريج في ولاية القضاء ويقول هذا الأمر لم يكن في أصحابنا وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة ﷺ.

وكان أبو عبد الله الحاكم يقول تبعث الشيخ حسينا النيسابوري حضراً وسفراً نحو ثلاثين سنة فما رأيت قط يترك قيام الليل يقرأ في كل ركعة سبعاً ﷺ.

وكان الإمام البخوي رحمه الله زاهداً ورعاً حتى كان يأكل الخبز وحده فعذلوه في ذلك فصار يأكله بالزيت إلى أن مات ﷺ.

(١) سورة الإخلاص: الآية ١.

وكان القفال الرزوي يخلب عليه البكاء في الدرس حتى يغمى عليه ثم يفيق
يقول ما اغفلنا عما يراد بنا رضي الله تعالى عنه.

وكان أبو بكر النيسابوري رحمه الله يقوم الليل دائماً حتى مكث أربعين سنة يصلي
الصبح بوضوء العشاء رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ عبد الله الأصبهاني المعروف بابن اللبان رحمه الله يصلي بالناس التراويح
ويصرفهم ثم ينتصب للصلاة حتى يطلع الفجر إذا صلى جلس يدرس أصحابه،
وكان لا يضع جنبه للنوم في رمضان ليلاً ولا نهاراً.

وكان ابن أبي حاتم رحمه الله زاهداً ورعاً خاشعاً لا يكاد يرفع طرفه إلى السماء وجاءه
رجل وهو في الدرس فقال إن سور طرسوس قد انهدم منه جانب واحتيج في عمارته إلى
الف دينار فقال الشيخ للحاضرين من يعمره وأنا أضمن له على الله قصراً في الجنة فقال
رجل أعجمي وجاء بالف دينار وقال اكتب لي ورقة بهذه الضمانة فكتب له الشيخ ثم
إن العجمي مات ودفنت معه الورقة فحملها الريح حتى ألقتها في حجر الشيخ رحمه الله فإذا
مكتوب في ظهرها قد وفينا ما ضمنته ولا تعد^(١) رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ عبد الرحمن الأنباري النحوي رحمه الله لا يوقد قط في بيته سراج لعدم
صفاء ثمن ما يشتري به الزيت، وكان تحته حصر قصير وعلية ثوب خلق وعمامته
من غليظ القطن فيصلّي فيها الجمعة ما يفرق الناس بينه وبين الشحاتين في رثاءة
الهيئة وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة رحمه الله.

وكان الشيخ عبد الرحمن الداودي البوشنجي رحمه الله عالماً ورعاً زاهداً لم يأكل
اللحم منذ أربعين سنة من حين نهبت التركمان البهائم وكان لا يأكل السمك
فحكى له شخص أن بعض الجند أكل على شاطئ النهر الذي يصاد له منه نفق
سفرته في النهر فأكله السمك فلم يأكل بعد ذلك منه سمكاً، وكان له أرض ورثها
من آبائه يزرع فيها ما يقوته وله فيها بقرة وبئر ماء فمطرت يوماً فأطلقت البقرة إلى
أرض جاره ثم رجعت في حافرها وحل فاختلطت في أرضه فترك تلك الأرض للناس
وخرج منها ولم يزرع بعد ذلك فيها شيئاً إلى أن مات وكان له فرن يخبز فيه في داره

(١) هذه أمور لا تصح وكان كهان الكنيسة في العصور الوسطى يكتبون لأتباعهم مثل هذه الأوراق وهي
تتناهى مع الإسلام والمسيحية.

فجاء فقراء يزورنه وكان غائبًا فوجدوا باب فرنه قد انهدم منه جانب فعجبوا طيئًا وأصلحوه فامتنع من الخبز فيه وبني له خلافة لكون من ليس على قدمه في الورع بناه رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ عبد الله الرازي رحمه الله أحد طلبه أبي إسحاق الشيرازي مجاب الدعوة وحج مرة فعطش الحجاج فقالوا له يا فقيه استسقى بنا فتقدم وقال اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة ثم استسقى فنزل المطر كأفواه القرب رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ أبو الحسن المقرئ رحمه الله من العلماء العاملين طول ليله في صلاة ونهاره في صيام وكان عارفًا زاهدًا حتى إنه كان بينه وبين أخيه عمامة وقميص فكان إذا خرج أحدهما لبسهما وجلس الآخر في البيت، ودخل عليه زائر يومًا فوجده عريًا فقال نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيب الطبري رضي الله تعالى عنه:

قوم إذا غسلوا جمال ثيابهم لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل
أو كما قال غيره:
قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم لبسوا البيوت وزرروا الأبواب
رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ أبو الحسن الاسترابادي مجتهدًا في العبادة عمره، وكان يكتب عامة النهار وهو يقرأ القرآن ظاهرًا لا يمنع أحد الأمرين عن الآخر رحمه الله، وكان إذا دخل عليه أحد وأكثر اللغو يقول له اخرج ولو كان من أعز الناس وكان له الدرس والفتوى ومجلس النظر والتوسط ومع ذلك كان يختم كل يوم ختمة رحمه الله.

وكان الشيخ أبو علي للرزباني رحمه الله إمامًا ورعًا زاهدًا، وكان يقول: ما أعلم لأحد قط علي مظلمة في مال أو عرض ومثله لا يخفى عليه تحريم الغيبة وسوء الظن بالمسلمين رحمه الله.

وكان أبو الحسن الأشعري إمامًا زاهدًا ورعًا عالمًا مواظبًا على السنة مقدمًا على أقرانه من المتكلمين رحمه الله ومكث عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهماً رحمه الله.

وكان الحافظ ابن عساكر رحمه الله إماماً زاهداً ورعاً مواظباً على صلاة الجمعة في المسجد كثير التلاوة للقرآن كثير النوافل والأذكار أثناء الليل وأطراف النهار، وكان يختم القرآن كل أسبوع في التهجد رحمه الله.

وكان الشيخ أبو الحسن القزويني رحمه الله يكشف ويتكلم على الخواطر وكان ملازماً للصمت لا يخرج من بيته رحمه الله.

فكل هؤلاء كانوا علماء عاملين غير مشهورين بالعبادة والزهد والورع، رضي الله تعالى عنهم فذكرناهم لننبه على فضلهم رجاء الخير والترحم عليهم رحمهم الله تعالى والافتداء بهم.

وأما من اشتهر بالعبادة والزهد والورع كالشيخ أبي إسحاق الشيرازي والإمام الغزالي والإمام الرافعي والإمام النووي رضي الله تعالى عنه ورحمهم ورحمنا بهم فاكثفينا بشهرتهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

قال المؤلف الشيخ الإمام العالم العامل الكامل الراسخ المحقق المدقق أحد ملوك العارفين بالله تعالى سيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوي الأنصاري رضي الله تعالى عنه، كان الفراغ من كتابتها وتأليفها خامس عشر رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة بمصر المحروسة، والحمد لله رب العالمين.

فهرسة الجزء الثانى

من الطبقات الكبرى لسيدى عبد الوهاب الشعرانى

٥.....	الشيخ عبدالله المنوفى
٥.....	الشيخ حسين الجاكى
٥.....	الشيخ خضر الكردى
٦.....	الشيخ شرف الدين الكردى
٦.....	الشيخ محمد بن هارون
٧.....	الشيخ يحيى الصنافيرى
٧.....	الشيخ أبو العباس البصيرى
٨.....	الشيخ حسن شيخ المسلمية
٨.....	الشيخ على السدار
٨	الشيخ أبو الحسن الشاذلى
٣٦.....	الشيخ الإمام أحمد أبو العباس
٤٠.....	سيدى ياقوت العرشى
٤١.....	تاج الدين بن عطاء الله السكندرى
٤٢.....	الشيخ موسى المكنى بأبى عمران
٤٢.....	سيدى محمد وفا
٤٥.....	سيدى على ولده
١٣٢.....	سيدى يوسف العجمى الكورانى
١٣٤.....	الشيخ حسن التستري
١٣٥.....	الشيخ محمد أبو المواهب
١٦٢.....	الشيخ حسين الأدمى
١٦٣.....	الشيخ أحمد بن سليمان الزاهد
١٦٦.....	سيدى عمر الكردى
١٦٦.....	سيدى إبراهيم المتبولى
١٧٢.....	الشيخ حسين أبو على
١٧٢.....	الشيخ محمد الغمرى
١٧٤.....	سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفى
١٨٩.....	الشيخ مدين بن أحمد الأشمونى
١٩٣.....	الشيخ محمد الشويمى
١٩٣.....	سيدنا أحمد الحلقاوى
١٩٤.....	الشيخ محمد بن أحمد الفرغل
١٩٦.....	الشيخ أبو بكر الدقدوسى

- ١٩٦..... الشيخ عثمان الخطاب
- ١٩٨..... الشيخ محمد الحضري
- ١٩٩..... سيدى عيسى بن تجم خفير البرلس
- ١٩٩..... الشيخ شهاب الدين المرحومى
- ٢٠٠..... الشيخ محمد بن أخت سيدى ملين
- ٢٠١..... سيدى على المحلى
- ٢٠١..... سيدى على بن شهاب جدى الأدنى
- ٢١١..... مشايخ المؤلف
- ٢١١..... سيدى محمد الغربى الشاذلى
- ٢١٥..... سيدى محمد بن عنان
- ٢٢١..... سيدى الشيخ أبو العباس الغمرى
- ٢٢٢..... الشيخ نور الدين الحسينى المدينى
- ٢٢٢..... الشيخ الإسلام زكريا الأنصارى
- ٢٢٦..... الشيخ على النبىتى الضرير
- ٢٢٨..... الشيخ على بن جمال النبىتى
- ٢٢٨..... الشيخ عبد القادر بن عنان
- ٢٢٩..... الشيخ محمد العدل
- ٢٢٩..... الشيخ محمد بن داود المنزلاوى
- ٢٣٠..... الشيخ محمد السروى
- ٢٣١..... الشيخ على نور الدين المرصى
- ٢٣٣..... الشيخ تاج الدين الذاكر
- ٢٣٥..... الشيخ أبو السعود الجارحى
- ٢٣٧..... سيدى محمد المنير
- ٢٣٨..... سيدى أبو بكر الحديدى
- ٢٣٩..... سيدى محمد الشناوى
- ٢٤١..... الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوى
- ٢٤٣..... الشيخ على أبو خوذة
- ٢٤٤..... الشيخ محمد الشربينى
- ٢٤٤..... الشيخ على الدويب
- ٢٤٥..... الشيخ أحمد السطيحة
- ٢٤٧..... الشيخ بهاء الدين المجنوب
- ٢٤٧..... الشيخ عبد القادر الدشطوطى
- ٢٤٩..... الشيخ حسن العراقى
- ٢٥١..... سيدى إبراهيم بن عصيفير
- ٢٥٢..... الشيخ شهاب الدين الطويل النشلى

- ٢٥٢..... سيدى عبد الرحمن المجذوب
٢٥٣..... سيدى محمد الرويجل العريان
٢٥٣..... سيدى حبيب المجذوب
٢٥٣..... سيدى فرج المجذوب
٢٥٤..... سيدى إبراهيم المجذوب
٢٥٤..... الشيخ أحمد المجذوب
٢٥٤..... الشيخ إبراهيم العريان
٢٥٤..... الشيخ محيسن البرلسى
٢٥٥..... الشيخ أبو الخير الكليباتى
٢٥٦..... سيدى عمر البجائى الغربى
٢٥٦..... سيدى سعود المجذوب
٢٥٦..... سيدى سويدان المدفون بالخانكة
٢٥٦..... سيدى بركات الخياط
٢٥٧..... سيدى على الشونوزى
٢٥٧..... سيدى أحمد الزواوى
٢٥٧..... سيدى أحمد البهلولى
٢٥٨..... الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى
٢٥٩..... سيدى أبو الحسن الغمرى
٢٦٠..... الشيخ عبيد البلقينى
٢٦٠..... الشيخ يوسف الحريثى
٢٦١..... الشيخ عبد الرازق الترابى
٢٦١..... الشيخ مخلص
٢٦١..... الشيخ صدر الدين البكرى
٢٦١..... الشيخ دمر داش المحمدى
٢٦٢..... الشيخ إبراهيم
٢٦٢..... الشيخ مرشد
٢٦٢..... الشيخ ناصر الدين أبو العمائم الزفتاوى
٢٦٣..... الشيخ شرف الدين الصعبدى
٢٦٣..... الشيخ أبو القاسم الغربى الفاسى القصرى
٢٦٣..... سيدى على البلبلى
٢٦٤..... الشيخ إبراهيم أبو لحاف المجذوب
٢٦٤..... الشيخ محمد بن زرعة
٢٦٤..... سيدى على وحيش
٢٦٥..... سيدى الشريف المجذوب
٢٦٥..... سيدى على الدميرى المجذوب

٢٦٦.....	شيخى وأستاذى سيدى على الخواص البرلسى
٢٩٩.....	الشيخ العارف بالله تعالى سيدى على البحيرى
٣٠٠.....	العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أبو العباس الحريثى
٣٠١.....	الشيخ نور الدين الشونى
٣٠٥.....	الشيخ أبو الفضل الأحمدي
٣١٧.....	الشيخ ناصر الدين النحاس
٣١٨.....	الشيخ الكامل على الكازرونى
٣٢١.....	الشيخ محمد الجازولى
٣٢١.....	الشيخ شمس الدين الديروطى ثم الدمياطى الواعظ
٣٢٣.....	الشيخ محمد السندقاوى
٣٢٤.....	الشيخ الكامل المحقق سيدى أحمد الرومى
٣٢٤.....	الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدى
٣٢٥.....	الشيخ الصالح عبد القادر السبكى
٣٢٥.....	الشيخ الصالح العابد أحمد الكعكى
٣٢٦.....	الشيخ الكامل سيدى على الهندى
٣٢٦.....	الشيخ شعبان المجنوب
٣٢٧.....	الشيخ الصالح المعتزل بجامع آل ملك إبراهيم
٣٢٧.....	الشيخ محمد الصوفى
٣٢٨.....	الشيخ عبد العال المجنوب
٣٢٩.....	الشيخ عامر المجنوب
٣٢٩.....	الشيخ عمر المجنوب
٣٣٠.....	الشيخ سلمان الحانوتى
٣٣٠.....	الشيخ المحمدى شهاب الدين بن داود بن المنزلاوى
٣٣١.....	الشيخ على العياشى
٣٣٢.....	علماء المذاهب
٣١٠.....	الخاتمة

المصري
للطباعة

ت ٧٢٤١٧٨٦ - ٠١٢٢٧٤٩٤٧٥

